أرض جوش

رواية

أحمد المصرى

(الطبعة الأولى)

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة .

اسم الكتاب : **أرض جوش**
اسم المؤلف : **أحمد المصرى**
رقم الإيداع : ٢٠١٩/٢٣٥٦
الترقيم الدولي :٢-٤٨-٦٧٨٠-٩٧٧-٩٧٨
تصميم الغلاف : اكرام عيد.
المدير العام : محمد عيد
المدير التنفيذي : عزة إبراهيم

٠٢٣٩٧٦٩١٧٦/٠١٠٠٦١٤١٦٤٥

أرض جوش

قصه مستوحاه من التاريخ

تأليف:

أحمد المصري

حقوق الملكية الفكرية

إهداء

إلى أمي التي صبرت و كافحت لأجلي ...

إلى أخي الذي كان و لا يزال عونا لي ...

إلى محبي السلام في كل مكان حول العالم ...

إليك أنت عزيزي القارئ ...

أهدي إليكم جميعاً هذا العمل ...

جدول المحتويات

الجزء الأول (القاهرة 2015 ميلاديا)

الجزء الثاني (اواريس 1615 قبل الميلاد)

الجزء الثالث (طيبة 1573 قبل الميلاد)

الجزء الأول

القاهرة 2015 ميلاديا

1

المشهد الأول
في الطائرة

" سيداتي سادتي .... هنا قائد الطائرة و زملاؤه الملاحون يرحبون بكم علي متن الخطوط الجويه المصريه ، و رحلتها المتجهه الي مطار الخرطوم الدولي ، علما بأن الرحلة سوف تستغرق ساعتين و ثلاثين دقيقه تقريبا ، اليوم هو الأحد الموافق الثاني و العشرين من شهر مارس ، و الساعة الآن الثامنة و الربع مساءا بتوقيت القاهرة ، من أجل سلامتكم نرجو التفضل بالاستماع لتعليمات السلامه التاليه ، الخطوط الجوية المصرية تتمنى لكم رحلة آمنة"

و بينما كان قائد الرحلة المتجهة إلي مطار الخرطوم الدولي يلقي التحية علي المسافرين عبر الميكروفون في مقصورة الطائرة ، تلقي يحيي مكالمة تليفونية من أخته غاده ، فأسرع يحيي بالرد عليها قبل إقلاع الطائرة وإنقطاع الشبك ، كان صوتها مرتعشا ، يحمل نبرة مرتجفة ، بينما كانت تودعه بعبارات قد ملأها القلق ، لم تكن هذه هي المرة الاولي التي يسافر فيها يحيي خارج البلاد ، وايضا لم تكن تلك المرة الاولي التي تودعه فيها غاده قبل اقلاع الطائرة ، لكن تلك المرة تحديدا كانت مختلفه كثيرا ، أو ربما كان يحيي يظنها كذلك ، سريعا حاول يحيي طمئنتها ، وتهدئة روعها ، و حاول توديعها بضحكة داعبة مجوفة مختلفة ليست كالعادة ، و بينما كادت غاده تجهش بالبكاء الحار ، و كأنها لن تسمع صوته مجددا ، أخبرها يحيي بضرورة إنهاء المكالمه علي الفور إستعدادا لإقلاع الطائرة ، و طرق جبينها بقبلة مغلفة بكثير من الحنين الي حضن الوطن .

تحركت الطائرة من طراز بوينج 737 علي مدرج المطار بسرعه منخفضه ، حتي اقتربت من الاقلاع ، فازدادت سرعتها بدرجه

كبيرة تنزع القلوب ، ثم اقلعت الطائرة بسلام ، و لم يكن الأمر مفزعا لهذة الدرجة التي تصورها يحيي ، ربما رهاب ركوب الطائرات الذي يصيبه في كل رحله طيران يقوم بها ، هو السبب في تسارع دقات قلبه الي هذا الحد المبالغ فيه ، والذي كاد ان يتسبب في تصلب اطرافه ، و فقدانه السيطرة علي اعصابه ، انتهى الخطب اذن حينما بدأ في فتح عينيه التي أغلقها لا إراديا عند الإقلاع ، وحينها بدا الأمر علي ما يرام ، و قد انتهي الهلع الآن ، و بدأ يحيي في تمالك أعصابه ، فتبددت مخاوفه ، و هدأ روعه ، وارتخي جسده المتيبس المتصلب ، ليبدأ في الاستمتاع برحلته .

كان ذلك في مساء يوم الأحد الموافق الثاني و العشرين من شهر مارس عام 2015 ، و كما ذكرت على الرغم من أن تلك الرحله لم تكن هي المرة الأولي التي يسافر فيها يحيي خارج البلاد ، لكنها كانت المرة الأولي التي يشعر فيها بالقلق والتوتر الشديدين ، قد يكون ذلك القلق الغير معتاد أمرا طبيعيا ، نظرا لأنها رحلة غير اعتيادية ، بل كانت رحله استثنائية بشكل كبير ، فهي المرة الأولي بالنسبه له التي يرافق فيها الوفد الرئاسي و الوزاري المصري المتجه الي الخرطوم عاصمة السودان للتوقيع علي

وثيقه اتفاق المبادئ العامه بين مصر واثيوبيا والسودان بشأن سد النهضه ، و سوف يتثنى له المشاركة في المؤتمر الصحفي الثلاثي ، الذي سوف يجمع بين رؤساء الدول الثلاث ، و سيتم إنعقاده بعد وصول الرئيس المصري صباح اليوم التالي الإثنين الموافق الثالث و العشرين من شهر مارس ، و لكن الجريدة الرسمية الحكومية التي يعمل بها يحيي قررت ارسال فريقها الصحفي برفقة وفد الخارجية المصري قبل وصول الرئيس المصري و الوفد الرئاسي المرافق له الي الخرطوم بليلة واحدة على الاقل ، وذلك للإعداد للقاء الصحفي المرتقب ، و مراجعة جدول الزيارة الرسمي ، و الذي وزعته رئاسه الجمهوريه علي معظم الصحفيين المشاركين في المؤتمر بالاضافه للوزراء وكبار المسئولين ، و قد اطلع يحيي قبل سفره علي برنامج الزيارة وقرأه جيدا ، حيث سوف يعقد رؤساء الدول الثلاث جلسه مباحثات مصغرة ، ثم بعدها جلسة مباحثات موسعه تشمل كبار المسئولين والوزراء ، في ظل حضور وفود الدول الثلاث المشاركه في الاجتماع ، و من ثم سوف يتم التوقيع علي اتفاق المبادئ العامه بين الدول الثلاث بشأن سد النهضه ، و الذي أثار

العديد من الخلافات في الآونة الأخيرة بين دول حوض النيل ، فبينما إرتئت كلا من مصر والسودان ان بناء ذلك السد سوف يهدد أمنهما المائي ، وسوف يشكل خطرا محدقا بالبلدين ، كانت أثيوبيا ترى أن بناء هذا السد يمثل حلما قوميا لتوليد الكهرباء و خلق الإستثمارات و النهوض بالبلاد ، لكن خبراء المياة و السدود النهرية المصريين و عدد من الخبراء الأجانب أكدوا على أن بناء ذلك السد سوف يؤدي الي بور العديد من الاراضي الزراعيه وتصحرها ، بالاضافه الي تهديده المباشر للمصريين بالعطش و ندرة المياة ، و قد تم إبلاغ الصحفيين مسبقا انه سوف يتم الإعلان عن قرارات جديده هامة للغاية في إطار بنود المبادئ العامة لسد النهضة ، كما تم تحديد المواضيع التي سوف يتم مناقشتها في المؤتمر الصحفي ، و شددت رئاسة الجمهورية علي الصحفيين بضرورة إلتزام المهنية في طرح الاسئلة ، كما شددت علي عدم تجاوز الأسئلة للإطار العام الذي تم توضيحه في برنامج الزياره ، و عدم الخروج عن النص المتفق عليه ، و المواضيع التي سوف يتطرق لها المؤتمر الصحفي المرتقب ببالغ الاهميه.

إنها المرة الاولي التي يكلف فيها يحيي بتوجيه أسئلة علي رئيس الجمهورية في مؤتمر صحفي كبير ومهم مثل ذلك المؤتمر ، وبالطبع هي المرة الاولي التي سوف يقابل فيها يحيي الرئيس المصري وجها لوجه ، كانت الافكار الشتى تجول في خاطره ، كانت تلك الأفكار تتنازع و تتداخل بكثرة في عقله، وكأنها تتدفق بقوة من قمة أعلى شلال في أفريقيا، أو كأنها تهبط بأشد سرعة من أعلي قمة جبل كليمنجارو أعلى جبل في أفريقيا، والثاني عالميا، والذي يكسوه الجليد طوال العام، رغم وقوعه في منطقة استوائية حارة ورطبة معظم السنة، حاول يحيي الإسترخاء لإخماد الضجيج بداخله، لذا قام بوضع سماعات الرأس في أذنيه، للإستماع إلي بعض الموسيقي الهادئة المسجلة بشاشة العرض الصغيرة أمام مقعده، و لقد إبتهج كثيرا عندما عثر على العديد من مقاطع الموسيقي المفضلة لديه، و بالتحديد للموسيقار الروسي العالمي "تشايكوفسكي"، و تحديدا رائعته العالمية "كسارة البندق" التي تروق له كثيرا ، وضع يحيي وسادة العنق خلف رأسه ، و بسط قديمه قليلا إلي الأمام ، حيث حصل علي مقعد رجال أعمال مريح للغاية بمقدمة الطائرة، و بدا أنه من

المهم أن يتوقف إلي حين عن التفكير، فبدأ في ممارسة الإسترخاء الذهني الذي قرأ عنه كثيرا، و لقد أفاده للغاية في التغلب علي كثير من حالات الرهاب المختلفة التي كان يعاني منها ، والتي كانت تصيبه في كثير من المواقف ربما ستكتشفون بعضا منها لاحقا .

لم يدرك يحيي أنه غفا طويلا إلا عندما أضج مضجعه صوت رجل أفريقي يجلس بجانبه ، كان صوته الغليظ موحش للغاية ، للحد الذي كاد يجعله يتقيأ عندما إنتبه له فزعا ، نظر إليه يحيي من فتحة صغيرة بين جفني عينيه الثقيلتين، حيث كان يجاهد لفتحهما بسبب الإرهاق الشديد، و بينما كان ذلك الرجل الإفريقي يتكلم، ظل يحيي ينظر إليه وكأنه لا يسمعه ، حتي دعك عينيه بقوة ، وأنزل سماعات الرأس عن أذنيه ، و سأله في ضجر: *" ماذا تقول ؟ "* ، إن ذرات اللعاب المتطايرة كانت تتناثر بكثرة على وجه يحيي من الفم الكريه لذلك الرجل الإفريقي، و كأنما يتحلل الطعام في فمه وليس في معدته، و قال له بالانجليزية و هو يوكزه علي كتفه : ***" استيقظ يا رجل .. المضيفة تتحدث اليك ... انظر حولك ! "*** ، إستدار يحيي بنظره فوجد المضيفة إلى جانبه،

و قد أرهقها كثيرا طول الإنتظار، و بعد تنهيدة رقيقة سألته المضيفة ماذا يحب ان يتناول من لحوم؟ ، فأجبها يحيي برغبته في تناول وجبة اللحم البقري مع قليل من عصير التفاح، و بينما هو ينظر إلي حسنها الذي يكفي ليطمئن الفؤاد و يملأ الروح بالسكينة، أفزعه ذلك الرجل الافريقي بصوته الغليظ البغيض ، عندما أجاب المضيفة برغبته في وجبه اللحم المقدد مع بعض الفوديكا ، كان رجلا شديد سواد البشرة ممتلئ الي حد ما، ولديه كرش ممتد أمامه لبضعة سنتيمترات، ليس بالطويل حيث بدت ساقه قصيرة، و أردافه كانت كثيرة الشحم واللحم، و كان لديه رقبة قصيرة ممتلئة ومكتنزة أسفل وجه مربع ذي جبهة مربعة عريضة ، و يحمل علي وجهه وجنتين عريضتين بارزتين الي حد ما، و فكا عريضا، و خدودا ممتلئة، قد ضغطت علي العينين فبدتا صغيرتين تكادا ان تختفيا .

كان الرجل الإفريقي ينظر ليحيي كثيرا دون تحدث ، راسما علي وجهه ضحكة سخيفة ، تبرز خلالها أسنانه الصفراء كشمس الغروب ، ولثته الملتهبة كلما انفتح ثغره المتسع ، لمع في ذهن يحيي سؤالا ساقه الفضول اليه ، قاطبا حاجبيه نظر يحيي إلي

ذلك الرجل الإفريقي في حدة صامتا لوهلة ، ثم سأله دون ترحيب مسبق : ***" ما اسمك ؟ "*** ، فأجابه الرجل الإفريقي بكل سخف و بصوت غلييظ، و كأنما امتزج صوته بالشحم المتناثر في وجهه قائلا : ***"اسمي دانيال .. يمكنك مناداتي بدان ... و أنت ما اسمك؟"*** ، أجابه يحيي و قد أدار وجهه عنه متجنبا رزاز لعابه المتطاير : ***"أنا اسمي يحيي"*** ، قال دان بينما هو ينظف فمه : ***" نعم يحيي .. يعني جون بالانجليزيه.. اسم جميل جدا لدي أخ أصغر مني يحمل ذات الاسم ايضا"*** ، أسرع يحيي بالرد عليه قائلا : ***" و لكنني يحيي و لست جون"*** ، فضحك دان بصوت عال ضحكة متقطعة، و استطرد قائلا : ***"و ما الفارق يا صديقي ؟! .. كلها كنيات مختلفة بلغات متعدده لأسم واحد!"*** ، فعقب يحيي علي كلامه قائلا: ***" ربما كذلك ! ..إذن أخبرني من أين أنت ؟"*** ، فأجاب دان: ***" ألا يبدو علي ؟! "*** ، أجاب موسعا ثغره و كأنما هم أن يتثاءب، ثم استطرد قائلا:

"أنا متعدد الجنسيات لكن موطني الاصلي شمال اثيوبيا .. أنا من قبيلة متجزرة العراقه و النبل .. كان والدي يعمل حطابا و مزارعا .. لكن اجدادي اعتادوا الحل والترحال .. حيث كانوا

يتنقلون كثيرا بين الأوديه الخصبة و حول منابع المياه .. كان والدي متمردا علي تقاليد قبيلتنا .. فلقد كان لا يجوز له ان يتزوج بفتاه من خارج قبيلتنا .. اعتقادا منهم بأن اختلاط الانساب و امتزاج دماء القبيله بدماء قبائل اخري غير أصيله قد يتسبب في حل لعنه الآباء الخالدين في الملكوت .. و قد يتعرض عرقهم الأصيل الي الأندثار والفناء عقابا لهم علي تلك الفعلة .. لكن والدي أصر علي الزواج بوالدتي ..و التي كانت سليلة إحدى القبائل الأخرى التي كانت تحكم البلاد آنذاك .. و كان نتيجه لذلك أن غضب عليه أفراد قبيلتنا .. و عقدوا اجتماعا حضره شيوخ القبيله .. و حكموا فيه علي والدي بحرق جسده بعد فصل رأسه عن سائر الجسد ، إن أصر علي موقفه بالزواج من تلك الفتاة .. لأنه حسبما كانوا يعتقدون انه صار ملعونا من أرواح الأجداد ..و يجب التخلص من روحه بالحرق ..حتي اذا صار جسده رمادا يقومون بنثر ذلك الرماد علي قمه الجبل .. بعد ان يتم مزجها ببعض من دماء أقرانه من شباب القبيلة .. حتى تتطهر روحه عند مثولها امام الآباء في العالم الآخر .. و لذلك اضطر أبي للهروب عبر حيلة ذكيه لجأ اليها ليتمكن من الفرار ..و بينما كان

رجال القبيلة يعدون العدة لحرق جسده أمام حشد هائل من أفراد القبيلة ليشهدوا ذلك العقاب .. نجح والدي بالفعل في الهروب و النجاة بروحه " .

كان يحيي مشدوها بحديث هذا الرجل الإفريقي كثيرا ، بينما هو يتحدث إليه، و يسرد تفاصيل هذة الحكايه المشوقة، و قد إرتسمت علي وجهه خلال حديثه علامات الجدية ، وكأنه عاصر تلك الاحداث بنفسه، و ليست مجرد قصة عن أبيه كان يرويها له في صغره، و قد تغير صوته فبدا خافتا هادئا كما لم يبد عليه من قبل، بالفعل استحوذ الحديث الشيق لهذا الرجل علي لب يحيي كثيرا ، و شعر بالفضول لإستكمال روايته، رغم أنه في بادئ الأمر كان لا يروق له الحديث معه علي أيه حال .

يحيي :*" قلت أن والدك لجأ الي حيله ذكيه مكنته من الهرب من رجال القبيلة في تلك الليله !! .. لكنك قطعت حديثك و لم تذكر كيف كانت تلك الحيله التي وهبت لك الحياة بعد نجاه والدك "*

دان :*" نعم أنت محق !! فلولا تلك الحيله لما رأيت نور الحياه .. و لما جئت الي عالمنا هذا ! "*

يحيي : " كما لو أنك لا ترغب في سرد المزيد عن تلك الليله الصاخبه والهامه في تاريخ والدك !! " .

دان :*" لا .. ليس كذلك !! لكنني أرغب في الذهاب الي دورة المياه !! هلا سمحت لي بالمرور ؟! "* .

يحيي :*" نعم .. بالطبع .. تفضل .. !! "* .

دان :*" اذن !! .. خذ هذا الكتاب اقرأ فيه حتى أعود اليك مجددا.. فإنني لن أغيب ! ! "* .

تعجب يحيي كثيرا لأمر هذا الرجل الافريقي، كان الرجل ثرثارا للغايه، حتي أنه كان يستفيض في الحديث بدون توقف، كان متحدثا لبقا لولا ذلك الرذاذ ذي الرائحة الكريهة المنبعث من فمه، لكنه كان يتحدث كدبلوماسيا محنكا أو سياسيا مخضرما، أو لربما كان كذلك، ذلك ما كانت توحي به هيئته ، فلقد كان يرتدي بذلة سوداء أنيقه جدا، و كانت تتدلى من رقبته ربطة عنق شديدة الحمرة، و حقيبته الجلد ذات الأزرار الذهبية اللامعة كانت تشبه إلي حد كبير تلك الحقائب الدبلوماسية التي كان يراها يحيي في لقاءاته الصحفية مع العديد من الدبلوماسيين ومسئولي الخارجية، لكن يحيي عاد لتجاهل أمر ذلك الرجل في

الوقت الذي كاد الفضول أن يقتله بحكم مهنته كصحفي لمعرفة المزيد من ذلك الرجل الإفريقي، و علي الرغم من أنه لم يثر أي فضول لديه في أول الامر، إلا أنه كان يرغب في معرفة كيف تمكن والده من الهرب، وما هي تلك الحيلة العبقرية التي ألمح إليها دون إستطراد .

تأخر دان كثيرا، و كأنه لم يزر دورة المياه منذ أيام ، ماذا يفعل هنالك كل ذلك الوقت ؟، ربما أنه إلتقى بأحد أصدقائه على متن الطائرة، و تبادل معه أطراف الحديث، لأنه لم يكن من المنطقي بأي حال من الأحوال أن يبقى طيلة ذلك الوقت بداخل دورة المياه، الأمر صار مريبا إلي حد بعيد، لكن يحيي شعر برغبة جارفة لتقصي أثره، ثم عدل عن تلك الفكرة، و قبع في مكانه، و هم بوضع سماعات الرأس علي أذنيه مجددا، ثم تردد فأنزلها عن أذنيه حينما نظر لذلك الكتاب الذي نصحه دان بقرائته قبل ذهابه الي دورة المياه .

كان الكتاب موضوعا علي المقعد فوق لحاف من الصوف خاص بكل مسافر علي الطائرة، للتغطية أثناء النوم، حملق يحيي في ذلك الكتاب طويلا، ثم إذ به ينتزعه من مكانه، و يتمعن في

إستكشاف عنوان غلافه، الذي حمل إسم " القوة البديله "، و أما في ظهر الكتاب فقد كتبت نبذه مختصرة عما يدور بداخله، وعليه كتب المؤلف هذه الجمله التي توقف يحيي عندها كثيرا : ***" ليس من العجيب او المستغرب أن نرى بينما ننظر إلي الأشياء ، بل العجيب ألا نرى بينما نحن نبصر جيدا ... "*** ، ثم استطرد الكاتب في وصف كتابه في بضعة أسطر، كان يتكلم فيها عن كيفيه تحول الأنسان الي ماكينة آلية، يمكنها ان تتقن و تبدع، و تحدث عن إمكانية تحويل العقل البشري الي ألة رقمية، يمكنها إبتكار كل ما يراد لها أن تبتكره، و عن التغيرات النفسيه التي طرأت علي انسان القرن الحادي و العشرين، و كيفية التحكم في مشاعره و عواطفه و أفكاره و رغباته عن بعد .

في اللحظة التي كاد فيها يحيي أن يفتح الكتاب لإستعراض فهرسه، كان الرجل الافريقي يضع يده علي كتفه متسائلا بتنمر مريب : ***" يبدو ان كتابي المفضل لدي قد نال اعجابك أيضا "*** ، نظر إليه يحيي نظرة طويلة حادة متعجبا، بينما كان دان يحاول المرور الي مقعده، ثم أعاد يحيي بصره إلي ذلك الكتاب من جديد مجيبا علي دان قائلا : *" يبدو كذلك !! .. لكن لا أكذب عليك لم*

تتح لي فرصه من قبل للقراءة في مثل هذا النوع من المواضيع ..لكنها فرصة رائعة لأن أبدأ في تحويل مسار نوعية كتبي المستهدف قرائتها في المستقبل ..و لكن علي كل حال هو كتاب مثير للإهتمام" .

توقف يحيي لوهلة عن الكلام، و ليرضي شهوة الفضول بداخله سأل دان عن سبب تأخره كل تلك المدة، لكن دان انزعج كثيرا من سؤاله، مما جعل يحيي يستاء بشده منه ، لأنه لم يكن يقصد إطلاقا بهذا السؤال أي إحراج له، لكن بدا علي دان أنه كان يود أن يقول ليحيي أنه أصابه عسر هضم شديد، ثم عاد دان ليقول ليحيي : ***" تعرف ما السر الذي يحمله هذا الكتاب بين طياته ؟! "*** ، بنظرة متعالية ألقي دان هذا السؤال علي مسامعه، و بنظرة طامحة في المعرفة أجابه يحيي : ***" و ما هذا السر يا ترى ؟! "*** ، فأجابه دان بينما إلتقط كتابه بسرعة من يدي يحيي:***" هذا الكتاب هو سر وجودي في هذا العالم الآن .. و هو سر نجاة أبي من الحرق في العهد البائد "*** ، ثم توقف عن السرد، و كأنما ينتظر يحيي ليبدي تعجبه ويتسائل وكيف ذلك !!، لكن دان بدا أنه يرغب في تغيير دفة الحديث، لذلك تعمد سؤال يحيي عن سبب توجهه

للسودان، فأخبره يحيي بأنه صحفيا يعمل لدى إحدى الصحف الحكومية بمصر، و أنه مسافر بغرض تغطية أحداث إبرام إتفاق المبادئ العامة المتعلقة بسد النهضة في السودان، فقال له دان في تنمر صفيق : "*هل تعلم بأننا سوف نقطع عنكم الماء؟*"، تغيرت ملامح وجه يحيي، فيما بدا عليه الغضب من وقاحة ذلك الرجل، فأجابه: "*و لهذا السبب قررت أثيوبيا بناء سد النهضة؟..صحيح ؟ ..و لكنكم تدعون عدم الإضرار بدول المصب .. و تؤكدون على ان الغرض من بناء السد هو التنمية في أثيوبيا والتي بدورها تتطلب توفر الكهرباء الذي يمكن توليده من ذلك السد العملاق.. يبدو أنها أكذوبة تحاولون ترويجها لتمويل بناء السد !* "، فضحك دان ساخرا من قوله، و بينما هو يقهقه قال: "*إنها السياسة يا عزيزي .. لا تعرف الأخلاق .. و لكن أيضا إن ذلك هو حقنا الطبيعي في مياه النيل .. فأنت كما تعلم أن النهر الأزرق يشكل نسبة 80 بالمائة من مياه نهر النيل ..و لكن تلك المياه تصل إليه في الصيف فقط .. بعد الأمطار الموسمية على هضبة أثيوبيا .. و هذا يعني بلا شك أننا منبع النيل الرئيسي الذي يهب الحياة لمصر .. لذلك فإن أثيوبيا هي شريان مصر الحيوي.. الذي*

إن إنقطع فقدت مصر روحها.. كما لها اليد الطولى على مصر و شعبها "، لم يتمالك يحيي غضبه، حيث أثاره كلام ذلك الرجل الوقح، فإنفعل بشدة، و قال له: "*لقد كانت مصر و ستظل تقطع أيادي أي شخص يحاول المساس بكرامتها و هيبتها .. و أما النيل الذي تدعي أنه ملك لكم بحجة أنكم تتحكمون في منشأه .. فهو ليس هبة او فضل منكم علينا ..و إنما يرجع الفضل لرب النيل الذي شق له طريقا حتى يصل إلينا و لايزال جاريا في عروق مصر منذ آلاف السنين .. إن ذلك المطر المنهمر الذي يسقط على هضابكم ليس بمقدور أحد أن يتحكم فيه و إنما للنيل رب يحميه"*، ثم توقف يحيي فجأة عن الإسترسال، و ذلك عندما حدث أمرا مروعا قطع سيل الكلام: ***" السادة الركاب.. برجاء الإلتزام بالجلوس في مقاعدكم.. و التأكد من ربط أحزمة الأمان.. لا داعي للقلق .. حدث نقص مفاجئ في وقود الطائرة ..مما سيضطرنا للهبوط في أقرب المطارات للشحن".***

ملأ الصراخ جنبات الطائرة، و صاح الجميع في هرج و مرج لا يمكن السيطرة عليه، كان الأمر مرعبا جدا، و ظن الركاب بحدوث عطل ما بالطائرة، بينما كان قائد الطائرة يحاول طمئنتهم بهذا

الكلام لا أكثر، لذلك فقد عمت الطائرة حالة غير طبيعية من العويل و الصراخ، بينما يحيي أصابه ضيق في التنفس، و شعر بالإختناق نتيجة لشدة الصراخ علي الطائرة، لكن المضيفات كن حريصات أشد الحرص علي تهدئة الركاب، و التأكيد عليهم بضرورة إلتزام الهدوء، و إتباع التعليمات في حاله حدوث أي طارئ، بدأ الأمر بنوبة صراخ حاده، لكن بعد ذلك بدأ الجميع في الهدوء، عندما شعروا أن الأمر ليس خطيرا الي هذا الحد، و لا يستدعي كل ذلك القلق، حيث الطائرة مازالت تطير بسرعتها المعتادة دون أي طارئ عليها، وفي تلك الأثناء أغلق يحيي عينه، و توسل الي الله لينجيه من ذلك الحدث الصعب، ثم فتح عينه ليجد الرجل الافريقي ينظر له، و عينه مليئة بالثقه والهدوء التام، و كأن لا شئ يدور من حوله، و دون أن يظهر أي انفعال أو توتر، كان رجلا مريبا حقا، وكانت ردة فعله هذه مستغربه بشدة، أي نوع من البشر هو ذلك الرجل؟!، أطال دان التحديق بيحيي، حتى قال له بكل ثقه و هدوء : ***"اتعلم لماذا هدأ الركاب الان بعد هذا الصراخ الهائل ؟!"*** ، أجابه يحيي دون أن ينطق بكلمة، فقط أومأ بفمه فيما يعني لا أعرف، فاذا بالرجل الافريقي يطرق بكفه علي

ركبة يحيي موضحا :***"لقد جعلتهم يهدأون و يؤمنوا بأن الأمر ليس علي هذا النحو من الخطورة .. ولا يتطلب هذا الكم من الانزعاج.. إنه ذلك السر الذي حدثتك عنه" .***

و ما أن أنهى الرجل كلامه حتى باغت يحيي ألم شديد في بطنه، على أثره شعر بالرغبه في التقيأ، أثنى رأسه الي الأسفل محاولا افراغ معدته، حتى تقيأ بشكل لا ارادي ، فوجد دما قد خرج من فمه، و اذا بالدم يسيل و يفيض علي الأرض كأنه سيل منهمر ، غمر الدم أركان ارض الطائرة ، و لم يلبث ان تحول الي بحر دماء أغرق كل الطائرة ، عاد الجميع للصراخ حينما رؤوا الدماء من حولهم ، و فجأة بدأت الطائرة تتهاوى بسرعه منفلته ، و فقد قائد الطائرة التحكم فيها ، و بينما يتأهب الجميع للحظه الموت ، تحدث قائد الطائرة عبر الميكروفون قائلا :

" السادة الركاب !!!

أعتذر لكم بشدة .. لقد كذبت عليكم .. لقد إنفجرت إحدى مخازن الوقود.. و نشب حريق هائل في مؤخرة الطائرة .. و إنفلت زمام الطائرة ..و ليس علي سوى أن أخبركم بأن الحياة

جد قصيرة.. و ربما تكون هذة هي نهاية الرحلة.. فاستعدوا للموت ..فلقد حل عليكم برأسه البغيضة ..لينتزعكم من أحبائكم و أهليكم........

أيها الركاب الأعزاء!! ..

أهلا بكم في الجحيم........... !! " .

2

المشهد الثاني

(الجثه)

إستيقظ يحيي فزعا من ذلك الكابوس المروع، كان رأسه ثقيلا للغاية، و كأن علي رأسه صخرة صلده شديدة الثقل، و كان يتصبب عرقا للحد الذي صارت معه وسادته وكأنها قطعة إسفنج إمتصت كل العرق بداخلها، نهض يحيي بسرعة مرتجفا من فراشه، عندما دقت عقارب ساعة الحائط بغرفة نومه في تمام الساعه العاشرة مساءا، كان صوتها مزعج لدرجه أنها نزعت النوم من جفنه تماما، بل صار من المستحيل أن يعود إليه النوم مجددا، بعد حلم طويل مزعج و موحش للغاية، جعل يحيي

يرتجف بشدة علي سريره بينما يجاهد محاولا النهوض، كانت تلك الساعة المعلقة بغرفته بمثابة المنقذ الذي أنقذه من الهلاك، أو كملاك الرحمة الذي أعاده إلي الحياه مجددا، لكن على النقيض من ذلك شعر يحيي مؤخرا أنها باتت مصدر ازعاج شديد له ، فما عادت تدق إلا و توقظه من كابوس بشع، لم تكن علي هذا النحو من النحس بادئ الأمر، عندما اقتناها قبيل عودته إلى مصر من إحدي متاجر بيع الخردوات في وسط العاصمة التايلاندية بانكوك، و ذلك اثناء تجوله في منطقه السوكومفيت ذات الطابع العربي، كان صوتها يروق له كثيرا، فهي مصنوعه من طراز نادر قديم و كلاسيكي، ذكرته بساعه الحائط ذات البندول المتحرك في منزل جدته القديم، و الذي كان صوتها صاخبا و رنانا بقوة، كان صاحب المحل التايلاندي قد اجتذب معه اطراف الحديث، بينما كان يحيي يجول في أركان المحل العتيق، ملقيا نظرات ثاقبة عميقة علي البضاعة المعروضة، لم يكن يحيي يفهم ذلك الرجل التايلاندي بشكل واضح وجلي، فقد كان يتحدث بالطبع اللغه التايلانديه، لكن انجليزيته الممزوجه ببعض مخارج الالفاظ الجنوب شرق آسيويه كانت تشتت ذهنه، لا يتذكر

يحيي تحديدا في أي موضوع كانا يتحدثان ، لكن البائع التايلاندي كان يسوق له هذه الساعة علي وجه التحديد، يتذكر فقط ان ذلك البائع التايلاندي أخبره ان عمرها يتجاوز الثمانين عاما، و أنها صناعه يدويه محترفه من عمل جده ، الذي ورث هذه الحرفة عن أسلافه ، كان بندولها ذو مرآه شديدة الصقل، و لها بريق خاطف جدا، حتى أنه عندما نظر فيها خيل له انه رأي وجهه و كأنه خارج لتوه من صالون الحلاقه، بدا خلالها شعره مشرقا نضرا و كأنه مبلل رغم انه لم يك كذلك، لقد رأي نفسه فيها كما لم ير نفسه في مرآه من قبل .

سأل البائع التايلاندي يحيي بكل ترحاب: ***" هل أنت عربي؟! "***

أجاب يحيي قائلا :***" بل انا مصري !! .. و هذه هي الزيارة الأولي لي لبلدكم الرائعه و المذهله حقا "*** .

فأجابه بوجه باش مغلف بابتسامة عريضة : ***" انها تايلاند الرائعه حقا المتعدده الثقافات ... هنا في هذه المنطقه بالتحديد أظنك تشعر و كأنك تتسوق في بلد عربي ... أليس كذلك ؟! "***

يحيي : " نعم أنت محق ... أدهشني ذلك جدا .. فكل شئ هنا يحمل طابع عربي .. المحال .. المطاعم .. تحمل أسماءا عربيا .. فعلى مقربة من هنا توجد العديد من المطاعم التي تقدم أكلات يمنيه و سوريه و عمانيه و وعراقيه ومغربيه و فلسطينيه ، حتى أنني لتوي أنهيت وجبة إفطاري بمطعم مصري خالص ..و لقد تناولت وجبه فول و طعمية مصرية خالصة، بطعم و نكهه مصريه ، و سعدت كثيرا بمقابله بعض المصريين الذين يعملون ويديرون هذا المطعم "

قاطعه البائع التايلاندي مضيفا : *" نعم يتواجد هنا الكثير من الجاليات العربيه التي تعمل في بانكوك منذ فترة طويله "*

عقب يحيي على كلامه قائلا : *" نعم !! و لقد جاء مدير المطعم المصري الاصل و الذي يحمل الجنسيه التايلانديه لمصافحتي .. و تحدثنا قليلا عن اسباب هجرته الي تايلاند .. و سبل العيش و ظروف المعيشه في بانكوك .. و أخبرني بأن زوجته المصرية متوفيه و لديه ابنتين تعيشان مع والدته العجوز .. و قد جاء الي هنا منذ وقت طويل .. و لقد استأجر هذا المطعم الذي أدر عليه ارباحا كثيرا .. و أحبته فتاه تايلانديه عرضت عليه الزواج فتزوجها و ساعدته علي الحصول علي الجنسيه .. لكنه بعد وفاة زوجته في مصر بدأ يفكر مليا في العوده الي مصر .. و تصفية أعماله في بانكوك .. والاستقرار بالوطن والتفرغ لتربيه بنتيه اللتين صرنا في أمس الحاجه اليه في تلك المرحله العمرية الصغيرة "*

البائع التايلاندي : *" هذا أمر مؤسف للغايه !! "*

يحيي : *" لكنه اخبرني بوجود العديد من المصريين الذين يعملون في تايلاند .. و بالفعل خلال تجولي في هذا السوق تمكنت من الحصول علي العديد من الصور مع جاليات عربيه عدة .. قابلت خلالها شاب فلسطيني يعيش هنا منذ أمد بعيد .. و آخر سوري جاء بعد إندلاع الحرب في بلده منذ فترة قصيرة .. و رأيت الكثير من السياح الخليجيين الذين اعتادوا علي المجئ الى هنا .. خاصه في آخر العام حيث الشهور الجافه .. هذا بالاضافه الي جميع جنسيات العالم المختلفه من جميع القارات .. انها بلد رائع حقا .. و فرصه عظيمه ان تكون في تايلاند لتقابل الناس من جميع انحاء العالم في مكان واحد ... دون أن تحتاج لزيارة جميع دول العالم ...!!*

أجابه بكل ود: *" رائع ...عظيم .. تايلاند بلد منفتح ترحب بالجميع لكن ان أمكن لي أن أسألك .. هل أنت هنا بغرض السياحه أم العمل ؟ "*

أخبره يحيي أنه جاء الي تايلاند بتكليف من رئيس مجلس ادارة الصحيفه التي يعمل بها ، و قد أوعزت له الصحيفه بعمل تقرير صحفي مصور عن فرص السياحه للمصريين في تايلاند ، بموجب اتفاق بين الصحيفه و سفارة تايلاند بالقاهرة للتسويق للسياحه في تايلاند، عبر مجموعة من المقالات الترويجيه المصورة بالجريدة التي تحظي بعدد كبير من القراء، بينما تهدف السفارة التايلانديه لزياده عدد السياح الأجانب الزائرين لتايلاند، و على

الرغم من أن يحيي لم يمض علي عمله الجديد بالصحيفه سوى ثلاثة أشهر فقط، إلا أنه حظي بإعجاب مجلس الادارة بعد عدة مقالات جلبت لهم المزيد من الأعلانات المدفوعه، مما أثر علي زياده مبيعات الجريدة، و لذلك أجرى يحيي العديد من المقابلات الصحفيه مع بعض شركات السياحه و الجاليات العربيه في تايلاند، كما تعرف على صديق تايلاندي ساعده كثيرا في إنجاز مهمته، و لقد نظم له برنامجا رائعا لزيارة العديد من أشهر معالم الجذب السياحي في تايلاند، و حصل خلال تلك الزيارة علي عدة صور رائعه ، و التي كانت إضافة مبهرة لتقاريره عن هذا البلد .

لم ينتبه يحيي لحاله بينما أطال النظر في مرآه ساعة الحائط شديده الصقل، إلا عندما رن هاتفه بصوت عال، إرتجف جسد يحيي، و كأنه مازال نائما و لم يستيقظ بعد، مسرعا ذهب يحيي لألتقاط هاتفه ليري من المتصل، لكن الإتصال إنتهى على الفور، فتح يحيي هاتفه، و بحث في قائمة المكالمات الواردة عن آخر إتصال به، لكنه لم يجد أي مكالمه واردة قبل دقيقة، شعر يحيي بالريبة من ذلك الأمر، فلقد سمع الهاتف يرن قبل لحظات، لكن آخر مكالمه واردة كانت نهارا، دعك يحيي عينيه بشدة، ظن أنه لايزال نائما، و شعر أنه رأسه لاتزال ثقيلة، و أحس بدوار و ألم

شديد في بدنه، و بينما هو على تلك الحالة من الوعي واللاوعي لمح الوقت في هاتفه، فاذا به في تمام العاشرة و الثلث مساءا، *" يا الهي .. كيف مر الوقت سريعا هكذا؟.. لم أنتبه للوقت في ساعه الحائط طيله تلك المده التي كنت أحملق فيها و أستعيد الذكريات .... انني لا أستطيع التركيز .. و أشعر بعقلي يتخبط و كأنني مشوش للغايه "* ، هكذا تحدث يحيي الي نفسه .

مسرعا ذهب يحيي لغسل وجهه ، لقد تأخر كثيرا ، كان عليه ان يستيقظ مبكرا قبل ذلك في الثامنه مساءا ، حتى انه تذكر قيامه بضبط ساعه الحائط المزودة بمنبه لتدق في تمام الثامنه ، ماذا حدث لها جعلها تتأخر ساعتين لتوقظه ؟ ، يبدو أنها تعمدت أن تدق في العاشرة لتؤخره ، الآن عليه أن يسرع للذهاب الي المطار في أسرع وقت ممكن ، و يجب أن يصرف عنه تلك الأفكار المتشائمة نتيجه ذلك الكابوس في منامه ، و أقنع نفسه أن ذلك محتملا نتيجه التوتر الذي يمر به بسبب تلك الزيارة الى السودان ، لحضور المؤتمر الصحفي الذي سوف يعقد بين رؤساء مصر واثيوبيا والسودان ، لذا قرر أن ينفض عن رأسه غبار التشاؤم ، و هم بالأسراع حتى لا تفوته الطائرة .

هم يحيي بصب الماء علي وجهه ، ثم تردد ، تذكر أنه يجب عليه الحصول علي حمام ماء بارد ليستفيق ، و ينسى ذلك الكابوس المرعب الذي لايزال حاضرا في ذهنه ، و لما انتهي هم بغسل أسنانه بالفرشاة ، فوضع عليها المعجون ثم بدأ باستعمالها ، و كعادته سرح شعره بينما كان يقوم بتنظيف أسنانه ، فاسترق النظر الي مرآه الحمام ، و أطال التحديق فيها ، حتى شعر انه مسلوب الاحساس بالزمن ، أحس و كأن الوقت توقف في تلك اللحظه ، شعر يحيي بهبوط في ضغط دمه ، و عينه أصابها شئ من الزغلله ، و يداه صارتا ترتعشان وترجفان بشدة ، و قد أحس ببروده في أطرافه وكأنها تجمدت كقطعة ثلج ، رأى يحيي دوامات تدور حول بعضها البعض أمام ناظريه ، ازدادت ضربات قلبه ، و تسارعت ، شعر كأنه يدور مع تلك الدوامات الوهمية ، وكل شئ من حوله يدور معها ايضا في أفلاك بعيده ، أضحت الدنيا تدور به بينما هو على هيئته واقفا أمام المرآه متصلبا في مكانه ، و كأن أحدا ثبت قدميه بمسامير نافذه ، *" لا أستطيع غلق عيني .. لا أستطيع ... لقد تأخرت كثيرا عن ميعاد طائرتي .. من الجيد أنني قمت مسبقا بإعداد امتعتي و حقائبي ... لم يبق سوى حقيبتي*

الصغيرة التي سوف أضع بها بعض المتعلقات الخفيفه و الاوراق الهامه و حاسوبي اللوحي الصغير الحجم " ، كان قلب يحيي يدق بتطرف ، بينما كان يكتب تلك الرسالة الي صديق له.

على الفور ارتدي يحيي ملابسه ، و بدا كل شئ جاهزا الآن ، لكنه تذكر فجاة أن سيارته قد تعطلت ليله أمس ، لقد أصابها عطل ، و لا يمكنه الاعتماد عليها لنقله الي المطار ، مسرعا فكر بالاتصال بصديقه عادل الذي بعث له برسالته ، حمل يحيي هاتفه و بدأ يبحث عن اسم صديقه في قوائم الاتصال بالهاتف ، لكنه لم يجده ، أعاد يحيي المحاوله مرة أخرى ، و أخيرا وجده ، لكن الرقم يصعب الاتصال به ، ما الخطب ؟!! ، خرج الي الشرفه لربما الشبكه رديئة بالداخل ، و عاود الاتصال بصديقه عادل ، لكنه وبينما هو يحاول الاتصال به ، وجد عادل يتصل به ، على الفور أجابه يحيي دون انتظار ، بدا على صوت عادل الانفعال الشديد ، اخبره عادل انه حاول الاتصال به عدة مرات منذ العصر ، لكن هاتف يحيي كان مغلقا في كل مرة يتصل به ، انتابت يحيي القشعريرة ، و أجاب عادل بأنه لم يغلق هاتفه مطلقا ، و لم يجده مغلقا حتى عندما استيقظ من نومه ، بل وجده علي الشحن ، و

كانت بطاريته ممتلئه لآخرها ، تعجب عادل كثيرا لسماع هذا الكلام ، و سأل عادل مستنكرا :" *صديقي .. هل انت متأكد مما تقول ؟! .. كيق تقول ذلك ؟! .. أقسم لك أنني اتصلت بك عدة مرات دون أي جدوى .. و هاتفك دوما كان مغلق "* .

يحيي : " *عادل .. أخبرني متى كانت آخر مرة اتصلب بي فيها ؟"*

أجابه عادل بنبرة متعجبه : " من نصف ساعه تقريبا !! " .

و بشئ من التوتر سأله يحيي مجددا : " *عادل أرجوك أنظر في هاتفك..و أخبرني تحديدا متى آخر مرة اتصلت علي فيها !! "،*

و بإنفعال شديد قطع عادل سؤاله صائحا : *" ليس لديك وقت لمثل ذلك الجدال الفارغ الغير مجدي !! .. هل نسيت ميعاد طائرتك ؟! زملاؤنا المرافقين لك جميعهم وصلوا المطار الآن وهم في انتظارك .. ان رحلتك في تمام الساعة الثانيه صباحا . والآن الساعه الحاديه عشر مساءا !! .. ماذا تفعل كل ذلك الوقت يا يحيي ؟! .. هل أنت في وعيك ؟! .. لقد أكدت أنت بنفسك علي ان أوقظك بإتصال مني ، كما طلبت مني أن أءتي اليك لأنقلك الى المطار بعد أن أنهي عملي .. هل تتذكر ذلك ؟! "*

يحيي :" *نعم صدقني أتذكر كل هذا !! .. اتذكر أنني طلبت منك*

أن توقظني .. و أكدت عليك القدوم لنقلي للمطار .. الآن فقط تذكرت أنني طلبت منك ذلك لأن سيارتي تعطلت ليله أمس " ، ثم استطرد يحيي متسائلا : *" أخبرني اذن أين انت الآن ؟"* ، أجاب عادل منفعلا : *" لقد كان عندي ضغط عمل كبير هذا اليوم .. و لم أتمكن من الاستئذان للمجئ اليك "* .

بنبرة صوت حادة عقب يحيي على كلامه قائلا : *" اذن اخبرني أين انت الآن ؟! .. انا أسألك !! "* .

عادل : *" أنا على الطريق الدائري السريع .. و أمامي ساعه تقريبا حتى أصل اليك .. هناك حادث ضخم على الطريق .. و توقف الطريق على اثر هذا الحادث .. و لا استطيع التحرك نهائيا.. السيارات كلها من حولي واقفه .. لقد تعلقت في هذا الطريق "* ، صائحا في وجهه غاضبا قال يحيي : *" ماذا تقول ؟! .. ساعه كامله؟! .. هل انت تمازحني ؟! "* .

عادل : *" ليس هناك وقت للمزاح !! أقول لك الطريق مغلق .. ولا يمكنني الوصول اليك في خلال ساعه .. هل تريدني ان اخبرك أنه عليك انتظاري .. و أنا أعلم يقينا أنني سأتأخر عليك ؟! "* .

تمالك يحيي أعصابه و عقب متسائلا : *" اذن ماذا أصنع الآن ؟!*

.. لقد ورطني هكذا " .

أجاب عادل متحمسا : *" هدئ أعصابك .. لا عليك .. أنا أعرف سائق قريب منك و هو صديق لي .. سأتصل به الآن و سأخبره بسرعه التوجه الى شارع القصر العيني بوسط القاهره ، و سأخبره بأن يكون في العنوان في أسرع وقت .. وسأعطيه رقمك .. ليتمكن من الاتصال بك عندما يكون أسفل العمارة التي تسكن بها "* .

أثنى يحيي على عادل كثيرا ، و حمد الله على ذلك ، و أخبره انه سوف يستعد للرحيل ، و سوف يجدد التأكد من حمله جميع أوراقه ، وتجهيز جميع الحقائب ، والنزول الي الاسفل بالحقائب لينتظر السائق ، و أغلق معه الاتصال .

لم يبق أمام يحيي سوى وقت قليل جدا ، من المفترض أن يكون في المطار الآن ، هم بإخراج حقائبه من غرفه المعيشه ، و على عجل تأكد من أنه لم ينس أي شئ ، و لطبيعته المسوسه قليلا قام بفتح الحقائب مجددا ، و فحصها من جديد ، مستغلا بذلك الوقت حتى يصل السائق ، لقد كان يحيي قلقا للغايه ، يذهب يمينا و يسارا ، و يتحرك كثيرا في أرجاء المنزل ، للتأكد من استعداده للرحيل ، و بعد أن أخرج كل حقائبه الى صاله المنزل

، و بدا كل شئ على أتم الاستعداد ، شعر يحيي بحاجته الي فنجان قهوه تركي ليحصل على قسطا وفيرا من التركيز ، أسرع يحيي بالولوج الي المطبخ ، وسريعا قام باعداد القهوة ، ووضعها على النار ، و انتظر بجانبها حتى صارت جاهزة ، و خرج الى الشرفه ليحصل على بعض الدخان بينما يحتسي القهوه في الهواء الطلق ، شعر بالاسترخاء عندما استنشق الهواء العليل من شرفة منزله ، كان الطقس رائعا في مطلع فصل الربيع ، مجددا أرسل يحيي رسالة نصية الي صديقه عادل ليسأله عن سبب تأخر السائق ، ثم جاءه الرد بأن السائق في الطريق ، و أنه أبلغه ذلك منذ عشر دقائق ، حيث قال له أنه سيكون أسفل البناية في خلال عشر دقائق ، ما يعني انه يجب عليه الاسراع للنزول الي أسفل العمارة .. و في تلك الاثناء جاءه اتصال من رقم غير مسجل ، فأجابه مسرعا : *" ألو .. أيوة حضرتك انا نازل الان !! "* .

" يا يحيي أنا عادل .. هذا رقم العمل .. لم يبق معي رصيد .. السائق أخبرني انه اتصل بك فوجد الرقم الذي أعطيته اياه خاطئا .. فعاود الاتصال بي ليخبرني بأن هاتفه سوف يفقد شحنه .. وهو الان ينتظرك أسفل العمارة ... هيا أسرع !!! " .

على الفور فتح يحيي باب المنزل على مصراعيه ، و هم بإخراج حقائبه خارج المنزل ، ثم تذكر انه وضع هاتفه على الكرسي في الشرفة ، *" تبا لذلك التوتر اللعين "* ، ترك باب المنزل مفتوحا على مصراعيه ، وأسرع الى الشرفة لالتقاط هاتفه ، و مسرعا عاد الى باب المنزل استعدادا للنزول ، اقترب يحيي من الباب فإذا به يتجمد مكانه ، حينما وجد جثه ملفوفة بكفن ملقاه أمام عتبة منزله....

" مستحيل .. مستحيل .. هذا أمر مستحيل "

3

المشهد الثالث
(في المستشفى)

من فتحة ضيقة من نافذة جفنيه ، أبصر يحيي نفسه يرقد ممددا على سرير أبيض ، ملتف بغطاء أبيض ثقيل ، بدأ يحيي بفتح نافذة عينه ببطء ، حتى أدرك أنه موجود بغرفه في مستشفى ، و يلتف حوله عددا من الاشخاص ينظرون اليه بشغف ، اعينهم تبدو عليها القلق ، بينما هم يتهامسون فيما بينهم بكلام لم يدركه يحيي جيدا في أول الأمر ، لكن تدريجيا شعر يحيي بأنه يستعيد روحه و إحساسه بجسده ، عندما حاول تحريك ذراعه ،

فكاد أن ينزع المحلول المعلق من يده ، في الوقت الذي أحس فيه بألم شديد في ساقه منعه من تحريك قدميه ، انتفض الجميع من حوله ، و أمسكوا به حتى لا يحرك المحلول المعلق له ، و بصوت عال هلل الجميع قائلين : *" يحيي !! .. حمدا لله على سلامتك !! "* ، اقتربت غادة من يحيي بحذر ، ووضعت يدها علي كتفه قائلة : *" الحمد لله على سلامتك يا أخي !! أخبرني كيف تشعر الآن؟ " ،* حرك يحيي عينه ببطء ، ونظر نحوها قائلا بصوت منخفض جدا *: " أنا لست بخير !! أشعر بألم شديد ! ماذا حدث لي ؟! "*، حاول يحيي مجددا تحريك يده بعنف ، فصرخ الجميع بشده صرخه قوية مدوية .

يحيي : *"أين أنا ؟؟ .. ما الذي جاء بي الى هنا ؟!! ... أخبروني!! "*

قال عادل محاولا تهدئة يحيي *: " اهدأ أرجوك يا يحيي ... هذا الانفعال خطر عليك !! "* .

ازداد انفعال يحيي ، و قام بتحريك قدمه في محاولة للنهوض من مكانه ، صاح الجميع في صوت واحد قائلين : *" يحيي هذا لا يصح .. اهدأ أرجوك !! "*

يحيي : *" ما الذي جاء بي الى هنا ؟ .. أخرجوني فورا الآن "* .

خرج عادل مسرعا من الغرفه لإستدعاء الممرضة ، و قالت غادة *: " انت بخير يا أخي .. لا تقلق .. فقط اهدأ !! ليس هناك ما يدعو لكل ذلك الفزع الذي يصيبك !! " .*

عاد عادل و خلفه الممرضة ، أسرعت الممرضة نحو يحيي ، و بينما تقوم بحقن المهدأ في المحلول ، قالت ليحيي و هي تنظر له مبتسمة *: " كيف هو حالك الآن ؟ ... باذن الله تعالى ستكون بأفضل حال .. لكن فقط عليك عدم التحرك كثيرا .. و لا داعي للعصبية المفرطه التي تقوم بها "* .

يحيي : *" انا أريد أن أعرف كيف حدث لي هذا ؟ .. و لماذا أنا هنا بتلك المستشفى اللعينة ؟ "* .

الممرضة : *" أنت بخير .. تعرضت لحادث بسيط .. و قدر الله لك النجاة .. هذا يدعوك للرضا لا الغضب"* .

يحيي : *" لابد أن أغادر هذا المكان .. انا لا احب المستشفيات .. و لا أطيق البقاء هنا .. "* ، ثم استطرد قائلا : *" لكنني لا أستطيع تحريك قدمي .. أشعر بألم فظيع في ساقي .. لابد أنني تعرضت لحادث كبير ... غادة أرجوكي أخبريني ماذا حدث لساقي ؟ .. هل بترت ساقي أنا لا أشعر بها ؟ "* .

أنهت الممرضة عملها ، و بينما هي تستعد للخروج ، قالت : "*لا تقلقوا .. سيكون بخير .. بعد اذنكم !"* ، فأذنوا لها بالإنصراف ، و خرجت على الفور ، أقترب وليد –صديق يحيي بالعمل- من يحيي محاولا تهدئة روعه ، و قال : *" يحيي !! هل تشعر بتحسن الآن؟ .. لقد فزعنا عليك كثيرا .. أتصل بي وحيد و أبلغني أنك حضرت الى هذه المستشفى في سيارة اسعاف .. لم يكن هنالك وقت لمعرفة المزيد .. كنت فالعمل حينها .. لكنني استأذنت مسرعا ، بعد ان أبلغت أستاذ ممدوح بخبر حادثتك "* .

قاطعه الأستاذ ممدوح – رئيس تحرير الجريدة التي يعمل بها يحيي - مازحا بصوت ضاحك : *" اذا لم تهدأ الآن سنذهب .. و لن ياتي احد لزيارتك مجددا .. "* .

عادل – ضاحكا- *: " نعم !! و ستبقى هنا وحيدا .. أليس كذلك يا غادة ؟ "* ، تنهدت غادة بعمق ، فوضعت يدها على جبين يحيي ، و قالت بصوت يشوبه القلق : *" لا .. لن أفعل .. لن اترك أخي وحده بعد ان اطمئننت عليه .. أحمد الله كثيرا على انه حفظه لنا سالما .. و الشكر لله الذي نجاه من ذلك الحادث المروع !! "* .

هدأ يحيي كثيرا بعد حقن جرعة المهدأ ، و وضع يده على يد أخته فوق جبينه معقبا : *" حفظك الله لي يا أختي .. أخبريني حفظك الله كيف حدث ذلك ؟ "* ، ترددت غادة في التكلم ، ونظرت الي عادل ، و بغمزة خفيفة قالت : *" سأترك عادل يروي لك ! "* ، ثم طرق أحد الباب فجأة ، فأسرع وليد لفتح الباب ..

" السلام عليكم .. مساء الخير .. كيف حالكم جميعا ؟ !! " .

غادة : *" طارق !! .. أتفضل .. تعالى .. "* ، و قدمته للحضور قائلة *: " طارق .. زوجي "* ، دخل طارق ، و سلم على جميع الموجودين فردا فردا ، ثم أقترب من يحيي ، و ألقى عليه السلام ، أجاب يحيي بصوت متألم *: " الحمد لله .. شكرا لك يا طارق.. كيف حالك؟* "، فأجابه طارق قائلا : *" أنا بخير .. لكن ما يهم اكثر هو حالك أنت يا بطل .. باذن الله تعالى تقوم لنا بألف سلامة .. و تعود الي عملك وحياتك بشكل طبيعي قريبا "* ، و فجأة صاح يحيي بصوت عال مذهولا *: " تذكرت !! .. تذكرت !"* ، ثم نظر للمحيطين له في دهشة قائلا : *" المؤتمر !! .. السفر ... المطار !! .. لابد ان أذهب الي المطار الآن .. يجب أن ألحق بالوفد المسافر*

الى السودان لحضور المؤتمر الصحفي " ، فأجابه الأستاذ ممدوح *: " لا .. بل سوف تبقى هنا حتى تسترد عافيتك ، و تتمكن من العودة الي العمل من جديد بشكل طبيعي "* .

صمت يحيي قليلا ثم قال حزينا : *" هذا يعني أنني لن اتمكن من حضور المؤتمر الذي أعددت له كل عدة "* ، نظر يحيي الى عادل و سأله عن الوقت ، ثم طلب منه أن يخبره لماذا لم يتمكن من اللحاق بالطائرة .

لم يجد عادل بدا من الاجابة ، فنظر الى يحيي ، و قال : *" أنا لا أعرف بالتفصيل ما حدث .. كل ما أعرفه أن آخر مكالمه معك كنت أخبرك فيها ان السائق بأنتظارك أسفل العمارة .. و أكدت عليك أن تسرع بالنزول اليه ... "* ، قاطعه رئيس التحرير قائلا : " *كانت طائرتك التي حجزتها لك الجريدة في تمام الساعه الثانية صباحا .. و قد ذهب كل زملائك في الجريدة المرافقين لك الى المطار و انهوا اجراءات المطار كلها .. و كانوا في انتظارك حتى تأخر الوقت ... و اقترب ميعاد الصعود للطائرة .. تلقيت اتصالا من المصور يخبرني أنهم حاولوا عدة مرات الأتصال بك لكن دون جدوى ... أغلقت معه على الفور .. و اتصلت بك لكن أيضا دون*

جدوى .. هاتفك كان مغلقا .. و عليه أسرعت بالأتصال بعادل لأسأله عليك .. حيث أخبرني عادل بأنك في طريقك الى المطار .. و انه من المفترض ان تكون قد وصلت الى المطار في الوقت الذي كنا نتكلم فيه " ، فقاطعه عادل موجها كلامه لرئيس التحرير قائلا : " نعم .. و أما السائق فكان لا يجيب على الهاتف .. ما أثار الشكوك في صدري و أصبت بالقلق و الحيرة .. انتظرت قليلا حتى عرفت ان الوفد المسافر مع يحيي قد صعد الى الطائرة عدا يحيي .. عندها فكرت لربما أن يحيي حدثت له مشكلة في المطار و لم يتمكن من عبور منطقة الجوازات .. لم يخطر ببالي أن مكروها حدث له .. و في تمام الساعه الثانية صباحا .. جاءني أتصال من المستشفى يخبرني أن حادث وقع لأحد الأشخاص .. و بفحص هاتفه عثروا على رقمي الذي كان آخر رقم أتصل به المصاب .. و عندما استفسرت عن إسم ذلك المصاب .. اخبروني بإسم السائق .. اسرعت بالأستفسار عن شخص آخر كان برفقته في السيارة .. أخبروني (نعم و اسمه يحيي) و انه أيضا حضر معه في سيارة الأسعاف .. و أمروا بادخاله الي العنايه

المركزة .. حيث أنه كان بحالة سيئة و يعاني من نزيف حاد بالمخ كان من الممكن أن يودي بحياتك " .

استمع يحيي الى هذه الروايه في صمت مطبق ، حتى أنتهى عادل من كلامه فعقب بصوت خافت قائلا : " *فهمت .. لقد تعرضت لحادث بشع ... انفجرت الطائرة و سقطت في الصحراء"*، تعجب الحاضرون جميعهم ، و تقاسموا النظرات فيما بينهم ، فعقبت غادة على كلام يحيي قائلة بهدوء : ***" حبيبي انت لم تركب الطائرة أصلا .. لقد تعرضت لحادث بالسيارة الأجرة علي طريق المطار .. و قد اصطدمت السيارة بأخرى ملاكي .. لقي صاحبها مصرعه على الفور بينما قدر الله لك عمرا جديدا "*** ، عبس يحيي عبوسا ، و قطب حاجبيه بشدة ، بينما هو يستمع لحديث غادة ، بدا عليه الدهشه والذهول ، و أخذ يحملق في الجميع بشدة ، لاحظ الحاضرون عليه علامات الصدمه، و أنكروا عليه هذا الذهول ، فيما تعجب الجميع من اطالة يحيي التحديق بهم مذهولا ، و ظنوا أنه أصابه مكروه من أثر الصدمه ، بادر رئيس التحرير بالكلام قائلا : ***" أظن أنه علي الذهاب الآن .. انا سعيد للغاية لأطمئناني على سلامتك يا يحيي .. و أسال الله***

القدير أن يتم شفائك على خير" ، رفع يحيي يده مشيرا لرئيس التحرير و قال : ***" أستاذ ممدوح من فضلك لحظة ... ماذا عن المؤتمر الصحفي الذي يفترض أنه سيعقد صباح هذا اليوم ؟ كيف قمتم باستدراك الموقف ؟ و هل تمكنتم من حضور المؤتمر اليوم ؟ "*** ، أجابه أستاذ ممدوح قائلا : *" يحيي .. لا تفكر كثيرا ... سوق ينعقد المؤتمر بعد لحظات ..و كل شئ جري حسب الترتيب له .. لكن لا أريدك أن تفكر في مجريات الأمور بالعمل الآن .. المهم ان تستريح حتى تتمكن من العودة الي العمل في أقرب وقت ممكن .. نحن جميعا في انتظار عودتك على أحر من الجمر .. بعد أذن الجميع .. "* ، و بينما رئيس التحرير يستأذن للمغادرة ، اقتربت غادة من يحيي ، و امسكت بهاتفها ، ثم قامت بتشغيل فيديو مباشر على اليوتيوب ، و قالت ليحيي و هي تريه الفيديو : ***" انظر يا يحيي .. المؤتمر الصحفي ينعقد الان في بث مباشر على اليوتيوب !! "*** ، استمع يحيي منصتا الى خطاب الرئيس المصري الذي أكد فيه التوصل الى اعلان اتفاق المبادئ العامة بين دول حوض النيل الثلاث ، ثم انتهى اللقاء بعد ان امسك الرؤساء الثلاث بأيدي بعضهم البعض ، في اشارة

الى تحالف قوي وثيق وطيد ، و بدا على هذا اللقاء التاريخي انه انتهاءا للازمة الناشئة بين دول حوض النيل ، و بداية النهاية لهذا الخلاف المحتدم ، عقب عادل على هذا الفيديو قائلا : *" الكثير من بنود هذا الاتفاق تبدو مبهمة و غير واضحه .. و من الواضح ان مصر قد أقرت بحق اثيوبيا في بناء السد .. و تنازلت عن حقها في الدفاع عن أمنها المائي .. و هذا الاتفاق بمثابة إطلاق اشارة البدء في اعمال بناء و تشييد هذا السد العملاق .. اخشى ان تكون مصر رضخت لضغوط اثيوبيا .. و غضت الطرف عن المحاولات الخبيثة لتهديد أمن البلاد المائي .. نحن نتعرض لخطر قومي وشيك .. و ربما سوف نكون على أعتاب فقر مائي و قحط شديد بنهاية العام 2020 عندما يبدأ العمل على ملأ خزان السد .. و هذا الاتفاق ابدا لن يكون الحل في انهاء الازمة .. "* .

و بينما غادة تقلب في فيديوهات اليوتيوب ، ظهر لها بث مباشر جديد ، كان فيه الرئيس المصري يتحدث الى أحد الصحفيين ، فأسرعت تقول :*" انظروا يا جماعة .. الصحفيون يسألون الرئيس عقب الانتهاء من المؤتمر "* ، انتزع يحيي الهاتف من يد غادة ، و صاح قائلا ***: " عادل .. انظر !! أليس هذا هو زميلنا مهاب ؟ "*** ،

ألقى عادل نظرة على الفيديو ، فوجده بالفعل زميلهم في الجريده مهاب ، و هو صحفي معد بالجريدة ، و مبتدئ حيث لم يمض على عمله بالجريدة وقت طويل ، كان يحيي قد اختاره للسفر معه ، لمساعدته في كتابة التقارير ، و الاعداد للقاءات الصحفية مع بعض المسئولين ، ثم رفعت غادة صوت ميكروفون الهاتف ، و انصتوا جميعا لحديث الرئيس المصري الذي قال : ***" كونوا مطمئنين تماما .. في اثيوبيا في السودان في مصر .. لقد اتفقنا ليس هناك ضرر على احد .. مصلحتنا جميعا مشتركة .. و نحن نتكلم كدولة واحدة "*** ، ثم وجه مهاب سؤالا الى الرئيس المصري قائلا ***: " سيادة الرئيس !! هل يعني ذلك أن الازمة قد انتهت ؟! "*** ، ضحك الرئيس المصري في عدم إكتراث ، و أجاب قائلا :***" ليس هناك ازمة أصلا .. مبروك "*** ..... و توقف البث ...

وضع طارق يده على كتف زوجته ، و قال *: " أعتقد ان وقت الزيارة المسموح به قد شارف على الأنتهاء و علينا المغادرة"* ، عقب عادل قائلا : *" نعم .. يحيي علينا المغادرة الان و سأعود لزيارتك مساءا .. لا تقلق !! "* ، قال يحيي في ضجر :*" أنا لا يمكنني البقاء هنا .. أرغب في الرحيل و استكمال علاجي في منزلي "* ،

عقبت غادة على كلامه قائلة :***" انت لا يمكنك المغادرة اليوم يا يحيي .. لم تكمل علاجك بعد .. و لن تقدر على السير على قدمك بشكل سليم .. عليك الانتظار يومين أو حسبما يخبرنا الطبيب المشرف على حالتك .. لا تكن هكذا كالأطفال المدللين .. أعتني بنفسك جيدا .. و سوف نكون بجانبك دائما.. ستكون الأمور على ما يرام " .***

بدا على يحيي الاستسلام للأمر ، ثم التفت الى عادل مخاطبا أياه ***: " عادل من فضلك أرغب في التحدث اليك بمفردنا "*** ، تدخلت غادة على الفور ، و أسرعت بمخاطبة الحاضرين جميعا ***قائلة : " هيا .. دعونا ننتظر بالخارج حتي ينتهي عادل و نرحل سويا "*** ، فخرج الجميع من الغرفة ، و بقي عادل مع يحيي ، سحب عادل كرسي ، و جلس لجواره ، و بدا عليه الفضول لمعرفة ما الأمر الذي رغب يحيي في التحدث بشانه منفردا معه ، قال يحيي دون أن ينتظر *: " عادل .. أنت آخر شخص تحدثت اليه قبل المجئ الى هنا ؟؟ أنني أتذكر ذلك جيدا .. حديثنا في ذاكرتي كأنه حدث منذ ساعه .. عادل أرجوك استمع لي و انصت جيدا لما أقوله .. أنا لا أتذكر كيف وقع الحادث بل حتى أنني لا اتذكر السيارة الأجرة*

التي تعرضت للحادث و لا حتى سائقها الذي أصيب معي .. " ، قاطعه عادل بهدوء قائلا : *" هذا أمر طبيعي يا صديقي .. الحادث أصابك بنزيف على المخ .. و هذا على الأرجح قد تسبب بمشاكل لك في الذاكرة و مراكز الأدراك والأتزان لديك .. لكنك سوف تتماثل للشفاء سريعا "* ، قاطعه يحيي قائلا *: " عادل أنا لم أفقد الذاكرة .. انا اتذكر جيدا آخر ما رأيت قبل الحادث .. عادل ما سوف أقصه عليك الآن ربما يكون دربا من الجنون .. هل أصابني الجنون حقا يا عادل .. أخبرني يا صديقي !! "* ، زرفت عين يحيي بعض الدمع ، فيما بدا عليه أنه سيجهش بالبكاء ، فاندفع عادل متعجبا *: " جنون ؟ .. لما تقول هذا الكلام السخيف ؟! .. ليس هنالك ما يستدعي هذا الهراء "* ، أومأ يحيي برأسه تعبيرا عن الضجر و قال *: " عادل .. اسمعني .. هناك خطب ما .. ربما سوف تستدعيني الشرطة في أي وقت "* ، قال عادل قاطعا كلامه *: " الشرطة ؟! .. لماذا ؟ .. هل قمت بعمل أجرامي دون ان تخبر أحد ؟ "* ، أنفجر يحيي بالبكاء و قال ***: " لا .. أقسم لك لست انا .. و أعرف من القاتل .. "*** .

تفاجأ عادل لسماع هذا الكلام العجيب من يحيي ، و قال ***: " يحيي .. أرجوك أهدأ .. أنا لا أفهم منك أي شئ .. اخبرني بهدوء ماذا تقصد ؟ "*** ، أجابه يحيي قاصا عليه ما حدث ***: " بعد ان أغلقت معك الأتصال .. هممت باخراج الحقائب من المنزل .. ففتحت باب المنزل على مصراعيه .. ثم تذكرت أنني نسيت حقيبتي الصغيرة التي احمل فيها أوراقي الثبوتيه على كرسي بشرفة المنزل .. فتركت باب المنزل مفتوحا و أسرعت بالولوج لداخل البيت لجلب الحقيبه .. لكنني عندما عدت وجدت جثة ملفوفة بقماش أبيض يشبه الكفن ملقاة امام باب منزلي بينما لم تكن موجودة أول ما فتحت باب المنزل .. لقد رأيتها رأي العين .. "*** ، عقب عادل على كلام يحيي مستهجنا *: " يحيي ما تقول دربا من العبث .. انك تهزي نتيجه المهدأ الذي اخذته .. أو ربما كانت مجرد هواجس بصرية أصابتك مؤخرا نتيجه للقلق و التوتر المبالغ فيه الذي حظته عليك في الفترة الأخيرة .. ما تقوله غير معقول ولا يجب عليك التفكير فيه لأن ذلك سيرهقك و سيزيد حالتك سوءا .. أنت تعاني من اضطراب نفسي مؤقت و سوف تكون بخير عما قريب "* ، رد يحيي قائلا *: " أقسم لك أنني*

لا أهذي و أن كل ما أقوله ليس الا واقع رأيته بعيني و ليست احلام يقظه و انني أعي جيدا ما أقول " ، فقال عادل و قد أمسك بكتف يحيي قائلا له *: " هذا ليس الوقت المناسب لمثل ذلك الحديث و ان كان حقا ما تقول .. فمن المفترض ان احد الجيران سيجد تلك الجثة ويتصل بالشرطه فورا ، و عليه فان الشرطه سوف تستدعيك أو تأتي الي المستشفى للتحقيق معك .. أما و ان لم يحدث ذلك و لن يحدث فأعلم ان ما تمر به مؤخرا ليس الا هواجس و كوابيس نتيجة للضغط النفسي والبدني في العمل .. لذا فما عليك الآن فعله هو الهدوء والاسترخاء التام .. لا تفكر كثيرا ولا تجعل أعصابك مشدودة دائما بكثرة التفكير .. و لا تقلق سأعود اليك مساءا .. و غدا ستكون الأمور في احسن حال .. و ستعود الى منزلك في أقرب وقت"*، نهض عادل من مقعده ، و ربط مجددا على كتف يحيي قائلا : ***" لابد ان تعلم انك اهم صحفي عندنا بالجريدة .. لذا يجب عليك ألا تطيل غيابك عن العمل "*** ، ثم ألقى عليه تحيه الوداع و غادر على الفور .

4

المشهد الرابع
(في المعبد)

في سرداب ضيق للغاية ، بالكاد يستطيع المرء السير بداخله ، و تحت تأثير ضوء خافت ضعيف ، يحتد مع التقدم نحو الامام ، ينبعث ضوءه من نهاية الممر ، يبدو كشمعدان كبير متألق تتلألأ شمعاته كالنجوم ، كان يحيي يخترق ذلك الممر الضيق ، ماضيا في طريقه نحو الامام حيث مصدر الضوء ، سالكا ذلك السرداب الذي يضيق عليه كلما تقدم أكثر للامام ، مخترقا العباب الكثيف الذي خلفه ذلك الضوء الخافت الصادر من مكان بعيد ، جعله

ذلك العباب يشعر و كأنه داخل نفق ضيق لا نهاية له ، استمر يحيي في المضي قدما في ذلك النفق المخيف ، و قلبه ينتفض في صدره بقوة بالغة ، حتى أنه لم يكد يسمع أي أصوات سوى صوت أنفاسه و دقات قلبه المتسارعة ، و في اثناء ذلك استمر يحيي في المضي قدما داخل ذلك الممر الضيق الذي لا يعرف مكانه ، و لا يعرف كيف دخله ، كان العرق يتصبب بكثافة فوق جبينه ، ثم انطفئ الضوء الصادر من مكان بعيد لوهلة قصيرة ، لكنه عاد مجددا ، ثم عاود الكرة من جديد ، حتى أضحى يضئ و يسرج عدة مرات في الثانيه الواحدة ، و في كل مرة يصاحب ذلك سماع اصوات مخيفة لخفافيش تطير فوق رأسه دون أن يشعر بحركتها فعليا ، و صدرت أيضا أصوات بوم قوية مدوية ، ما أرغمه على وضع أصبعه في أذنيه ليتفادى تلك الاصوات المخيفة.

قطع يحيي مسافة كبيرة داخل ذلك النفق ، دون أي جدوى لأيجاد مخرج قريب ، كان يبدو انه كلما ركض أكثر للامام اشتد الضوء و اقترب مصدره ، لكنه لا يعلم متى سينتهي من ذلك العذاب ، و متى سيصل لنهايته ليجد المخرج ، اخذ يحيي

بالركض رأسا في حث و لهث ، في اتجاه الضوء المنبعث من بعيد ، لعله يرشده الي باب الخروج الكبير ، الذي ينهي تلك المعاناة ، و يخرجه من ذلك الجحيم المتصل بلا انقطاع ، و بينما كان يحيي يخترق الشعاع البعيد راكضا نحوه ، سمع صوتا يناديه من بعيد ، بدا انه صوتا لإمرأة ، و كان حانيا جدا كأنه يهمس في أذنيه ، لكن صداه كان قويا و مدويا ، أسرع يحيي بالرد عليها صارخا ***: " ساعديني !! .. ساعديني أرجوكي !! .. أين انتي ؟! .. اخرجيني من هنا أرجوكي .. ساعديني !! "*** ، عاد الصوت من جديد مدويا بنبرة أقوى و أشد قائلا ***: " يحيي .. يحيي .. تعال .. انا هنا .. أسرع .. انت تقترب ! "*** ، ثم توقف الصوت دقيقة ، ثم عاد أقوى قائلا ***: " يحيي .. يحيي .. اقترب .. اركض سريعا .. انت تقترب .. تقترب ... انا هنا .. تعال "*** ، ثم توقف ذلك الصوت تماما ، فصرخ يحيي بصوت ناحب متحشرج ***: " ارجوكي ساعديني سأموت .. ارجوكي ! "*** ، ظل يحيي يصرخ باكيا طالبا المساعدة ، حتى وجد نفسه فجأة امام باب حديدي ضخم ، يتدلي فوقه سراج منير ، كان ذلك الباب موصدا بخمسة من الأقفال الضخمة ، و كانت تلك الاقفال الضخمة تحمل بداخلها مفاتيحها

، فطفق يفتح كل قفل على حده ، حتى انتهى ، و حينها اندفع الباب بقوة الي الوراء ، فاذ ا به ينفتح على صرح كبير شاهق بلا سقف ، ممتلئ بالكثير من العمدان الضخمه الشاهقة الارتفاع ، تكاد عمدانه ان تلامس السماء ، بدا ذلك الصرح الضخم و كأنه معلق في السماء ، كان ممتد و شاسع لدرجة أن البصر لا يبلغ منتهاه ، لم يكن هذا المكان محتشد بالبشر ، بل رأ ى عدة اشخاص يسيرون فيه على مهل خافضين رؤوسهم في الارض ، كما رأى هناك مجموعات من البشر تتجمع في اماكن شتى .

كان هناك جمعا من الناس يحتشدون امام حائط كبير ، يلبسون على رؤوسهم قلنصوة مطرزة بالذهب ، تبدو خلالها رؤوسهم و كأنها تلمع ، يتدلى منها ضفائر شعر طويله جدا تلامس الارض ، و قد تزينوا على صدورهم بسلاسل ذهبية ضخمة براقة تشع نورا ، كانوا يرتدون سراويل سوداء طويلة من الحرير الخالص ، لها ذيول طويلة جدا ، تغطي الارض خلف ظهورهم ، و تنجر ورائهم كلما تحركوا ، كانوا يتمتمون بصلوات ، و يحركون رؤوسهم الي الاسفل بسرعات متفاوتة ، و هم يقرأون من كتاب ضخم معلق في الهواء ، منفتح امامهم ، تجاوز طوله وعرضه عدة

مترات ، كان يصدر عنه ضوءا شديدا كالشمس ، بينما كانوا من شده نوره يبدون و كأنهم يشعون ضياءا ، كالبدر المضئ ليله تمامه ، تتلألأ في ضيائه سراويلهم السوداء المنسدله من أجسادهم .

و بينما كان يحيي يسير في ذلك المعبد الشاهق ، أخذ ينظر حوله يمينا و يسارا ، و كأنه يستكشف أمرا خطيرا او خطبا عظيما ، كان يتفقد كل شئ من حوله بدقة متناهيه ، و في أثناء ذلك رأى يحيي تماثيل شتى ، و أصنام كبيرة بعدها لحيوانات و بعضها الأخر لبشر أو رؤوس شياطين ، كانت منحوتة ببراعه و دقة عالية ، كانت تلك التماثيل الضخمة تشبه الى حد ما المنحوتات العظيمه لقدماء المصريين في معبد الكرنك بالأقصر ، وجد عندها رجل قوي البنيان ، عريض الكتف ، أبيض البشرة بصفرة شديدة ، حليق الشعر ، يرتدي لباسا كلباس الرهبان ، لونه أبيض ناصع ، و قد التف حوله ثلة من المتجمهرين ، ينصتون اليه بينما كان ذلك الرجل يخطب فيهم ، لقد كانوا يلتفون حوله في حلقة دائرية ، مشدودين لحديثه ، منتبهين لكلامه أشد انتباه ، و كان من الواضح ان ذلك الرجل ذو شأن

عظيم بينهم ، لكن فيما كان يخطب فيهم ذلك الرجل؟ ، لم يتسنى ليحيي ان يقترب منهم ليسمع بشكل أوضح ، في الوقت الذي كان صوت ذلك الكاهن منخفضا للغاية ، لكنه كان يقوم بالتلويح بيده في اتجاهات عدة ، يظن الشاهد أنه يصرخ فيهم ، او أنه يخطب فيهم بانفعال شديد ، او ربما يحذرهم من أمر ما ، كما كان البعض يرفعون ايديهم فيما يبدو عليهم الاعتراض من امر ما ، و كان آخرون يتهامسون فيما بينهم ، بينما راح أغلبهم ينصت لهذا الكاهن في امعان شديد ، مجلون ذلك الكاهن إجلالا ، موقنون بصدق خطابه يقينا خالصا لا لبس فيه .

استمر يحيي في التجول بين جنبات هذا المعبد الضخم ، حتى رأي هنالك عددا كبيرا من المسلمين يسجدون ، و قد عرفهم من تحية صلاتهم ، و هم يكبرون ، كان عددهم كبيرا للغايه لكنهم كانوا يصلون بلا امام يؤمهم ، كيف ذلك ؟ .. كيف لهم أن يصلوا جماعة بلا امام ؟ .. يسجدون و يركعون معا في وقت واحد بانتظام شديد لكن بلا امام لهم .. كان امرهم عجيبا حقا ، و على مقربة منهم رأي يحيي عدة اشخاص متجمعين بين عمودين شاهقين ، تعلوهما لوحه معلقه في الهواء للمسيح بن مريم ،

كانت تلك اللوحه الفنيه شديدة البهاء و الجمال ، تحمل تفاصيل دقيقة لملامح المسيح و أمه ، و قد رسمت في غايه البراعة والتصوير والاتقان ، لقد كانت لوحه جميلة ملفتة للغاية ، تجبر كل من وقعت عينه عليها أن يحدق فيها مليا ، و يتأمل جمالها وبهائها و ألوانها المتناسقة المتناغمة و المنقوشة بدقة عالية ، كانت تلمع و كأنما انسكب عليها الذهب الخالص ، كما كان اطارها مصنوع من الذهب الذهب الصافي الذي يسحر العين ، كان يتجمع بين هذين العمودين الشاهقين عددا محدودا من الناس ، يؤدون صلاة خاصة بهم ، و قد وقف كبيرهم امامهم ، يحمل في احدى يديه شمعدان مضئ ، به عدة شمعات ناصعة البياض تتوهج كالثلج ، و في اليد الاخرى حمل صليبا ذهبيا ثقيلا ، يدفع به الى الامام ، و يحركه في حركات منتظمه وثابته ، و كأنه يرسم صليبا في الهواء .

لكن في آخر ذلك الصرح الكبير ، في مكان منزوي و بعيد ، رأي جمهور كبير من الناس ، يجلسون على كراسي بلاستيكية امام فرقة موسيقية ، تعزف لهم بعض المقطوعات الموسيقية المؤثرة فيما يبدو ، كان حفل هادئ لا صخب فيه ، لدرجة انهم

جميعا كان يبدو عليهم النوم ، و كأنما اصابتهم غفوة طويلة تحت تأثير هذه الموسيقى الرائعه ، كان يحيي يعرف تلك الموسيقى ، كانت تلك الموسيقى تسمي بموجات ألفا النقية عالية التردد ، و هي موسيقى هادئة ذات خواص إبداعية عالية ، و التي تسكن الروح ، و تصفي الذهن ، و تنشط العقل ، كان يستخدمها يحيي احيانا عندما يعاني من الارق ، راح الجميع في نوم هادئ و هانئ ، لا يعكر صفوه و جماله أي شئ ، جلس يحيي الى جوارهم ، و نظر حوله ، فوجد الجميع يغط في نوم عميق ، مطبقي الجفون ، مائلين برؤوسهم الى الاسفل ، فيما بدا عليهم أنهم في سبات عميق ، جلس يحيي يستمع الى تلك الموسيقى الرائعة التي يحبها كثيرا ، ناظرا امامه في صمت مطبق ، باسطا كفيه فوق ركبتيه ، منحنيا برأسه قليلا الى الاسفل ، غامضا عينيه ، و راح يرخي جسده المثقل بالوجع ، شعر يحيي براحه في بدنه ، و أحس ان جسده صار مرخيا تماما ، و ان روحه تتسرب من جسده بخفة و وداعة ، لتتحرر من أسر ذلك الجسد اللعين ، و تنطلق الى الملكوت الشاسع ، بينما جسده ظل قابعا على المقعد البلاستيكي في سكينه تامة ، عندها سمع يحيي ذلك الصوت

العذب الذي كان يناديه في النفق البعيد ، عاد مجددا لينادي عليه بلطف و حنان ، هامسا في اذنيه بسلام ،***قائلا : " يحيي .. يحيي .. يحيي .. هيا يا يحيي .... هيا !! " .***

5

المشهد الخامس
(في المنزل)

ظلت غادة تنادي على يحيي لمدة طويلة دون اي استجابة ، كان يحيي يغص في نوم عميق ، لم يكن يستطيع الاستفاقة من نومه على أية اصوات محيطة به ، فأسرعت غادة الى غرفة نومه ، و طرقت باب غرفته عدة مرات ، كان الباب مواربا قليلا ، انبعث داخلها قلق شديد على أخيها ، فدفعت الباب ببطء بيدها ، حتى انفتح على مصراعيه ، اقتربت من سرير يحيي كثيرا ، فوجدته نائما على ظهره ، مائلا برأسه قليلا ناحية اليسار ، و قد سقط غطائه الذي يلتحف به على الارض ، عاودت غادة النداء عليه ،

بينما اقتربت منه ، و مسحت بيدها على جبينه ، لكن دون جدوى ، امسكت غادة بيد أخيها لتفصح نبضه ، الذي بدا طبيعيا ، فطفقت توكزه في كتفه بشدة حتى يفيق ، و همست في أذنيه :" ***يحيي .. يحيي .. يحيي .. هيا يا يحيي .. هيا انهض .. لقد أحضرت لك الطعام " .***

انتبه يحيي أخيرا لنداء أخته ، و فتح عينيه ، لكنه فزع فزعا شديدا ، و صرخ بصوت عال ***: " أين أنا ؟ .. "*** ، و ظل يحيي يكرر ذلك السؤال بهستيريا شديدة ، حتى هدأ ، بعدما أسرعت غادة بإحضار كوب ماء له ، حيث أدركت أنه كان يحلم حلما ثقيلا ، و عندما هدأ يحيي ، و أدرك انه على فراشه بمنزله ، و أنه غادر المستشفى .

غاده :***" أخي .. هل انت أفضل الآن ؟ "*** .

يحيي ***: " الحمد لله انا بخير .. أفضل من السابق .. لكنني مازلت أشعر بألم رهيب في ساقي ، كما ان يدي ثقيله لا أقوى على تحريكها ، أشعر بالضعف العام و الهذال ، أرغب في النهوض لكن لا أستطيع ، اريد أن اتحرك ، لقد ضقت ذرعا بمكوثي على فراش المرض "*** .

غادة : " انها مسألة وقت ، و ستقدر على الحركه .. و تعود الى طبيعتك .. عليك بالصبر و الغذاء السليم الصحي حتى تستعيد عافيتك .. فانت تحتاج الى الطعام الجيد كما اوصي الطبيب .. لانك قد نزفت بغزارة .. و لن يعيد دمك سوى التغذيه السليمة"

، توقفت غادة فجأة عن الكلام ، ثم صكت وجهها صائحه ***: " الطبيب .. الطبيب بالخارج .. يجلس مع عادل .. لقد تركتهم دون مضايفة .. سأذهب الآن لعمل عصير ليمون للضيوف ثم أعود لك لإحضار الطبيب للكشف عليك " .***

في صالة الضيافة كان يتحدث الطبيب مع عادل عن حالة يحيي ، و كيفية تماثله للشفاء ، حاول الطبيب طمئنة عادل على وضع صديقه الصحي ، لكن عادل عبر للطبيب عن عدة مخاوف و هواجس تتعلق بيحيي ، حيث أخبره ان يحيي يتعرض مؤخرا و قبل الحادث الى كوابيس مرعبه مستمرة ، و قص عليه رؤيه يحيي لجثة ملفوفة بكفن امام عتبه داره قبيل الحادث بدقائق ، في الوقت الذي أقسم فيه يحيي له انه كان يقظ ، و انه يدرك تماما لما رأي في تلك الليلة العصيبة ، استمع الطبيب لكلام عادل في انصات شديد ، لكنه و بهدوء حكم على ما سمع أنه

نوعا من الهواجس البصريه والسمعية الحادة الناتجة عن الحادث ، و الاصابه الشديدة التي تعرض لها دماغه ، بالاضافة الى ان النزيف الحاد في المخ الذي حدث له ضغط على بعض مراكز الادراك والحس لديه ، ما تسبب في فقدانه للوعي لبعض الوقت ، و قد أثر ايضا على ذاكرته و لكن بشكل طفيف ، و اكد لعادل ان تلك الحلة لن تدوم طويلا ، و ستتلاشي تلك الاعراض تمام عندما يستكمل علاجه ، لكن عادل عاد ليكرر على مسامع الطبيب ان ما حكاه له يحيي لا يتعلق البتة بالحادث ، و ان تلك الاعراض سبقت الحادث بعدة ايام ، حتى ان رئيس التحرير عرض على يحيي الحصول على اجازه ، و اعفائه من السفر الى ذلك المؤتمر ، لكن يحيي رفض رفضا تاما ، و أصر على رغبته السفر و حضور المؤتمر الصحفي ، كما أكد عادل للطبيب ان ذاكرة يحيي لم تتأثر ، لكنه صار أكثر تشوشا عن السابق ، و ان ما يعانيه يحيي من هواجس و كوابيس لازمته عدة ايام قبل الحادث ، ظل الطبيب صامتا حتى انهى عادل كلامه ، و استعد للتعقيب على كلام عادل ، لكن غادة دخلت عليهم و هي تحمل كوبين كبيرين من عصير الليمون ..

غادة : ***" هل تسببت في قطع حديثكما ؟ ! "*** .

الطبيب : *" لا على الاطلاق .. كنا نتحدث عن حالة يحيي المرضية .. و انه لا داعي للقلق المبالغ فيه .. فهو الآن في وضع أفضل و بحاله مستقرة ... و اليوم سوف اقوم بالكشف عليه مجددا "* .

عادل ***: " غادة .. من فضلك !! .. لدي سؤال يؤرقني للغاية منذ ذلك الحادث المروع التي تعرض له يحيي .. و هذا السؤال يدور في ذهني طويلا و يشغلني كثيرا "*** .

غادة ***: " و ماذا تنتظر ..؟ .. اسأل فورا .. عسىاني اجيبك عليه ان استطعت ... و يستريح بالك !!! "*** .

عادل *: " نعم اتمنى ذلك .. انتي تعرفين كم هي متانة الصداقة و اواصر المحبة التي تجمع بيني و بين أخيكي .. و تعلمين ايضا ان يحيي في مثابة اخي ولا احب رؤيته في مكروه ابدا "* .

غادة ***: " نعم بالطبع اعلم .. و أسأل الله لكما مزيدا من المحبة"***

عادل : " أحسنتي .. انا اريدك ان تعودي بذاكرتك ما قبل الحادث بيوم ..... او يومين على الارجح !! " .

غادة *: " عادل من فضلك ادخل في الموضوع !! .. لا تقلقني !! .. ما الذي ترغب مني أن أتذكره .. ؟! "* .

عادل مستطردا : ***" قبل ذلك الحادث بيوم صباحا .. جاء يحيي الى العمل باكرا .. و تناولنا الفطور سويا .. فيما لم يمكث طويلا .. و اخبرني انه سيغادر العمل قبل الظهر .. و سيعود الى منزله... لانه لديه عدة أمور يجب التحضير لها قبل الاستعداد للسفر كما اخبرني !! .. و اخبرني أيضا انه بصدد الذهاب الى صالون الحلاقه .. و بعدها سيعود الى المنزل لاعداد الطعام .. و الحصول على قسط كاف من النوم قبل السفر لانه كان يشعر بالاجهاد والارهاق الشديدين ، و لذلك فقد اكد علي ان أتصل به في تمام الساعه الثامنه مساء لإيقاظه .. حيث طائرته في الثانيه صباح اليوم التالي" .***

غاده ***: " نعم .. لقد أخبرني يحيي أنه قابلك في الجريدة ذلك اليوم صباحا ، حينما جئت الى منزله برفقة زوجي طارق لتناول وجبه الغداء سويا .. و من ثم توديعه قبل سفره " .***

عادل *: " هل لاحظتي عليه في ذلك اليوم ايه أمور غير معتادة ؟"*

غادة *: " لا .. اطلاقا .. بل كان طبيعيا للغاية .. مرح جدا و كثير المزاح .. وكان يضحك معنا أغلب الوقت .. تحدثنا كثيرا على مائدة الطعام .. و كانت تبدو عليه علامات السعادة الغامرة ..*

حسبما قال بنفسه ان حضور ذلك المؤتمر الصحفي سوف يكون بمثابة اهم نجاح مهني في تاريخه حتى الآن .. و سيضع قدمه بثبات على سلم الترقيات .. و قد اعتبر يحيي ان تكليفه بهذه المهمه تعتبر في حد ذاتها نقلة مهنية في نوعية الأحداث التي يتقصاها ...... " .

قطع يحيي حديث غادة ، عندما سمعت صوته ينادي عليها من غرفته ، فأسرعت نحو أخيها لتلبية نداءه ، عم الصمت لبرهه ، حتى قطع عادل ذلك الصمت المجوف بتنهيدة عميقة ، ثم قال للطبيب مازحا اياه : ***" ألم يعجبك العصير ؟! .. والله أحضر لك غيره "*** ، ضحك الطبيب ضحكه رصينه هادئة ، ثم قال محفزا عادل و قد ضرب بيده على فخذه : ***" هيا بنا .. أدخلني اليه للكشف عليه .. لقد حان ميعاد عيادتي الخاصة ويجب ان انتهى بسرعه .. لا وقت كاف لدي ... هيا بنا !! "***

نهض عادل و تقدم الى الامام نحو غرفة يحيي ، و أعقبه الطبيب ، حتى دخلا على يحيي فسلما عليه ، ألقى الطبيب السلام على يحيي بود ، و جلس الى جواره ، بينما ظل عادل و غاده واقفين ، أمسك الطبيب بيد يحيي و قال ***: " أراك أفضل اليوم .. لقد***

تحسنت كثيرا .. كانت حالتك سيئة للغاية في البداية عندما جئت الى المستشفى .. فقد كنت في غيبوبة كاملة .. فأحمد الله ان أنعم عليك بالسلامة" .

يحيي : *" الحمد لله .. كتر خيرك يا دكتور أخبرني من فضلك كيف هي حالتي الآن؟ .. وكم احتاج من الوقت حتى أتمكن من العودة للعمل ؟ "* ، فأجابه الطبيب قائلا ***: " انا طبيب و لست منجما .. لكن كل كل حال لن تحتاج كثيرا من الوقت باذن الله .. دعني اولا أقيس ضغطك ، و اكشف عليك .. ثم أجيب على كل اسئلتك " .***

غادة ***: " لا تتعجل الشفاء يا يحيي .. كل شئ بقدر و ميعاد محدد .. و ليس علينا سوى الدعاء الى الله أن يعجل بالشفاء"***

عادل : *" غادة عندها حق .. ثم انك تماثلت فعلا للشفاء و تحسنت حالتك الصحية بشكل ملحوظ حتى انك صرت تذهب بمفردك دون مساعدة من احد الى دورة المياة " .*

يحيي : *" لكنني اليوم اشعر بتعب شديد .. و لا استطيع تحريك ساقي .. أحس بثقل شديد في ساقي و كأنها متصلبه متيبسه .. حتى اصابع قدمي يا دكتور لا أقوى على تحريكهم ..." .*

الطبيب : " هذا ربما يكون نتيجة البقاء فترة طويلة على الفراش قد يتسبب في ضمور بسيط في العضلات وضعف للاعصاب .. لذا ساكتب لك على هذه الحقنة الموقية للأعصاب .. و سوف تتمكن من السير على قدميك في وقت قريب للغايه باذن الله " .

عادل : " هل هذه حقنة وريدية يا دكتور ؟ " .

الطبيب : " لا .. بل حقنة عضلية .. لا داعي للمحلول الوريدي .. فقط قدموا له حثاء الفراخ .. و شوربة الخضار و الفاكهه ويستمر على هذا العلاج حتى تجدوا تحسن ملحوظ في حالته الصحية"

يحيي : " اشكرك كثيرا يا دكتور .. ان شاء الله عند تماثلي للشفاء التام سوف أءتي الي عيادتك لاشكرك بنفسي على متابعتك لي و اهتمامك البالغ على حالتي و عدم تأخرك علي في اي شئ " .

الطبيب : " لا شكر على واجب .. زوج اختك هو بن عمي .. اي اننا نعتبر عائلة واحدة .. فلا داعي للشكر!! " ، و استأذن الطبيب للمغادرة ، فأثنت غادة كثيرا على زيارته ، و اصطحبه عادل حتى باب المنزل .

عاد عادل الى الغرفة ، فطلب منه يحيي ان يساعده على الوقوف على قدميه ، لقد كان يحيي يرغب في المشي قليلا في المنزل ، او الجلوس بالخارج في صالة الضيافة ، لأنه ضجر كثيرا من البقاء مستلقيا على الفراش لمدة طويلة ، كما انه رغب في استخدام حاسوبه الشخصي ، او مشاهدة التلفاز ، و تصفح الاخبار ، في البداية لم يحبذ عادل هذا الطلب ، لكنه و تحت ضغط يحيي و اصراره ، رضخ لمطالبه ، و امسك بيده ، بينما كانت غادة تمسك بالذراع الأخر ، محاولين رفع ظهره ، و انزال قدميه على الارض ، ثم رفعه وحيد مرة واحده ، حيث امسك به من خصره ليمكنه من الوقوف على قدميه ، لكن يحيي بمجرد أن وطأت قدمه الارض لم يستطع ان يصلب طوله ، و كاد أن يسقط ، لولا ان غادة كانت تمسك به ايضا ، و بصعوبة بالغة حاول يحيي جاهدا ان يجر قدميه على الارض ببطء ، و ان يضغط علي اقدامه قليلا ، حتى تمكن- عادل و غادة – من اخراجه من الغرفة ، و الانتقال به الى الصاله الخارجية ، ثم اجلساه على أريكة كبيرة ، و وضعا وسادة كبيرة خلف رأسه ليسند رأسه عليها ، ثم جلسا – عادل و غادة – ليستريحا بعد هذا المجهود .

غادة : " *يحيي انت لا زلت لا تستطيع الضغط على قدميك بشكل طبيعي .. يحب عليك ألا تتحرك كثيرا حتى لا تسوء حالتك ... كنت اتمنى ان ابقى معك .. لكن يجب علي الذهاب بعد قليل ، للعودة الى ابنائي و زوجي .. ما زال امامي مشوار طويل للعودة الى المنزل .. و اليوم كما تعلم هو يوم خميس وغدا عطله .. لذا ستكون الشوارع مزدحمه في هذا التوقيت .. نظرا لخروج العديد من الناس للتنزه .. و المسافة من ميدان التحرير حتى مدينة نصر ربما ستاخذ وقتا طويلا ...* " .

قاطعها عادل قائلا : " *غادة انتظري عشرة دقائق و سوف أءتي معك لأوصلك الى بيتك .. سيارتي معي .. لكنني سوف أعود مجددا للبقاء مع يحيي هذه الليله ..* " ، عارضته غادة بشدة على هذا المقترح ، و أصرت على الرفض ، و شكرت عادل كثيرا لزوقه المفرط ، و أكدت له انها سوف تستقل سيارة تاكسي ، و لا حاجه لأن تحمله هذا العناء ، لكن عادل بدا مصمما علي عرضه ، و أصر على توصيلها للمنزل ، و اقسم عليها ألا تعترض عليه ، مزيلا كلامه بأنه مضطرا اساسا للنزول الى الشارع لمقابلة صديق له بينهما ميعاد مسبق ، و لكنه لن يطيل البقاء معه ، و سيعود الى

يحيي مجددا دون تأخير ، و عند ذلك بدا على غادة الاقتناع ، و رحبت بتلك الفكرة ، و شكرت عادل عليها كثيرا ، و استعدا للرحيل ، بينما كان يحيي في تلك الاثناء منشغل في حاسوبه الشخصي ن و لم ينتبه لحديثهما ، حتى انتهيا من الحديث ، و اخبراه باستعدادهما للمغادرة ، و ألقيا عليه تحية الوداع ، و اتجها نحو الباب للمغادرة ، عندها رن جرس الباب ، فتعجبت غادة كثيرا ، و سألت يحيي قائلة *: " يحيي .. هل تنتظر احدا؟ "* ، أسرع عادل نحو الباب و هو يقول *: " ربما يكون احد اصدقائنا بالجريدة".*

رجع عادل على عجل سائلا يحيي *: " هناك سيدة بالخارج تسأل عليك و تريد ان تدخل !! "* ، اجاب يحيي متعجبا *: " سيدة؟! .. من تكون؟ ! .. دعها تدخل "* ، ثم صاح يحيي من مجلسه قائلا *: " تفضلي .. تفضلي بالدخول !! .. "* ، و ذهب عادل لاحضار المرأة التي ظلت واقفة على الباب ، و عندما رآها يحيي صاح *: " راشيل !! اهلا و سهلا .. تفضلي .. تفضلي بالجلوس "* ، و حاول يحيي النهوض لمصافحتها ، لكنه لم يستطع ، فبادرت هي بالسلام عليه و هو جالس ، و طلبت منه ان يبقى مستريحا ، ثم جلست

على الاريكه الصغيرة امامه ، بينما بقي عادل و غادة صامتين متعجبين ، حاول يحيي ان ينهي تعجبهما فقدمها لهما قائلا **: "** ***أود ان أعرفكما بجارتي و صديقتي راشيل !! "*** ، فرحب كلا من غادة و عادل بالسيدة ، واستأذنا للمغادرة ، و انصرفا مشحونين بالحيرة من امر تلك المرأة التي تبدو اجنبيه .

يحيي :*" راشيل !! كيف حالك؟ .. متى عدتي من أمريكا ؟ "* .

راشيل : *" لو وصلت منذ ثلاثه ايام فقط .. أخبرني حارس العقار أنك أصبت في حادث على طريق المطار .. اتذكر انك اخبرتني بموضوع سفرك الى السودان لتغطية احداث ابرام اتفاق المبادئ العامة حول مشروع سد النهضة الاثيوبي .. أخبرني ماذا حدث معك ؟ "* .

يحيي متنهدا : *" كنت استقل سيارة أجرة عندما اصطدمت باخرى ملاكي و انقلبت رأسا على عقب ، كان ذلك خلال ذهابي للمطار استعدادا للسفر .. و بالطبع لم أتمكن من حضور المؤتمر الصحفي .. ضاعت علي اهم تغطية اخبارية في حياتي حتى الان"*

راشيل *: " لا اظن ذلك .. انت صحفي قوي و ناجح و مثل تلك*

الظروف لن تفت في عزيمتك ولن تنال منك .. بل يجب ان تزيد ثقتك في أهمية عملك و اصرارك على النجاح رغم العقبات "

ابتسم يحيي حتى بانت نواجزه ، ثم قال :" *هذا إطراء كبير منك ... لا اتحمله و لا استحقه* " .

راشيل : *" بل تستحق و لكن طبيعتك المتواضعة لا تميل لمثل ذلك المديح البسيط "* ، أجاب يحيي قائلا :" *أشكرك على كل حال يا صديقتي .. فإنكي إن تنعتينني بالتواضع فهي بلا شك صفة حميدة .. و ذلك من كرم اخلاقك* " .

يذكر أن راشيل لا تتحدث العربية بطلاقة ، ذلك لأنها ولدت بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الامريكيه ، لأب مصري قبطي مسيحي ارثوذوكسي ، و أم امريكيه بروتوستانتينية ، بينما قضت جل عمرها في امريكا ، و تخرجت من جامعة لويزيانا الامريكية ، بعد ان اتمت دراسة علم المصريات ، كانت راشيل – نظرا لأصولها المصريه و ملامحها الشرقية – مولعة بالحضارة المصرية القديم أشد الولع ، و قد قررت الانتقال للعيش في مصر ، حتى يتسنى لها الانتهاء من رسالة الدكتوراة التي تقوم بها ، حيث قامت جامعتها بإرسالها في بعثة تعليمية الى مصر لإتمام

بحثها عن السند التاريخي لنبي التوراة يوسف ، و زمن وجوده في مصر ، و عمله في منصب كبير الوزراء و وزيرا للخزانة العامة للبلاد آنذاك ، و قد انضمت لفريق بحثي يضم عدد من علماء المصريات الاجانب ، و الذين يسعون لاثبات فرضية وجود قبر نبي التوراة يوسف مدفونا في مصر .

يحيي : *" لا أعرف كيف يمكنني ضيافتك .. لكنكي لستي ضيفة على كل حال .. تستطيعين ضيافة نفسك بنفسك بلا ادني شك"*

راشيل : *" نعم أعلم و بالمصري ترغب ان تقول لي (البيت بيتك) .."*، ثم ضحكت ، فضحك يحيي بصوت مرتفع ضحكة طويلة ، حتى قال مازحا *: " صرتي تتمكنين من التقاط كثير من المصطلحات المصرية العامية .. هذا ملفت للانتباه .. ليس لانك تحملين جينات مصرية فحسب .. بل لأنك تحاولين ابراز شخصيتك المصرية أغلب الوقت طوال فترة مكوثك بمصر ، أكثر بكثير من شخصيتك الامريكية التي تكونت في امريكا ، و هذا في وجه نظري يعني ان حنينك الى وطن آبائك يتدفق بداخلك"*

راشيل *: " الأمر اعظم من ذلك يا يحيي .. الأمر ليس مجرد وطن*

الاجداد او اصول مصرية .. مصر ليست امرا يعنيني وحدي .. و لست الوحيدة في ذلك العالم المتسع الذي تستهويه اسرار تلك الحضارة العظيمة ، الضاربة بجزورها في اعماق التاريخ البشري والانساني ، ان حضارة مصر واحدة من اهم واعظم الحضارات القديمة التي يقف امامها العالم اجمع اجلالا و توقيرا .. بل لا يزال الكثير من العلماء عاجزين عن فك شفرات تلك الحضارة العظيمه .. و اكتشاف المزيد من اسرارها و الغازها .. مصر هي بمثابة الأم لكل الحضارات القديمة .. كما أن النيل الذي يقطعها طولا هو هبتها العظيمة الذي وهب لها تلك الحضارة الخالدة منذ آلاف السنين كما ذكر ذلك المؤرخ الإغريقي هيرودت .. إنها حضارة لا شك انها ما زالت تبهر الجميع حول العالم" .

بدا على يحيي الاهتمام بكلام راشيل و الانصات الجيد له ، احترم كلامها الذي يصتبغ بالحب الدفين لحضارة هذا الشعب العريق ، ثم عقب على كلامها قائلا : *" حقا .. حقا .. كلامك صحيح !! .."* فقاطعته راشيل قائلة : *" لقد احضرت لك بعض الهدايا من أمريكا "* ، فلمع وجه يحيي ، و قال : *" هدايا .. كم احب المفاجئات ! .. لكنني على كل حال اشكرك كثيرا .. يكفي زيارتك هذه و*

سؤالك و اطمئنانك علي .. و يكفي انك عدتي الى وطنك الثاني بسلام" .

كانت راشيل خفيفة الظل ، دمسة الاخلاق ، فتاة سوداء الشعر ، حنطية اللون ، بعيون سوداء براقة لامعة و ساحرة ، و جسد نحيف متناسق و فتان ، كانت امريكية الطباع شرقية الجمال ، ذات شخصية قيادية قوية و مستقلة للغاية ، تحب دراستها و تقدس عملها ، و تبذل قصاري جهدها لانجاز رسالة الدكتوراة الهامة بالنسبة لها ، هذا بجانب عملها في القسم القنصلي بالسفارة الامريكية بالقاهرة ، في ادارة الاستعلامات لخدمه المواطنين الامريكيين المقيمين في مصر ، حيث تستقبل استفساراتهم ، و تجيب على اسئلتهم ، و تنظر في شكواهم .

يحيي :*" هل كان لديك عمل اليوم ؟ "* .

راشيل :*" لا لم ابدأ عملي بعد منذ أن عدت الى القاهرة .. لكنني سأعود للعمل يوم الإثنين القادم "* .

يحيي : *" لكني أعلم انك تذهبين للعمل يوم الاحد فهو ليس عطله رسمية في مصر بالطبع ؟"* .

راشيل :*" نعم لكنني لن اذهب هذا الأحد .. لدي مقابلة مؤجلة*

عدة مرات مع صديقة لي .. و قد حددت معها يوم السبت للقاء"

يحيي :" يبدو عليه لقاءا مهما نوعا ما ....." .

راشيل : " ليس بالأهمية القصوى .. فهو ليس لقاء عمل على الاطلاق ، بل هو لقاء انساني بين اصدقاء قدامى لا اكثر "

يحيي : " هل لي ان اعرف ما طبيعة هذا اللقاء ؟ " .

ضحكت راشيل و قالت :" نسيت انك صحفي .. بالطبع يمكنني اخبارك .. انها صديقة لي منذ الطفولة من اصول مصرية ايضا .. تربينا سويا و كبرنا معا .. لكنها بعد تخرجها من الجامعه قررت ان تأتي الى مصر .. و تهب نفسها للرب .. و اعتزمت الرهبة .. و بالصدفة البحتة رأيتها في القنصلية ذات يوم .. و تذكرنا بعضنا البعض فقد مر زمن طويل على آخر لقاء بيننا .. كانت صدفة رائعة حقا .. كنت سعيدة جدا لرأيتها في ذلك اليوم ثم تواعدنا بلقاء آخر " .

عاد يحيي ليسألها مجددا : " هل ستذهبين لمقابلتها في الكنيسة ؟ .. انا اعلم انك لا تحبين الذهاب الى الكنيسة !!! " .

راشيل :" لكنني سأذهب هذه المرة .. انها صديقة رائعة حقا .. تقيم في مصر منذ سبعة اعوام .. و تعيش في دير سانت كاترين

جنوب سيناء .. في بيت خاص بالراهبات .. و لقد اخبرتني انها سعيدة جدا بإقامتها على أرض مصر .. و انها فخورة بقرارها الذي اتخذته .. كما أخبرتني أنها تمضي اوقاتا عظيمه في ذلك الدير المقدس في المكان الذي كلم الرب فيه موسى و انزل علية التوراة في صحف من السماء" .

قال يحيي مندهشا: *" دير سانت كاترين ؟!! .. ظننتها تقيم هنا بالقاهرة في احد الاديرة الكبيرة .. هذا يعني بانك سوف تسافرين اليها"*

راشيل : *" بالطبع سوف اسافر يوم السبت صباحا و اعود مساء الأحد"* ، صمت يحيي قليلا ثم انتبه مرة واحدة ، و قال: *" راشيل .. هل تعلمين انني ارغب منذ زمن في زيارة هذا المكان لرائع ؟"*

أسرعت راشيل معقبة: *" و ما الذي يمنعك ؟ .. يمكننا الذهاب سويا .. فالنسبة لي سوف استغل تلك الزيارة في بحثي الجديد و من ناحية اخرى ستكون فرصة غاية في الجمال لاستكشاف مصر عن كثب و الغوص في تراثها القديم و حضارتها الدينية و الثقافية المتنوعة "* .

استطردت راشيل قائلة : " انظر يا يحيي .. سأوضح لك !! .. انني مهتمة بعمل بحث تاريخي عن ارض الخروج الاعظم كما جاء ذكرها في التوراة .. عن مدينة قديمة تدعي (أفاريس) في ارض كان يطلق عليها (جاسان) او جوش بالإنجليزية تقع شمال شرقي مصر .. و تلك المدينة يرجح العلماء ان تؤدي اعمال الحفريات فيها الى اكتشاف مقبرة يوسف بن يعقوب التوراتي .. و هذا البحث قام به العديد من علماء المصريات من قبل لكنهم لم يتوصلوا الى اي اكتشاف جديد يدعم فرضيتهم بوجود قبر يوسف في ذلك المكان .. فهي المدينة التي استقر فيها يوسف عندما جاء الى مصر عبر قافلة كانت عائدة من بلاد الشام .. و هي المدينه التي عاش و تربى فيها و كذلك التي استقبل فيها أبيه يعقوب و اخوته بعدما صار كبير الوزراء في مصر آنذاك ، ولقد أرسل الى أهله و أمرهم بالهجرة الى مصر حيث سوف يتمتعوا فيها بالامن و السلام ...." .

أردف يحيي قائلا : *" نعم و هو ايضا ما نؤمن به نحن المسلمون .. و هي ذات القصة التي أخبرنا عنها الله في القرآن الكريم "*

قاطعته راشيل مؤكدة على كلامه :" نعم اعرف ذلك جيدا .. لكن ما يهمني من الناحية العلمية ان مثل هذا الاكتشاف سيكون عظيما للغاية في دعم الرواية الدينية لهذه القصة تاريخيا .. ان كانت الرواية التي في القرآن او في العهد القديم .. و هو يثبت بما لا يدع مجال للشك ان يوسف و اهله من بني اسرائيل قد عاشوا بالفعل امدا طويلا يناهز القرنين من الزمان على ارض مصر بل و تمكنوا من الوصول الى مناصب قيادية هامة و بالغة الحساسية كانت قاصرة في ذلك الزمان على القبط من اهل مصر ، قبل ان يخرجوا منها هاربين من العنصرية و الاضطهاد العرقي ضدهم في عهد موسى الذي بعثه الرب الى قومه لينقذهم من الكرب العظيم حيث امرهم بالخروج جماعة من مصر بعد ان اذن لهم ملك مصر بذلك .. و وعدهم موسى بالخلاص من هذا البلاء"

أراد يحيي ان يقاطعها ، لكنها أردفت قائلة بصوت هامس :"اعلم ما يجول في خاطرك و تريد ان تسألني فيه .. تريد ان تعرف كيف سأستغل زيارتي هذه - الي صديقتي الراهبة – في بحثي .. أليس كذلك؟" ، أجابها يحيي متعجبا من ذماء راشيل ، و قد غمرت

وجهه ابتسامة عريضة ، فقال *: " بلى .. لقد اردت فعلا طرح هذا السؤال عليكي !" .*

ضحكت راشيل بزهو و قد غمرتها مشاعر الفخر *: " اسمعني .. صديقتي الراهبة تدعي (ليليان) و قد عرف عنها منذ الصغر شغفها بعلوم ما وراء الطبيعه .. حيث كانت تمارس رياضة اليوجا و الاسترخاء الروحي و جلسات الصفاء الذهني و تجديد موجات ألفا الدماغية ، كانت فتاة رائعة للغاية .. حتى انني اذكر لها قصة مذهلة عندما كنا في الخامسة عشر من عمرنا .. في تلك الايام حدث لصديقة لنا في المدرسة خطبا كبيرا .. حيث توفي والداها اثر حادث كبير مروع .. دخلت الفتاة على اثر ذلك في حالة نفسية وعصبية بالغة .. و توقفت عن الذهاب للمدرسة .. و ذات يوم جاءت ليليان و اخبرتني انها رأت صديقتنا في المنام تصرخ طالبة المساعدة و كان صراخها يدوي في أذنها حتى بعد ما استيقظت من المنام .. كما رأتها تحاول قتل نفسها بالوقوف في منتصف طريق سريع ... "* .

كان يحيي يستمع اليها جيدا و قد امتلأ شغفا بمعرفة المزيد عن هذه القصة ، فأسرع معقبا *: **" أكملي !! "*** ، اردفت راشيل

قائلة *: " لم ننتظر للصباح التالي .. و ذهبنا على الفور الى منزل تلك الفتاة حيث كانت تعيش مع جدتها .. و عندما سألنا عنها اخبرتنا جدتها انها انتحرت ليلة أمس ذلك اليوم .. و قد كتبت رسالة تخبر فيها بنيتها في الانتحار .. و بالفعل وجدوا جثتها على الطريق بعد ان اصطدمت بها سيارة على الطريق السريع في بلدتنا الصغيرة بولاية بنسلفانيا " .*

اندهش يحيي كثيرا ، و بدا عليه علامات التعجب و الذهول ، فقال *: " كم هذا عجيب حقا !! .. لقد تنبأت المستقبل .. و على حد علمي فان مثل تلك النعم لا يمن الله بها الا على اشخاص قليلين للغاية .. هم اشخاص نورانيون زهريون على درجه كبيرة من القرب و الاتصال بالذات الالهيه .. و على اتصال عظيم بالعوالم الخفية الاخرى .. هذا أمر عظيم !! .. يبدو ان صديقتك ليليان يمكنها بالفعل التنبأ لكي عن سر عظيم يقودك الى اكتشاف هائل .. يكون بمثابة الجائزة الكبرى لبحثك "*، فهزت راشيل رأسها بإيماءة خفيفة مؤكدة على كلام يحيي ، و قالت *: " نعم .. ربما .. لما لا ؟ "* ، ابتسم يحيي قائلا*: " على الرغم من ان ذلك يبدو مستبعدا او ربما صعبا للغاية .. الا انها تبدو فرصة*

عظيمه لزيارة دير سانت كاترين المقدس " .

راشيل : *" افهم من ذلك انك ترغب في السفر معي الى الدير ؟"*

يحيي : *" نعم بالطبع .. لكن كما ترين فانني مازالت لا استطيع الحركه بشكل طبيعي .. و ربما لن اتمكن من السفر معكي يوم السبت المقبل "* .

راشيل : *" لا بأس ستتمكن .. و ربما ستكون انت سببا جديدا لتأجيل هذه الزيارة الى السبت الذي يليه .. عسى ان يكون آخر تأجيل .. دعنا نؤجل هذا السفر الى الاسبوع بعد القادم ... حيث هناك اجازة رسمية لمدة ثلاثة ايام للاحتفال بأعياد القيامة و شم النسيم !! "*

ابتهجب اسارير يحيي كثيرا لهذا الكلام ، و شكر راشيل كثيرا على ذلك الموقف الرائع ، ثم استأذنت راشيل في الانصراف .

6

المشهد السادس
(في الدير)

كانت تسير على ارض صخرية قاسية ، لكنها كانت تشعر و كأنما تبدلت الأرض من تحتها ، و تحولت الي قطعة سجاد زوالي من الحرير الخالص الباكستاني الصنع ، شعرت و كأن قدميها قد لامست الفراغ الكامن بين باطن قدميها و سطح الأرض ، ممتدة للغاية يديها الى الامام ، حتى صارت ترتفع رويدا رويدا نحو السماء ، و قد أسلمت راحتي كفيها نحو صفحة السماء ، ثم اتسع الفراغ الكامن بين لوحتي زراعيها ، و انحنى ظهرها الخاشع

المبتهل ببطء الى الامام ، و ببطء اكثر كلما ازداد الهواء ساكن الفراغ الكامن بين باطن قدميها و سطح الارض ، حتى اضحت ترتفع .. و ترتفع .. و تعلو بروحها وجسدها ، و كأنها صارت تقف على بساط الريح ، حتى انحنت كما الركوع ، و صارت تشعر و كأنها أخف من ريشة نعام ، او كملاك يسرح في الافق الاعلى .

" ربنا الذي في السماء .. أبانا و خالقنا و صانعنا من العدم .. حتى تعيدنا من العدم من جديد .. تقدس اسمك الذي في السماء و الارض .. و تبارك ملكوتك الذي علا كل الملوك .. انقذنا من الطاغوت .. و أعتق ارواحنا من أسره و سلطته .. حرر قلوبنا من كيد سحره و مكره ودهائه .. و انزع عنه وجهه الكاهنوتي الخادع .. و لتكشف لي عن وجهه الطاغوتي المارد .. جئتك خاطية و معي قرباني اليك .. افتدي به روحي التعسة ... فلتتقبل يارب اضحيتي .. كما قبلتها من عبدك ابرام .. و ارني الشوفار .. ركز كبش الفداء .. فديتك العظيمه لروح ايزاك البار الذي احبه والده .. و لتطعمني شرائح التفاح المقدس المغموس بالعسل .. و هذا خبزي .. كفافي و قوط يومي .. قد اطعمت به مسكينا من ابنائك .. لتسقط عني كل الخطايا و الآثام .. و انول غفرانك ..

فتعطني الاسباب كما اعطيتها لكاهنك الخادم الامين أنطونيوس .. و انعم عليا بفضل هباتك التي انعمت بها على عبدك البار انطونيوس .. فكنت تكشف له عن وجه الطاغوت اللعين الحاقد على الانسان بن آدم .. و كنت تفتح له عينه الثالثة .. و تريه من المستقبل ما تشاء .. و اعطيته من البركات والكرامات ما لم تعطي لغيره ... أبي الذي في السماء أعطني عطاءا بلا حدود .. و اجعلني من المقربين و الشهداء .. ارزقني شهادة القديسة العظيمه الملاك كاترين .. التي ضحت بحياتها من اجلك .. و من اجل اعلاء كلمتك .. و افدت الصليب بروحها و دمها .. و انزلني منزلة القديسين و الاربعين شهيد ..أبي الذي في السماء .. لتتنزل علينا رحماتك .. و بقدس اسمك المبارك .. اجب مسألتي .. التي سألتها اياك .. و ابدا يوما ما رددت دعائي و لا خذلتني "

و بينما كانت الراهبة ليليان تصلي في مقام النبي هارون -في منتصف طريق وادي الأربعين المؤدي الي جبل موسي- سمعت طرقا على باب الصومعة ، فأنهت صلاتها على عجل ، و تقدمت نحو الباب لمعرفة من الطارق ، فتحت ليليان الباب فوجدت راشيل في وجهها ، كانت مفاجأة شديدة الروعة ، فتعانقا بحرارة

، و رحبت ليليان بيحيي ، و كذلك بالمرشد البدوي الذي أوصلهم الى مكان اعتكافها الخاص ، فيما سلم يحيي على ليليان و هنأها على عيد القيامة ، شكرته ليليان و ردت عليه التهنئة ، ثم اغلقت ليليان باب الصومعة ، و اصطحبت يحيي و راشيل في جوله تاريخيه لجبل موسى و دير سانت كاترين .

ليليان : *" صديقتي العزيزة .. مرحبا بكما في الوادي المقدس طوى .. كم هي غالية عليا كثيرا تلك الزيارة المفاجئة .. كيف كانت اذن رحلتكما الى هنا ؟ "* .

راشيل : *" لقد كانت ممتعة للغاية .. اخذنا طائرة الى مطار شرم الشيخ الدولي .. و من ثم استقلينا سيارة اجرة حيث اوصلتنا الى هنا مباشرة .. مناظر الجبال هنا تبدو كلوحة فنية مبهرة .. لقد كنت انوي المجئ قبل سفري الى الولايات المتحدة .. لكنني أجلتها حتى عودتي الى مصر .. و انتظرت حتى تماثل جاري و صديقي الغالي يحيي للشفاء .. لنتمكن من المجئ سويا .. حيث رغب في القدوم معي ! "* .

يحيي : *" انني اشكرك للغاية يا راشيل لحرصك على انتظاري حتى اتمكن من السفر معك و زيارة هذا المكان المقدس .. "* ،

و بينما يحيي يتفقد منظر الجبال الشاهقة من حوله ، اذ لاحظ تلة صخرية امام مقام النبي هارون ، يبدو عليها كما لو تم نحت تمثال عجل عليها ، فأسرع متسائلا : *" اود ان اسأل عن تلك التلة .. هل تلاحظون عليها نحتا في صورة عجل ؟ ! "* .

أجابته ليليان قائلة : *" انه عجل السامري !! .. فعندما عاد موسي من فوق الجبل ... القى الواح التوراة التي تلقاها من الرب فوق قمة جبل موسى .. و غضب غضبا شديدا حينما وجد قومه يسجدون لصنم عجل صنعه لهم السامري من الذهب يصدر صوتا .. فقام بتحطيم هذا الصنم تحطيما .. ثم أخذ حفنة من الرمل و القاها على الجبل ، فتشكلت صورة هذا الصنم على الصخر .. لتبقى شاهدة على فعلتهم الشنيعة تلك في حق الرب الذي أنقذهم من الظلم و خلصهم من العبودية "* ، فقال يحيي : *" نعم اعلم تلك الواقعة فقط ذكرت في القرآن ايضا ... كم هو عجيب حقا مدى توافق سير الأولين في القرآن و العهد القديم .. فعندما تتشابه الروايات يعني ذلك ان المصدر واحد و ان الراوي الاعظم الذي اخبرنا عن تلك القصص واحد في جميع الاديان "* ، صدقت ليليان على كلام يحيي ، و أكملوا سيرهم في طريق وادي

الاربعين ، متجهين نحو دير سانت كاترين ، و بينما هم في طريقهم ماضون اذ اوقفتهم ليليان فجأة ، وقالت :" *هل يرغب أحدكما أن يتمنى أمنية فيحققها له الرب ؟* " ، فأجابها يحيي قائلا :" *بالطبع .. لكن كيف ذلك ؟* " ، فأشارت ليليان الى صخرة ضخمة و قالت :" *اذن ما عليك فعله هو ان تحمل حجر صغير و تقربه من فمك و تذكر الامنية التي تريدها سرا .. و تقوم بالقاءها على تلك الصخرة البعيدة .. فان وقعت عليها فاعلم ان الله قد استجاب لدعائك*" ، انبهر يحيي كثيرا ، و بدأ بالتنفيذ ، ثم رمى الحجر رمية قوية ، فأسقطه فوق الصخرة مباشرة ، فأشار بيده بعلامة النصر ، ابتسمت راشيل ، و قالت مازحة :" *اذن هل لنا ان نعرف ماذا كانت تلك الامنية ؟* "، فضحكوا جميعا ، و تابعوا السير .

أخذت ليليان تصف لهم الطبيعة البيولوجية الخاصة بهذا الوادي المقدس ، فأخبرتهما عن تنوع الحياة البيولوجيه ، فهناك العديد من انواع النباتات النادرة التي لا توجد في اي مكان اخر بالعالم ، مثل شجرة شاي الجبل التي لها فوائد طبية هائلة ، و شجرة الهنيدة التي تستخدم في علاج المغص الكلوي و التخلص من

الاملاح الكلوية ، و نبات خص الجبل الذي يوجد بداخل احد الكهوف ، ثم اشارت لهما على كهف صغير بقلب احد الجبال الموجودة في المنطقة و استطردت قائلة : " *هذا الكهف يسمى بمغارة الغولة و هو الذي ينمو بداخله نبات خص الجبل .. و تحكي احد الاساطير البدوية ان طفلا دخل الى ذلك الكهف فقابلته الغولة و ارادت قتله .. فطلب منها قبل ان تقتله ان تلعب معه لعبة .. فسألته ما هذه اللعبة .. فأخبرهاا ان تضع السكين تحت عنقه .. فإن قال لها استسلمت تركته .. ثم يفعل هو كذلك .. حتى وضع الطفل السكين تحت عنقها فذبحها .. و يروي البدو تلك القصة لأولادهم لترهيبهم من الدخول الى ذلك الكهف* " ، تعجبت راشيل من تلك الحكاية ، و قالت : " *قصة مرعبة حقا .. يبدو يها الطفل ماكرا .. لكن لما يريد البدو تخويف اولادهم من الدخول الى ذلك الكهف ؟* " ، أجابتها ليليان قائلة : " *يكمن السر في ذلك الى ان هذا الكهف الضيق به ممر صغير شديد الضيق لا يستطيع الولوج بداخله الا طفلا صغيرا .. و ذلك الممر الضيق العميق يتسع كلما اوغلت داخله .. حتى يصير نفقا كبيرا يؤدي الى كهف كبير بداخل الجبل يحتوي على عيون ماء*

كبيرة تندفع من باطن الجبل .. و تجري هذه المياة الضحلة بين الصخور مشكلة وادي مغلق بداخل الجبل ..و لقد سمعت ان هذا الوادي المغلق به ممرات ضيقة تقود الى احدي الغرف المغلقة بداخل دير سانت كاترين .. لكنه خطير للغاية و لا يمكن لاحد ان يخاطر بالدخول اليه ... كما ان هناك ممرات اخرى ربما تقود الى انفاق عميقة اسفل تلك الجبال الشاهقة و تربط فيما بينها .. و ربما تؤدي الى ايضا الى باطن الارض او الى اماكن اخرى لا يعلمها احد .. " .

توقفت ليليان عن الحديث ، وسط ذهول كلا من يحيي و راشيل لما سمعاه عن ذلك الكهف ، و استمروا في السير ، ثم استطردت ليليان محدثة عن طبيعة الوادي البيولوجية ، و قالت : " *كما يوجد هنا العديد من الحيوانات النادرة و المهددة بالانقراض مثل حيوان الوعل النوبي .. و حيوان الوبر الصخري المهدد بالانقراض .. و الفأر الشوكي* " ، ثم اشارت لهما على احدى مكان مغطى بالصخور ، و قالت : " *هذه مصيدة النمور .. التي يصنعها البدو للايقاع بالنمور الجبلية ... لكنها الان يسكنها بعض الفئران الشوكية الجبلية التي تتغذي على بعر الأبل .. كما تلاحظون*

يوجد هنا الكثير من بعر الابل ما يعني ان الفئران الجبلية قد حملته الى ذلك المكان لتعيش عليه " ، و تابعوا جميعا السير ، و هم ينصتوت جيدا لكلام ليليان ، و يستكشفون ذلك الوادي المقدس المذهل بطبيعته الصحراوية الصخرية الساحرة ، و التي لا مثيل لها في اي مكان بالعالم ، و راق لراشيل تلك الطبيعه الهادئة ، و ذلك السكون الساحر الذي يخطف القلوب و الابصار ، و تمنت لو ان تعيش في هذا المكان ، بعيدا عن الضوضاء و زحام المدن الصاخبة ، و طفقت تحدق في الجبال الشاهقه ، فلاحظتها ليليان ، فقالت لها *: " تلك الجبال الشاهقة يقول الجيولوجيون ان عمرها حوالي 650 مليون سنة .. و قد كانت في بادئ الخليقة ارضا مستوية .. حتى ارتفعت تلك الجبال نتيجه لحدوث خسف افريقي عظيم في كينيا تحديدا .. ادى ذلك الخسف الى فتح البحر الاحمر و خليجي السويس و العقبة ... و تشكلت تلك الجبال على اثر ذلك الخسف العظيم " .*

يذكر أن دير سانت كاترين يقع في جنوب سيناء بمصر ، و يقال عنه انه أقدم دير بالعالم ، و يعد مزارا سياحيا كبيرا ، حيث تقصده افواج سياحية هائلة من جميع أنحاء العالم ، و هو

معتزل ، يديره رئيس الدير و هو أسقف سيناء ، و الذي لا يتبع أي بطريرك او مجمع مقدس ، و لكن تربطه علاقات وطيدة ببطريرك القدس ، لذلك فان اسم بطريرك القدس يذكر في القداسات ، على الرغم من ان الوصاية التاريخيه على الدير كانت لفترات طويلة للكنيسة الارثوذوكسية الروسية ، و رهبان و كهنة الدير من اليونانيين و ليسوا عربا او مصريين ، شانهم شأن كنيسة الروم الأرثوذكس في القدس ، التي يسيطر عليها اليونانيين من عهود طويلة ، و أسقف سيناء يدير الى جانب الدير الكنائس و المزارات المقدسة الموجودة في جنوب سيناء .

تابعوا جميعا السير ماضون في طريقهم نحو دير سانت كاترين ، حتى وصلوا الى باب الدير ، و هو المدخل الوحيد للدير ، كان باب الدير الصغير على ارتفاع 30 قدم ، و قد صمم لحماية الدير من الغرباء و الدخلاء ، طرقت ليليان باب الدير ، ففتح لها رمضان حارس الدير ، و ادخلتهما الى داخل الدير ، و عندما رأي يحيي الدير لأول مرة ، شعر بسكينه و راحة قلبية هائلة ، و قال ان ذلك المكان يشع طاقة نورانية ايجابية رائعة ، حتى ان المرء يشعر بداخله بالهدوء و صفاء الروح و السكينة ، و كأن لا شئ يشغل

تفكيره ، و كأنما نسى جميع همومه و مشاغله ، و توجهت بهما ليليان الى غرفة الانبا استيفانوس اليوناني رئيس الدير و أسقف سيناء للسلام عليه ، و بعدها توجهوا جميعا برفقة الانبا استيفانوس اليوناني الي كنيسة الدير الكبرى و التي تسمى بكنيسة الاربعين شهيدا ، و دخلوا جميعا الى الكنيسة ، و للوهلة الاولي اخذ يحيي ينظر في جنبات الكنيسة العريقة ، و التي بنيت في عهد الامبراطور جستنيان ، الذي أمر ببناء ذلك الدير في القرن الخامس الميلادي ، تمجيدا لهذا المكان المقدس الذي تجلى فيه الرب الى النبي موسي ، بعدما انتشرت المسيحية في جميع انحاء العالم ، و صارت ديانة عالمية .

كانت الكنيسة الرائعة تتكون في داخلها من 12 عمودا صخريا ضخما ، و كان على عمود توجد أيقونة رائعة ، كانت تلك الايقونات تؤرخ للاربعين شهيدا الذين تم قطع اعناقهم لارتدادهم عن عبادة الاوثان ، كان هؤلاء الشهداء من جنود الامبراطور الوثني عم القديسة كاترين ، أرسلهم لها لأقناعها بالحياة الدنيوية ، بينما أقنعتهم هي بالحياة الربانيه ، فاعتنقوا المسيحية ، فأمر الامبراطور بقطع رؤوسهم ، فيما تمكن الاخرون

من الهروب الي هذا الدير ، و استقروا في ذلك المكان المقدس ، و عندما بني هذا الدير في القرن الخامس الميلادي ، أمر الامبراطور جستنيان بتخليد ذكراهم على اعمدة الدير ، تابع الانبا استيفانوس كلامه قائلا : *" لقد سمي هذا الدير بدير القديسة كاترين .. تخليدا لذكرى هذه القديسة الشهيدة التي استشهدت نتيجة التعذيب الوحشي ، كانت القديسة كاترين من عائلة ارستقراطية وثنية ، ولدت بالاسكندرية في 194 ميلاديا ، و كانت تسمى بزوروسيا ، و كانت مثقفة و جميلة ، رغبها الكل لجمالها ، لكنها رفضت الجميع .. و آمنت بالمسيحية .. كان ذلك أثناء اضطهاد الامبراطور مكسيمنيوس لأتباع الديانة المسيحية آنذاك .. و بعد مرور حوالي ثلاث قرون من وفاتها ظهرت رفاتها المقدسة في حلم أحد رهبان الدير على قمة أعلى جبل بسيناء و هو جبل كاترين .. حيث نقل ملكين عظيمين جثمانها الي هناك ، و عندما صعدوا الى هناك ، وجدوا رفاتها بالفعل ، فقاموا بنقل رفاتها الى داخل الدير ، و وضعت في ذلك الهيكل الذي يسمى قدس الاقداس ، و قاموا بتغيير اسم الدير ، الذي كان يسمى بدير القديسة هيلينا ثم سمي بدير العذراء مريم ، و اخيرا تم*

تسميته بدير سانت كاترين و تعني القديسة الشهيدة كاترين ، و أصبح يعرف بأسمها منذ القرن الحادي عشر حتى الآن "

كانت الكنيسة التاريخية تحتوي على هدايا قديمة من ملوك و أمراء ، و هو بالفعل يمثل قطعة من الفن التاريخي المتعدد ، فهناك الفسيفساء العربية ، و الأيقونات الروسية و اليونانية ، و اللوحات الجدارية الزيتية ، و النقش على الشمع ، و غير ذلك من الاثار ، كما يحتوي على أقدم مكتبة مخطوطات في العالم ، يقال أنها ثاني أكبر مكتبة للمخطوطات بعد الفاتيكان من حيث المساحة ، كما تحوي نزل للزوار ، و برج أثري مميز للأجراس ، و يقوم على خدمة الدير بعض أفراد البدو .

خرج الزوار من كنيسة الاربعين شهيدا بعدما اطلعوا على جزءا من تاريخها العريق ، ثم توجهوا الى كنيسة اخرى صغيرة بداخل الدير تسمى بكنيسة القديسة هيلينا ، بنيت هذه الكنيسة فوق جذور شجرة العليقة المقدسة ، و عندما دخلوا الى تلك الكنيسة ، بادرت الراهبة ليليان بالحديث فقالت *: " تلك هي كنيسة القديسة هيلينا و قد تم بناءها بجوار شجرة العليقة المقدسة و التي يمكن رأيتها من ذلك الشباك ... "* ، ثم بدؤوا في الصلاة في

الكنيسة ، عندها اخبرهم يحيي برغبته في الاستئذان للصلاة في جامع الدير ، خرج يحيي من الكنيسة الصغيرة و ذهب بمفرده الى المسجد الذي يقع بداخل الدير ، الذي بني بأمر أحد حكام مصر في العصر الفاطمي ، كان يحيي ممتلئا بالكثير من المشاعر الفياضة ، فعندما تدخل الى ذلك المكان المقدس تشعر برغبتك في البكاء ، لتطهر روحك من دنس الحياة الدنيوية ، و تسمو بها الى الحياة الروحانية ، توضأ يحيي و صلي ركعتين داخل هذا المسجد الصغير ، و لما انتهي خرج من المسجد ، و عاد الى رفقته بداخل كنيسة القديسة هيلينا الصغيرة المجاورة لهذا المسجد ، لكنه وجدهم واقفين خارج الكنيسة الصغيرة ، امام شجرة العليقة المقدسة ، و هناك قال الانبا استيفانوس *: " انها شجرة العليقة المقدسة .. التي اشتعلت نارا دون ان تحترق .. لترشد النبي موسى عن وجود نار في ذلك الوادي ... فذهب النبي موسي على أثر تلك النار ليأخذ منها قبس للتدفئة ، فلما وصل الى هذه الشجرة ، ناجاه الرب و امره ان يخلع نعليه لأنه بالوادي المقدس طوى ، ثم امره الرب بالعودة الى مصر .. و الذهاب الى ملك مصر و يدعوه الى الله .. ليحرر بنى اسرائيل من العبودية*

و الذل ..و لقد حاول بعض العلماء زراعة تلك الشجرة في اماكن اخرى بالعالم لكنها لم تنبت ، ثم قام فريق آخر من العلماء بمحاولة زراعتها في مكان قريب من الدير لكن كانت المفاجاة أنها نبتت في صورة شجرة اخرى .. ما يدل على أنها من معجزات الرب التي خص بها ذلك الوادي المقدس " .

تابع الزوار السير متفقدين ذلك المكان المقدس ، وسط صمت و ذهول يحيي و راشيل ، الذين بدا عليهما الشغف و الاهتمام بأمر ذلك المكان الضارب بجذوره في التاريخ ، حتى وصلوا جميعا الي بير موسى ، فقالت ليليان: *" هذا هو بير موسى الذي أسقى منه موسى بنات النبي شعيب الذي كان يعيش في ذلك المكان .. و عندما علم النبي شعيب بأمره و توسم فيه الخير قرر تزويجه احدى بناته ... و لذلك عاش هنا النبي موسى اربعين سنة بعد هروبه من مصر .. حتى كلمه الله و أمره بالعودة لتحرير قومه "* ، شعرت راشيل بعظمة هذا المكان المقدس ، الذي جمع الاديان الثلاثة في العالم في مكان واحد ، في صورة ترمز للوحدة و التقارب بين الاديان السماوية الثلاثة ، لو ان العالم بأجمعه اجتمع

ليوحدوا بين الاديان ، ما استطاعوا ان يفعلوا كما فعل هذا الدير ، الذي يحوي بداخله دعوة الاديان الثلاثة مجتمعة .

انزل يحيي الدلو الى داخل الدير ، كما فعل النبي موسى من قبل ، ثم رفعه محملا بالماء ، و سقى الجميع منه ، ثم دعاهم الانبا استيفانوس لتناول وجبة العشاء ، فذهبوا جميعا لتناول العشاء سويا عشية عيد القيامة ، و عندما انتهوا اهداهم الانبا استيفانيوس خاتم فضي يحمل اسم القديسة كاترين بمناسبة العيد ترحيبا بهم ، و اخبرهم ان ذلك الخاتم سوف يحمل لهم البركة ، ثم دعتهم ليليان لحضور قداس عيد القيامة ، و الاحتفال بالعيد ، قبل الذهاب الى النوم للاستراحة ، و من ثم الاستعداد في صبيحة يوم عيد القيامة المجيد لصعود جبل موسى قبل شروق الشمس ، و وعدتهم بمفاجئة في نهاية الرحلة .

استيقظت ليليان قبل شروق الشمس ، و ذهبت الى غرفة الزوار لايقاظ يحيي و راشيل ، و على الفور استعدوا جميعا لبدء رحلة الصعود الى جبل موسى ، ذهبوا جميعا الى سفح الجبل حاملين خلف ظهورهم حقائب كبيرة بها طعام وشراب و أغطية تحميهم من البرد على قمة الجبل ، بدؤوا جميعا بالصعود عبر طريق

الرهبان ، و هو الطريق التقليدي الذي يسلكه السياح لاثبات جدارتهم للصعود الى قمه جبل موسى ، و عبر سلالم التوبة بدأ الجميع بالصعود الى الجبل في عزم واصرار ، و بمشقة بالغة كان الجميع يجتهد لصعود ذلك الجبل الذي يأخذ ثلاث ساعات او اكثر صعودا لقمته ، و ثلاث ساعات اخرى للهبوط ، لكن ليليان أخبرتهم بأن الصعود سوف يكون أيسر من النزول عنه ، حيث في النزول مخاطر كثيرة ، و قد تكون تكلفة السقوط من فوق أحد هذه الصخور الضخمة الغير منتظمه هي أرواحهم ، لذا عزموا الهمة حتى يتمكنوا من النزول عن الجبل قبل غروب الشمس ، و في اثناء صعودهم سلالم التوبة ، وجدوا بابا صغيرا ، فقالت لهم ليليان : *" سنعبر الان ذلك الباب .. و الذي يسمى بباب الاعتراف .. و قد بناه الراهب الشهيد اسطنانوس .. ليكون بوابة الحجاج للاعتراف بالذنوب و الخطايا .. لذا أسالكم التوبة و طلب الغفران من الرب "* ، ثم أكملوا الصعود ، حتى وصلوا الى باب الغفران ، و عندها قالت لهما ليليان :*" مبارك عليكم ... غفر الله لكما و بارك في عمركما "* ، ثم عاودوا الصعود مجددا ، و قد بدا عليهم التعب و الارهاق ، فأخذوا قسطا من الراحة قبل أن

يستكملوا الصعود مجددا ، حتى وصلوا الى قمة الجبل ، فحمدوا الله كثيرا ، و اثنوا عليه ، و شكروا الله انعم عليهم بالوصول الى قمة الجبل ، و بقوا على قمة الجبل ثلاث ساعات ، قاموا خلالها بالصلاة ، و توجهوا خلالها بالدعاء و الابتهال الى الخالق العظيم ، و لما انتهوا استعدوا جميعا للنزول ، قبل أن تغرب عليهم الشمس ، ولا يتمكنوا من الوصول الى الدير في الظلام .

عاد الجميع الى الدير بسلام عند غروب الشمس ، و اجتمعوا بالانبا استيفانوس لتناول العشاء سويا ، عشية عيد شم النسيم الفرعوني الأصل ، و اثناء تناولهم للعشاء ، دار بينهم هذا الحوار .

الانبا استيفانوس : *" حمدا لله على سلامتكم .. كيف كانت رحله الصعود الي قمة جبل موسى ؟! "* .

يحيي : *" لقد كانت رحلة شاقة للغاية .. لكنها رائعة .. لقد شعرت بالطاقة و القوة التي منحتني العزم والاصرار على تحمل تلك المشقة و الوصول الى قمة الجبل "* .

راشيل : *" اما انا فلا يمكنني وصف مشاعري .. انني سعيدة للغاية للمجئ الى هذا المكان الرائع .. و سعيدة أكثر بمقابلتك مجددا يا صديقتي الغالية ليليان "* .

ليليان : " و انا اكثر منك سعادة يا عزيزتي .. فها نحن نتقابل و نتناول الطعام سويا كما اعتدنا من قبل عندما كنا صغار " .

راشيل : " نعم و كأن عمرا طويلا مضي دون أن اشعر به ... "

يحيي : " يبدو انكما تحبان بعضكما البعض كثيرا " .

الانبا استيفانوس : " ادام الرب محبتكما و جمع بينكما في الجنة ، لكن أخبراني ماذا تخططان بعد ذلك ؟ هل ستبقيان معنا حتى نهاية الاسبوع ؟ .. ام تنويان الرحيل غدا ؟ " ، فأجابته راشيل قائلة : " للأسف الشديد فاننا مضطران للعودة الى مصر ... حيث علينا العودة الى العمل صباح يوم الثلاثاء المقبل .. فأنا أعمل في قنصلية سفارة الولايات المتحدة في القاهرة .. و يحيي ايضا عليه العودة الى عمله بالجريدة يوم الثلاثاء القادم ... لذا فسوف نستعد للرحيل غدا مساءا " ، ثم عقب يحيي على كلام راشيل قائلا : " نعم بالفعل علينا السفر مساء الغد .. و لقد حجزنا انا و راشيل طائرة من شرم الشيخ الى القاهرة .. و سوف نغادر غدا بعد غروب الشمس الى شرم الشيخ " .

بدا على ليليان عدم الرضا عن قرار رحيلهما السريع ، و قالت : " رغم انني ارغب في بقائكما .. لكن سعدت بكما كثيرا .. و اتمنى

ان تكرروا تلك الرحله مجددا .. لكن حينها عليكما ان تعدا نفسيكما للبقاء معنا اسبوع كامل على الاقل .. فليلتين غير كافيتين لشحن الروح بالطاقة الايجابية المنبعثة من ذلك الوادي المقدس " .

فأجابتها راشيل قائلة *: " نعم انتي محقة يا ليليان .. الان فقط ايقنت انكي كنتي على صواب عندما قررتي الرهبنة و اعتزمتي المكوث في هذا المكان "* .

يحيي *: " كما لو كنتي يا راشيل تودين ان تفعلي مثلها "* ، فعم الضحك عليهم جميعا ، حتى انتهوا من عشائهم ، و عندها تذكر يحيي تلك المفاجئة التي اخبرتهما عنها ليليان ، فطفق يسألها عنها ، و أجابته ليليان قائلة *: " نعم لم أنس .. دعونا نذهب الى غرفة الجماجم المغلقة .. و هذه الغرفة غير مفتوحة لجميع الزوار .. لكنكما لستما زوارا عاديين ، لقد صرنا اهلا و اصدقاءا .. فهل انتما مستعدان لذلك ؟ "* ، هز كلا من يحيي و راشيل رأسيهما ، بعد ان نظرا الى بعضهما البعض ، قائلين *: " نعم .. مستعدان !! "* .

ذهب يحيي و راشيل بصحبة ليليان ، حتى دخلوا الى غرفة الجماجم المقدسة ، و عندما دخلوا شعرت راشيل بالرهبة الشديدة ، بينما شعر يحيي بتسارع دقات قلبه ، ذلك لأن هذه الغرفة التي تقع اسفل كنيسة خاصة لأقامه الصلاة ، و التأبين للرهبان في الدير ، و تعلوها غرفة بالقرب من السقف ، لها نوافذ واسعة ، تتسلل منها خيوط الشمس ، التي تتكسر فوق الجماجم ، فتخلف ظلالا من الربهة و القدسية لهذا المكان ، ثم حدثتهما ليليان قائلة *: " هكذا هي عادة رهبان الروم الارثوذكسيين .. فبعد موتهم بفترة .. يتم نبش القبر واخراج الرفات .. و وضعها في تلك الحجرة .. حيث يتم وضع الرأس في مكان مخصص .. والاذرع في مكان خاص .. و الارجل في مكان آخر مع ما تبقى من عظامهم .. " ،* كانت تلك الجماجم متراصة فوق بعضها البعض بشكل هرمي ، و كان في وسط الغرفة هيكل عظمي كامل للراهب اسطنانوس ، و هو الراهب الذب شيد بوابات التوبة الذي عبروه من قبل ، كان هذا الهيكل العظمي يرتدي كامل ملابسه الكهنوتية ، كما يوجد في الغرفة من وجهة نظر الرهبان نوع من العظة و العبرة بنهاية الانسان .

استأذنت ليليان فجأة للعودة الى الكنيسة ، لكنها أخبرتهما بعودتها سريعا ، و طلبت منهما الانتظار في تلك الغرفة ، و عدم الذهاب في أي مكان آخر ، أخذ يحيي و راشيل يتفقدان الغرفة بفضول متناهي ، ثم نادت راشيل على يحيي قائلة: *" يحيي .. تعال هنا بسرعة "* ، ذهب يحيي لها ، فوجدها تشير الى باب حديدي كبير ، و طلبت منه أن يفتحه ، لم يتردد يحيي نهائيا ، و اطاع راشيل ، حيث كان الفضول يحركهما ، و عندما فتحه يحيي بكل يسر ، وجدا الباب قد انفتح على غرفة أخري لكنها اضيق من غرفة الجماجم التي يتواجدان بها ، كانت الغرفة مظلمة للغاية ، و كانت هناك شعلة بجانب الباب ، و بجانبها قليل من الجازولين ، أوقد يحيي الشعلة ، و أضاء الغرفة ، و دخلا اليها سويا ، كانت غرفة فارغة لكنها متسعة ، لم تكن تحوي اي شئ على الاطلاق ، و لم يجدوا بداخلها اي شئ ، سوى بعض الصلبان الحجرية مشيدة فوق التراب ، فقال يحيي : *" انها غرفة دفن ... علينا الخروج احتراما لقدسية الموتى "* ، حتى صاحت راشيل قائلة : " من هنا .. لندخل من ذلك الباب " ، وجدا بابا اخرا كان مفتوحا ، فدخلا اليه ، كان ذلك الباب يؤدي الى ممر صغير و

ضيق ، دخل يحيي الى ذلك الممر ، و من ورائه راشيل ، كانا خائفين كثيرا ، لكن شعورهما بالفضول كان اعظم ، فأزال شعور الخوف و الرهبة لديهما ، و تابعا السير في الممر ، الذي كان يعج باللوح والايقونات للقديسين و الرهبان الذين عاشوا في هذا الدير ، كان بداخله الكثير من العظام المبعثرة المندثرة في التراب تحت قدميهما ، و عظام اخرى طافية فوق التراب ، فكانا يحاولان تفادي تلك العظام ، لكن يحيي تعثر في احدى تلك العظام ، و سقط على وجهه ، فانطفأت الشعلة ، و غمر الظلام المكان ، و حينها تذكر يحيي أنه ليس لديه مزيد من الجازولين ، فتبدل الفضول بالرعب ، و قررا العودة من حيث جاءا في ذلك الظلام الدامس ، فاستدارا الى الوراء ، و طفقا يتحسسان الجدران ، محاولين عبور الظلام ، و العودة مجددا ، لكنهما و في هذا الظلام الشديد بدلا ان يعودا عبر الممر الذي دخلا منه ، عبرا ممرا اخرا يتفرع منه، ظانين انه الممر الذي دخلا منه ، و فجأة تعثرت قدم راشيل هذه المرة في احدى الاحجار الكبيرة ، و قد كانت تقود يحيي في العودة ، فسطقت في الظلام ، ساعدها يحيي للنهوض

، و بينما يحيي يمسك بيدها ، اذ تحركت الارض من اسفلهما ، ثم انهارت فجاة ، فسقطا في جرف كبير .

الجزء الثاني

أفاريس 1615 قبل الميلاد

1

(في الهاوية)

لم يدرك يحيي و راشيل انهما ارتكبا حماقة شديدة ، الا عندما وجدا نفسيهما قد سقطا في حفرة عميقة تحت سطح الارض ، ربما تجاوز عمقها الخمس مائة متر تحت الارض ، كانت تلك الحفرة عميقة للغاية ، و كانت تحيطها الصخور من كل جانب ،

كان يحيي الذي فقد وعيه اثر السقوط الهائل يحاول الضغط على صدر راشيل لتستعيد وعيها ، حتى تنحنحت راشيل مصدرة صوت سعال قوي و متتابع ، فاستفاقت راشيل ، و فتحت عينيها ، فوجدت نفسها في تلك الحفرة الكبيرة ، فأخذت بالصراخ الشديد ، لكن يحيي حاول جاهدا ان يهدأها دون جدوى ، فصرخ في وجهها قائلا : *" اهدأي .. علينا الهدوء للتفكير في هذه المصيبة التي ألمت بنا .. يجب أن نفكر مليا في كيفية الخروج من تلك الحفرة العظيمة .. انظري حولك .. حاولي ان تجدي معي اي طريقة للخروج من هنا .. ربما هناك سلم .. او ربما علينا ان نتسلق الصخور للصعود الى الاعلى .. ارجوكي يا راشيل انهضي معي ... يجب ان نخرج من هنا سريعا و الا سنموت "* ، اخذت راشيل في البكاء الحاد ، و هي تصرخ قائلة : *" سنموت هنا .. سنموت هنا يا يحيي .. لن نتمكن من الخروج .. انها حفرة عميقة للغاية ... كيف سنخرج منها .. لا اريد الموت .. لا اريد الموت يا يحيي "* ، أمسك يحيي بكتفيها ، و مخضها بشدة ، و قال لها : *"لن نموت .. عليكي ان تكوني مؤمنة اننا لن نموت .. ثقي في الله الذي أبقانا أحياء .. ثقي ان الله سوف يرشدنا الى الخروج .. ثقي*

ان الله سوف ينجينا يا راشيل .. ارجوكي" ، و أجهش يحيي بالبكاء ، بينما ضم راشيل الى صدره ، حتى عم عليهما الهدوء و السلام ، بعدها بدأت راشيل في التفكير مليا ، و أخذت تلقي نظرات ثاقبة في المكان من حولها ، ثم نهضت ، و قالت : " أنا اسمع صوت مياة جارية .. هل تسمع ذلك معي ؟! " ، انصت يحيي و امعن التركيز ، و قال *: " نعم .. انها حقا تبدو اصوات مياه جارية .. لكني لا استطيع تمييز الصوت بدقة "* ، اتجهت راشيل صوب هذا الصوت ، و حاولت تتبع مصدره ، فيما مضى يحيي خلفها ، كان المكان شديد الرطوبة ، و الارض طينية رخوة ، ممتلئة بعدة صخور ضخمة ، منغرزة في باطن الأرض ، بينما لم يكن المكان شديد الظلام ، بل كان المكان مضئ الى حد ما ، و كأنه مضاء بنور القمر ، ما قد يعني انهما قريبان من السطح ، او ربما هناك ثغرة قريبة ينفذ منها الضوء ، و ربما ايضا ذلك الضوء هو ضوء النهار ، لانهما ظنا أنه مضى على وجودهما في تلك الحفرة وقت طويل .

حاول كليهما تلمس الطريق الى مصدر ذلك الصوت المنبعث من مكان قريب ، انحنيت راشيل ممسكة بالصخور من أسفلها

لتحسس الطريق ، و اخذت تحاول العبور بين تلك الصخور الصلبة للغاية ، بينما أخبرت يحيي ان يفعل مثلها ، ظلا يتحركان هكذا حتى وجدا كهفا صغيرا يعلوهما ، فقالت راشيل :" يحيي *.. انظر الى ذلك الكهف الذي بالاعلى .. لا يبدو عليه انه مظلم للغاية .. علينا ان نصعد الى ذلك الكهف .. ربما يقودنا الى المخرج !! "* ، رفض يحيي في اول الامر التصديق على كلامها ، سائلا اياها أن يحاولا العثور على مخرج آخر قريب ، لكن راشيل أصرت على كلامها ، معللة قولها بأن ذلك الصوت يصدر من مكان مرتفع ، كما ان ذلك الكهف لا يبدو دامس الظلام ما قد يقودهما إلى المخرج ، و قد كانت مصرة بألحاح على رأيها ، فلم يجد يحيي بدا من مخالفة رأيها ، و طفقا يتوجهان صعودا نحو الكهف ، حتى اقتربا من أحد جوانب تلك الحفرة العظيمة ، فأمسكت راشيل بأحد الصخور البارزة ، و حاولت الصعود ، لكنها وجدت صعوبة بالغة في تسلق تلك الصخور ، لأنها كانت شديدة الانحدار ، و صعبة التسلق ، فنزلا من فوق تلك الصخور ، و انتقلا للبحث عن مكان آخر أسهل في التسلق للوصول إلى ذلك الكهف المرتفع ، حتى وجدا طريقا اخرا يقود الى ذلك الكهف ، و لا يحتاج

للتسلق ، فقد كان طريقا سالكا بدا كدرج صخري ينتهي عند مدخل ذلك الكهف ، فصعدا على الفور الى ذلك الدرج ، حتى وصلا الى مدخل الكهف ، و عندما عبرا بوابته ، سمعا ذلك الصوت مجددا ، و لكن بوضوح تلك المرة ، و كأنه أقترب أكثر ، فولجا إلى داخل الكهف ، كان ذلك الكهف نفقا متسعا في باطن الارض ، و كان هناك ضوءا خافتا يصدر من نهايته ، فصاحت راشيل في يحيي قائلة *: " هيا يا يحيي .. هيا بنا نمضي في ذلك النفق .. هناك ضوء في نهايته .. لقد وجدنا المخرج .. لقد اقتربنا من مصدر الصوت .."* ، لم يكن يحيي يشعر بنفس تلك الهمة للمضي قدما في ذلك النفق الطويل ، لكنه اندفع وراء احساس راشيل ، الذي بدا عليها اليقين من ان ذلك النفق سوف يرشدهما للخروج ، ظلا يسيران قدما في ذلك النفق الممتد ، حتى توقفا عن نهايته ، فوجدا منحدرا عميقا ، و في أسفله فجوة عظيمة ، بها شلال ماء صغير يتدفق من الاعلى على الجانب الآخر ، أخذ كلا من يحيي و راشيل يتسلقون تلك الصخور نزولا الى قعر تلك الهوة العميقة ، حتى وصلا الى أسفل الشلال المائي ، كانت المياة تجري و تتدفق خلال الصخور الكبيرة ، لكنها شعرا

بالاحباط و اليأس ، و قال يحيي يائسا : *" لقد عثرنا على مصدر ذلك الصوت .. لكننا لم نجد أي مخرج .. لقد انتقلنا من حفرة الى حفرة أعظم منها .. ماذا سنفعل الان ؟! "* ، أجابته راشيل بيقين قائلة : *" انهض يا يحيي و لا تحزن .. اننا سننجو بمشيئة الرب"* ، ثم استطردت قائلة : *" ان تلك المياة التي تتدفق من اعلي تعني اننا في خزان بئر عظيم للمياه الجوفية داخل الارض ... و هذا يدلنا على انه يتوجب علينا الصعود مجددا الى اعلى ذلك الشلال حتى نصل الى سطح الارض "* ، أجابها يحيي و قد سيطر عليه التعب قائلا : *" انني أعلم كثيرا عن انواع الآبار يا راشيل .. هذه النوع من الآبار الذي نتواجد فيه يسمى بالبئر الارتوازي الانسيابي .. و ذلك ربما يعني اننا بداخل أخد الجبال و لسنا تحت الارض "* ، فأسرعت راشيل و قد بدا عليها الابتهاج قائلة : *" جيد!! .. هذا يعني ان هناك مخرج في أحد الاماكن من ذلك الجبل .. و بالطبع سيكون ذلك المخرج قريبا من أحد الأبار التي تضخ الماء الى سطح الأرض "* ، عقب يحيي على كلامها قائلا : *" ان ذلك الماء يقع تحت ضغط كبير.. و يكون الضغط قويا في هذه الآبار مما يجعل الماء ينساب على منحدرات الجبال دون ضخ ..*

بينما يخرج الماء المضغوط تلقائيا من الآبار المحفورة في مكان ما من الوادي خارج الجبل .. لكننا لا نعلم تحديدا كيف الطريق الى ذلك المكان المؤدى الى الوادي خارج الجبل " ، اخذت راشيل تفكر مليا في الأمر ، ثم و بعد صمت طويل و وقت كبير من التفكير ، قالت : *" يحيي .. اظن ان ذلك الماء المتدفق من الاعلي يوحي بأننا في قلب ذلك الجبل .. و عليه فانه يتحتم علينا البحث أسفل ذلك الشلال .. لأنه و حسب كلامك فمن المفترض ان تنساب تلك المياه الى سطح واد قريب خارج ذلك الجبل "* .

لم يأخذ يحيي وقتا طويلا للتفكير في ذلك الأمر ، فيما بدا انه مقتنع بكلام راشيل ، و أن عليهما البحث في مكان قريب أسفل الشلال المائي عن أي مخرج يقودهم الى سطح الوادي الخارجي ، و طفقا يبحثان حوليهما عن اي منفذ بين تلك الصخور الضخمة ، لكن دون جدوى ، و بعد بحث مضني انتابهما شعور بالاحباط ، قبل ان تتعثر قدم يحيي في هوة عميقة ، لكن الصخور الضخمة الموجودة فوق تلك الهوة ، و التي تسد فتحتها ، قد حالت دون وقوعه في تلك الحفره ، انحشرت قدم يحيي بين الصخور في داخل الحفرة ، فأسرعت راشيل محاولة انقاذه ، و بينما كانت

تحاول جاهدة ان تسحب قدمه الى الخارج ، ارتطمت بأحدى الصخور ، فوقعت صارخه على ظهرها ، حاول يحيي اخراج قدمه من بين تلك الصخور الصخور الصلبة ، لكنه لم يستطع ، و كادت قدمه ان تنخلع ، لملمت راشيل نفسها ، و نهضت متألمة اثر سقوطها على ظهرها ، لكنها لم تستسلم لألمها ، و قامت لتحاول مساعدة يحيي مجددا ، كان من الواضح انه لا حل الا دحرجة هذه الصخرة بعيدا عن الحفرة ، لكن الصخرة كبيرة و عصية على الدفع ، و مع ذلك اخذت راشيل تحاول دفعها بعيدا عن الحفرة ، حتى تمكنت من تحريكها بقدر يكفي لأخراج قدم يحيي ، و بالفعل أخرج يحيي قدمه ، ثم اخبر راشيل انه من الضروري اجبار تلك الصخرتين الضخمتين على الابتعاد عن الحفرة ، حتى يتثنى لهما النزول اليها ، لكن راشيل قالت له ان ذلك يبدو مستحيلا ، و بدلا من ذلك عليهما ان يبحثا عن منفذ في مكان آخر ، لكن يحيي أصر على ذلك ، و اخبرها ان المياه التي تنساب في تلك الحفرة دليل على اتصال تلك الحفرة بالبئر المحفور في الوادي خلف الجبل ، في البداية عليها ان يتعاونا في ابعاد تلك الصخور عن فتحة الحفرة ، و من ثم الكشف عن عمقها عن

طريق اسقاط قطعة حجر بداخله ، لم يكن هناك وقتا للتفكير ، فالغريق يتعلق بأي قشة ، و عليهما ان يسيرا خلف ذلك الأمل حتى و ان بدا سرابا ، ظل يحيي و راشيل يحاولان دفع الصخور بكل ما اوتيا من قوة ، و بعد عدة محاولات أمكن لهم ذلك ، و ابتعدت الصخرة الكبيرة عن فوهة الحفرة ، ثم قام يحيي بإلقاء حجر صغير في الحفرة لاستشعار عمقها ، و اكتشفا ان تلك الحفرة ليست بالعميقة ، فقررا النزول اليها .

لم تكن تلك المخاطرة باليسيرة على الاطلاق ، فالحفرة كانت شديدة الانحدار ، و أي تعثر فيها ربما يؤدي الى السقوط المحتم ، و ستكون عواقبه وخيمة ، و ربما تكلفهما تلك المخاطرة روحيهما ، لكن لا بديل عن المحاولة ، فانها إن لم يموتا بسبب السقوط في الحفرة ، سيموتنان حتما من الجوع في ذلك المكان الموحل ، و لن يعثر على جثتيهما أحد ، لذا بادر يحيي أولا بالنزول في الحفرة بشكل رأسي ، متشبثا في الصخور البارزة ، و مثبتا قدميه بحذر على احدي قطع الصخور البارزة ، و من حسن حظهما أن الحفرة كانت صخرية ، و كانت حوافها بارزة بشدة ، للدرجة التي تكفل لهما التسلق عليها ، نزل يحيي الى داخل

الحفرة ، و أعقبته راشيل بنفس الطريقة و نفس الحذر ، كان الأمر خطيرا للغاية ، و كادت قلوبهما ان تتوقف من شدة الخوف و الرهبة ، لكنهما كانا يحاولان التركيز الشديد ، و التغلب على ذلك الخوف ، لأن شعور الخوف كفيل بتوليد جرعات هائلة من هرمون القلق بداخلهما ، و الذي قد يتسبب في صرف انتباههما ، و يؤثر على تركيزهما اثناء النزول عبر تسلق حواف الصخور البارزة بداخل الحفرة .

لم يكن الأمر سهلا على الأطلاق ، لكنهما نجحا بالفعل في نزول الحفرة ، التي أدت بهما الى الوصول الى ممر آخر ، لكنه كان ممرا عرضيا أفقيا ، فكان من السهل عليهما المرور في ذلك النفق الطويل ، شعرت راشيل باقتراب الفرج عندما لمحت شعاع شمس يخترق ذلك النفق ، ما جعلها تصيح في سعادة شديدة قائلة :" *يحيي .. هذا الشعاع يدل على اننا اقتربنا من السطح .. لقد نجونا يا صديقي .. أنا لا أصدق !!* " ، لكن يحيي كان يبدو عليه أقل تفائلا ، على الرغم من أنه لاحظ شعاع الشمس يخترق النفق من بعيد ، فقد كان يحاول الا يندفع وراء أمل خادع ، ثم يتضح له انه كان سرابا ، لم يفقد يحيي الأمل لكنه أراد أن يصب

جم تركيزه على العبور من ذلك النفق ، و محاولة معرفة بوصلة الوصول الى المخرج ، أما راشيل فأخذت تقول له : *" أسرع .. أسرع يا يحيي .. اننا نقترب .. هيا ! "* .

أخذ يحيي و راشيل في الركض داخل ذلك النفق ، حتى عبرا النفق ، و وصلا الى تجويف صخري واسع و كبير ، و لكنه كان فارغا و خاليا من الماء ، و لم تكن حفرة صخرية كبقية الأماكن التي كانوا قد دخلوا اليها ، كانت تلك الحفرة رملية ، و كانت أرضها مليئة بالاحجار الصغير ، و بأعلى ذلك التجويف الشاهق كان هناك مكان مضئ تتخلله أشعه الشمس ، و عندما رأت راشيل ذلك المنفذ المضئ ، صرخت و قالت مبتهجة : *" هناك في الاعلى .. انظر فوقك يا يحيي .. المخرج هناك فالاعلى "* ، نظر يحيي أعلاه فتيقن صحة كلامها ، و تأكد من ان هذا المكان المضئ هو المخرج الفعلي لهذا الكابوس ، و بسرعة شديدة اتجها نحو ذلك المكان ، و حاولا الصعود عليه ، لكنها فشلا في ذلك ، حيث الارض الرملية تنزلق من تحت أقدامهما ، فما كان عليهما الا أنا طفقا يجلبون الاحجار الكبيرة و المتوسطه الحجم ، و قاما بوضع تلك الاحجار فوق بعضها البعض ، حتى تحولت

تلك الاحجار الى ما يشبه الدرج يمكن الصعود عليه ، صعدت راشيل اولا هذا الدرج المكون من الاحجار المتراصة بعناية ، و من خلفها صعد يحيي ، حتى ارتفعا الى تلك الفتحة الكبير ، فوجدا ممرا تملئه الشمس نورا ، حينها أجزما على انتهاء معاناتهما ، و أخذا يسيران في ذلك الطريق ، مخترقين الأشعة المتعامدة على اعينهما ، حتى اقتربا من نهايته ، فصار ذلك الممر أكثر ضيقا و انغلاقا ، لدرجة أن اجسامهما لا تستطيع العبور من داخل فتحة ذلك الكهف للخروج ، حاول يحيي النبش في الرمال ، بينما كانت راشيل تساعده في ذلك ايضا ، لم يكن يحيي و راشيل ذووي اجسام ممتلئة ، كانا رشيقان نحيفان ، لذا قرر يحيي أن تحاول راشيل الخروج أولا زحفا ، ثم يقوم هو بدفع قدميها الى الخارج ، و عندما تخرج راشيل تسحبه إلى الخارج ، و بوضعية الجنين في بطن امه ، بسطت راشيل ذراعيها على الرمال ، و أخذت تزحف على بطنها الى الخارج ، فيما كان يحيي يدفع قدميها الى الخارج بيديه ، حتى نجحت راشيل في الخروج ، و اندفع خلفها يحيي زاحفا ، بينما أمسكت راشيل بيده من خارج الكهف ، و أخذت تسحبه بقوة ، حتى خرج يحيي أيضا ، في تلك

اللحظه دفعهما شعور النجاة الى البكاء ، و طفقا يصيحان حمدا للرب على ان أمهلهما فرصة جديدة للعيش ، لكن المفاجأة أنهما حينما نظرا حوليهما ، وجدا نفسيهما في صحراء جرداء شاسعه ، تحيط بهما رمال الصحراء البيضاء من كل جانب ، في حين لم يكن هنالك أي أثر لوجود جبال قريبة منهما في ذلك المكان النائي ، حينها غيم عليهما الذهول المميت .

2

المشهد الثاني

(يوم الزينة)

" لا أعرف لماذا قد نزلت بنا في عهد توتيمايوس صاعقةٌ من غضب الإله ، فقد تجرَّأ قوم من أصل وضيع من الشرق على غزو بلادنا ، وقد كان مجيئهم أمرًا مفاجئًا ، وقد تسلَّطوا على البلاد بقوة في غير صعوبةٍ ما ، وبدون نشوبِ واقعة حربية ، و بعد أن تغلَّبوا على الرؤساء ، أحرقوا المدن بوحشية، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها ، وساروا في معاملة الأهل بكل قسوة ، فقتلوا بعضَ

القوم ، وسبوا نساء وأطفال آخرين ، وفي نهاية الأمر نصبوا واحدًا منهم اسمه «سالاتيس» ملكًا ، فاتخذ مدينة «منف» مقرًّا له، و فرض الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري، وترك له حاميات في الأماكن التي كانت أعظم صلاحية للدفاع، وقد أمَّنَ جناحه الأيمن بوجه خاص ، لأنه كان يتنبَّأ بما عساه أن يحدث من اغتصاب الآشوريين بمهاجمته عندما تزداد قوتهم في المستقبل، ولما كشف له في أرض جاسان عن مدينة حسنة الموقع تسمى أواريس ، تقع على الجهة الشرقية من فرع «بوبسطة»، عمل على بنائها من جديد، وحصَّنَ جدرانها ووضع فيها حامية يبلغ عددها نحوًا من ٢٤٠٠٠٠ رجل ، مسلحين لحماية حدوده ، و كان قد اعتاد زيارة هذا المكان كلَّ صيف لتوزيع الجرايات ودفع أجور الجنود من جهة، وكذلك ليُلقِي عليهم دروسًا هامة في فنون الحركات الحربية، ولأجل أن يُلقِي الخوفَ في قلوب الأجانب من جهة أخرى" (عن المؤرخ اليهودي يوسيفوس نقلا عن المؤرخ المصري القديم مانيتون عام 200 قبل الميلاد عن حقبة حقاو خاسوت أو الهكسوس) .

استفاق يحيي عندما سكب أحد الرجال في وجهه الماء ، و عندما فتح عينيه ، وجد أمامه رجالا يلبسون لباسا غريبا ، انفزع يحيي كثيرا لأمرهم ، و أسرع قائلا لهم : *" من أنتم ؟ ! "* ، أجابه أحد هؤلاء الرجال قائلا : *" حابي سيس !! .. هل أنت بخير؟ .. لقد وجدك بعض الجنود مغشيا عليك في الصحراء .. و كانت معك امرأة من العبرانيين .. كان مغشيا عليها ايضا .. قام الجنود ببل فمك بالمياه .. ثم اصطحبوك الى دارك .. "* ، ثم أكمل ساخرا : *" يبدو انك ذهبت الى الخلاء لمضاجعتها .. انها عبرانية مثيرة حقا .. رغب الجنود في مضاجعتها ايضا .. لكنهم أعادوها الى قومها لتولي شأنها .. "* ، لم يستطع يحيي تمالك اعصابه لسماع ذلك الهراء ، فصرخ في وجههم قائلا : *" من انتم ؟ .. و ما ذلك اللباس الذي ترتديونه ؟ .. أين أنا ؟ .. أنا لا أعرفكم !! "* ، حاول أحد الجنود تهدأته ، لكن يحيي فقد السيطرة على نفسه ، و لم يستطع الجنود السيطرة عليه ، حتى دخلت سيدة طاعنة في السن ، و أسرعت اليه قائلة : *" حابي سيس !! .. ابني الغالي !! .. حمدا للاله ست الذي نجاك من الكرب العظيم .. لقد وجدك الجنود مغشيا عليك في الصحراء .. عند أطراف أرض جوش(جاسان-فاقوس*

حاليا) .. بعيدا عن مدينة أواريس .. كيف حالك الآن يا بني ؟ " ، صرخ يحيي بكل قوة قائلا *: " لا أنني أحلم .. أنا لا أعرفكم .. لا يمكنني تذكركم .. يجب ان أنهض من ذلك الحلم اللعين .. أريد أن أنهي ذلك الحلم اللعين الآن ... الآن .. ابتعدوا عني جميعا .. أغربوا جميعا عن وجهي "* ، نظرت اليه السيدة نانيس ، و قالت للجنود ف فطنة *: " من فضلكم أذهبوا الآن .. و دعوه حتى يصير بحالة جيدة "* ، خرج الجنود من الدار ، بعد ان ألقوا على السيدة العجوز تحية عيد شمو (شم النسيم) ، و أخبروها ان الملك سوسرن رع -خيان الأله الطيب بن الشمس - سوف يعد حفلا كبيرا حاشدا في وسط المدينه عند معبد الاله ست الجديد ، بعد ان يقوم بزيارة معبد الأله ست الذي تم الانتهاء من تشييده بجوار القصر الملكي ، لتقديم القربان للألهه ، و افتتاح المعبد ، و سوف يلقي خطابا هاما على الشعب ، و بعدها سوف يتوجه صوب أطراف المدينة لتفقد العمل في تشييد الحصون الجديدة حول مدينة اورايس عاصمة البلاد الجديدة ، و اكدوا عليها ضرورة الخروج للاحتفال ، و وجوب خروج حابي سيس مع الجنود لتأمين موكب الملك سوسرن رع ، و حذروها ان لم يأت حابي

سيس الى الموكب فسوف يخبر كبير الجند الملك ، و سوف يعاقبه الملك عقابا شديدا على ذلك ، لكن السيدة نانيس أكدت لهم أنها سوف تجبره على الخروج لتأمين موكب الملك ، و طلبت منهم استدعاء الطبيب بايوم لمداواة حابي سيس ، حتى يتمكن من حضور موكب التأمين الملكي ، و خرج الجند مسرعين .

بدأ يحيي يهدأ و يفكر في حكمة فيما حدث له ، و قرر استدراك الموقف ، و حرص على التعامل بشكل طبيعي حتى لا ينكشف أمره ، و حتى لا يعرف احد بقدومه من المستقبل البعيد ، لذلك كان عليه لزاما ان يظهر امام الجميع بتلك الشخصية التي يدعونه بها ، و بعد فترة وجيزة جاء طبيب المدينه الشهير بايوم ليداوي حابي سيس ، و قام بأعطائه مشروبا من العرقسوس المخلوط ببعض الأدوية الأخرى لأخفاء مرارته ، و ذلك لتخفيف حدة العصبية و التوتر ، و طمأن السيدة نانيس على ابنها ، و أكد لها أنه يتمتع بحالة صحية جيدة تمكنه من حضور الحفل الملكي ، و انصرف الطبيب مسرعا للذهاب الى موكب الملك ، حيث يجب أن يكون متواجدا بصفته الطبيب الخاص بالملك و أسرته.

خرج حابي سيس _ابن الأله حابي (إله النيل)- الى الشارع مع مربيته السيدة نانيس ، ظهيرة يوم الاثنين ، يوم عيد شمو ، و هو بداية فصل الحصاد والنماء و الخير ، و فيه تتجدد الحياة و يستمر الوجود ، حسب معتقدات الآباء الذين رحلوا الى العالم الآخر ، و ينتظرون البعث الجديد ، كانت الشوارع تزدحم بالعامة ، في الطرقات و الأزقة و الاسواق ، الجميع خرج الى الشوارع و الحدائق و المتنزهات ، و على شواطئ النيل الخالد ، يرتدون لباس العيد الجديد ، و يهنئون بعضهم البعض بقدوم فصل الحصاد ، كانت الناس تملأها الفرحه و السعادة بالعيد ، و الفتيات قد تزين بعقود من الياسمون (الياسمين) و الحر بيك (الملانة) ، فيما حمل الأطفال سعف النخيل المزين بالورود و الألوان ، و كان الناس قد قاموا بتلوين البيض ، و نقشوا عليه الدعوات و الأمنيات للعام الجديد ، ثم جمعوا البيض ، و وضعوه في سلال من سعف النخيل ، و علقوه في شرفات المنازل ، وعلى أغصان الأشجار في الحدائق ، و كان ذلك في يوم الأحد السابق ليوم العيد بعد غروب الشمس ، و بعد سطوع إله الشمس رع بأشعته على الأرض ، التي توزع البركة على البسيطة ، قاموا

بتناول البيض ، لتتحقق دعواتهم و أمنياتهم ، و بدأ العيد ، و في هذا اليوم تتجدد الطبيعة بنسائم الربيع ، و ألوان الزهور ، و يتزين الناس بكل مظاهر الزينة و الجمال ، و يحتفل الجميع طوال اليوم من شروق الشمس و حتى مغربها ، و كان الناس يقيمون حفلات الترفيه مثل الرقص على انغام الناي و المزمار و القيثارة ، تصاحبها دقات الطبول و الدفوف ، مع الأغاني و الأناشيد الخاصة بهذا العيد .

و بينما كان حابيس يسير مع السيدة العجوز ، سأل حابيس مربيته عن وجهتها التي سوف تذهب اليها ، فأجابته السيدة العجوز قائلة : " سأذهب عند نساء العائلة في البيت الكبير .. حيث سنتوجه جميعا الى شاطئ النيل المقدس ، الذي يمثل عند الآباء الحياة و بداية الخلق ، فعندما كان العالم عبارة عن محيط أزلي أو لجة مائية كبيرة .. ليس له نهاية .. برز الأله الخالق من المياه .. و خلق العالم بأرادته .. فأصدر كلمة نطق بها لسانه .. فكان من امر الخلق بأن يكون .. فكان الخلق .. و ما هذا النهر الخالد يا بني سوى فيض من ذلك المحيط الأزلي الذي بدأ منه الخلق .. لذلك و في هذا اليوم المبارك .. نذهب الى شاطئ النهر

ونفترش الأرض حيث يحملنا جب (أله الأرض) و تغطينا نوت (إلهة السماء) .. و نقوم بتناول أطعمة العيد الخاصة .. المكونة من البيض رمز بداية الخلق .. و البور (السمك المملح) الذي يرمز للحياة و النماء و الخير ، و الخس المقدس عند الأله مين (إله التناسل و الاخصاب) و الذي يكتمل نضجه في هذا اليوم .. و الحر بيك المقدس (الحمص الأخضر - الملانة) و الذي تشبه حبته رأس الصقر و ينضج و يمتلئ في مثل هذا اليوم من العام ليكون بمثابة اعلان عن قدوم الربيع.. هذا بالأضافة الى البصل الأخضر لطرد الأرواح الشريرة و قهر الموت و التغلب على الأمراض " .

بدا على حابيس الأنزعاج من امر تناول البصل ، فاستطردت الأم قائلة : *" أعلم يا بني انك تكره البصل .. لكن هل سمعت بنبأ الملك و الطفل الوحيد ؟ "* ، أجابها حابيس : *" لا و ما تكون تلك القصة ؟ "* ، أجابته الوالدة : *" يحكي ان أحد الملوك كان له طفل وحيد .. و كان محبوبا من عامة الشعب .. و أن هذا الأمير الطفل مرض بمرض عضال .. أفقده القدرة على الحركه.. و تعرض لشلل تام في أطرافه .. و عجز الأطباء و الكهنة و السحرة على*

علاجه .. فلزم الأمير الطفل الفراش عدة سنوات .. لم تقم خلالها أية احتفالات أو افراح بالعيد .. مشاطرة من الشعب للملك في أحزانه .. و كان أطفال المدينة يقدمون القرابين للأله في المعابد في مختلف المناسبات .. طالبين لميرهم الطفل الصغير الشفاء من مرضه .. و ذات يوم استدعى الملك الكاهن الأكبر للأله أمون .. فأخبرهم الكاهن أن مرض الأمير الصغير يرجع الى وجود أرواح شريرة تسيطر عليه .. و تقعده عن الحركة بفعل السحر .. و أمر الكاهن بوضع بصلة تحت وسادة الأمير لتكون تحت رأسه عند غروب الشمس بعد أن قرأ عليها بعض التعاويذ كما روى لي أبي .. و عند الصباح شقها و وضعها فوق أنفه ليستنشقها .. و طلب تعليق حزم البصل فوق سرير الطفل و على أبواب الغرف و بوابات القصر و ذلك لطرد الأرواح الشريرة .. و تروي القصة أنه بناء على ذلك تمت معجزة شفاء الأمير الصغير تماما .. و الذي نهض من فراشه و خرج ليلهو ويلعب في الحديقة و عاد لسيرته الأولى .. و فرح الملك و أقام الأفراح في القصر .. و حضرها جميع اطفال المدينة .. و شارك الشعب بكل طوائفه في هذه الأفراح بالقصر " ، كان حابيس يستمع باهتمام بالغ الى تلك القصة ،

فقد أعتاد على سماع مثل تلك القصص الشيقة من مربيته عندما كان صغيرا ، لكن تلك القصة لم تروها له السيدة نانيس من قبل ، فعقب على حديثها قائلا : *" سيدة نانيس !! .. أنها قصة جميلة حقا .. لكني لن أءكل البصل رغم ذلك .. "* ، فأجابته السيدة قائلة : *" هكذا أنت يا حابيس .. لم تتغير .. عنيد و لا تغير موقفك الا بصعوبة بالغة .. لكنك يا ولدي طيب القلب قوي الشكيمة لا يفت في عضدك أي مصاعب .. تتغلب عليها ولا تغلبك .. سأدعو لك الأله أن يرزقك الزوجة الصالحة التي ترعى شئونك وتجلب لك السعادة الأبدية .. أنا من ربيتك يا بني .. و لم اكن انجب .. و انت كنت و مازلت دوما في منزلة ابني .. انني ان كنت أنجبت طفلا من رحمي ما كنت لحبه كما أحبك يا حابيس .. بارك الاله في عمرك و شبابك .. و نصرك على كل عدو"* ، ابتهج فؤاد حابيس كثيرا لسماع هذه الدعوات ، و سأل الله الأجابة ، ثم طرأ في خاطره سؤالا عابرا ، فقال لها : *" مربيتي الغالية .. أريد أن أسألك سؤالا وددت لو اطرحه عليكي منذ زمن .. لكني أعلم مدى حساسية هذا الكلام .. لذا لا أرغب أن يسمعنا أحد "* ، فهمس حابيس في أذنيها سائلا اياها : *" هل حقا تؤمنين*

بالأله ست الذي رفعه الملك على العرش و عظم شأنه و جعله إله أواريس المعبود ؟ " ، أجابته المربية قائلة : *" أرجوك يا حابيس لا تتحدث في تلك الأمور الدينيه .. انني أخشى عليك يا بني من بطش سوسرن رع .. ان جنوده و جواسيسه في كل مكان .. و هو قد رفع المعبود الأله ست فوق كل الألهه .. و أمر بعبادة ست و تقديم القرابين له .. لذا يا بني احذر كثيرا من التحدث في هذا الشان مع احد من العامة .. و على كل حال فهو أقل مجونا من الأله مين الذي يحب تقديم الخس كقرابين له .. و ست أيضا يحب الخس لذا أحرص على وضع كمية وفيرة من الخس في سلة لتقديمها قربانا للأله ست .. معبود أواريس .. و اما فيما يتعلق بذلك الأمر فسنتحدث عنه فيما بعد .. أما الآن و نحن في الطريق العام لا أقدر سوى ان أسأل الأله المعبود لك الحفظ و السلام !"* ، ثم تركها عند دار أقاربها ، و انصرف للأنضمام الى الجند في تأمين موكب الملك .

مضى حابيس في طريقه نحو وسط المدينة ، حيث وجد جمعا حاشدا من جنود الملك و هم يأخذون التعليمات من كبير الجند ، أنضم اليهم حابيس على الفور مرتديا لباسه العسكري

المخصص لحراس الملك ، و بدأت مراسم الاحتفال بقدوم الملك سوسرن رع ، و عند دخول الملك الى ساحة الاحتفال ، امر كبير الجند بالدق على الدفوف و الطبول ابتهاجا بوصول الملك ، و بعدها تقدم رئيس البلاط الملكي (و رئيس مقاطعة ارض جوشن و حامل أختام الملك) الموكب الملكي ، و كان يرتدي مئزرا نصف مضفر ، يلتف حول بدنه من اليسار الى اليمين في اتجاه عكس دوران عقارب الساعه ، و كان الجزء المضفر الذي يشد الى الأمام يحفظ من الإتساخ أو التثني بالأصابع أثناء شده الى موضعه بإستخدام عروة أو لسان خلف الحزام ، و قد عقدت في وسط الحزام عقدة أنشوطية من نوع غريب بنهايتين تثنيان فتختفيان ، و قد كان ذلك الزي الرسمي الذي يظهر به رئيس البلاط الملكي و نبلاء القوم و كبار المسئولين في الدولة ، و قد عمد حقاو خاسوت (ملوك الرعاة – الهكسوس) على تقليد أهل كيميت متبعين تقاليدهم و أزيائهم الرسمية في مثل تلك المناسبات ، ليضفوا نوعا من الشرعية على بلاد القبط ، و لبسط نفوذهم على سكان البلاد الأصليين ، عندما يظهروا أمامهم ملتزمين بعاداتهم و تقاليدهم المتبعة ، كنوع من الاحترام و

التقديس لحضارة بناة الأهرامات العريقة ، ثم صاح رئيس البلاط الملكي في الحشود الوافدة من كل بقاع أرض جوش مخاطبا فيهم : *" أيها الشعب الرعية .. عباد الملك الأله الطيب .. ملك أهل كيميت .. و ملك ملوك الأعراب .. رحبوا بالملك المظفر بن الشمس حاكم الأرضين .. رحبوا بقدوم الملك خيان سوسرن رع .. فليعم الرخاء على أبناء أرض جوش الذين أثبتوا ولائهم للملك و قاموا بتشييد الحصون حول المدينة التي امر بها الملك .. لتحميكم من هجمات الآشور .. أيها الشعب الرعية .. عبيد الإله الطيب سوسرن رع .. أبشروا بحلول فصل الحصاد و الاذدهار على مدينتكم .. لقد جاء الملك ليشهد معكم احتفال أهل كيميت بعيدهم عيد شمو .. و تعظيما لهذا اليوم أعلن افتتاح معبد الأله ست .. الأله المعبود و المعظم على كل الألهه .. ليكون معبود مدينة أواريس المحصنة .. عاصمة الأمبراطورية الجديدة المترامية الأطراف .. و لتكون مركزا تجاريا و ثقافيا لأمبراطورية الجديدة .. فلتسجدوا جميعا للملك "* ، و لما انتهى رئيس البلاط الملكي من خطابه ، خر جميع الحشد و الوفود و الجنود سجدا أمام الملك ، و تقدم كبير الكهنة و المكلف بادارة المعبد الجديد

ليلقي خطابه على عوام الرعية ، و كان يرتدي زيا مصنواعا من التيل ، و فوقه جلد نمر حقيقي ، و قد ألتف حوله عدد كبير من الكهنة يلبسون القمصان الضيقة ، ثم بدأ كبير الكهنة خطابه الذي قال فيه :" *ايها الشعب عبيد الملك .. الأله الطيب سوسرن رع .. الآن سوف يتوجه الملك سوسرن رع لأفتتاح المعبد الجديد و رفع الأله ستخ على العرش .. ليصبح اله الامبراطورية الجديدة .. و قد أمر الملك عامة الشعب بتقديم القرابين للأله ست .. كما أمر بذبح العديد من رؤوس المواشي فربانا للأله ست معبود أواريس الجديد .. و سوف يقوم الجنود بتوزيع لحوم الذبائح عليكم .. ليعم عليكم الرخاء .. فلتأكلوا و تهنئوا و تبتهجوا بعيدكم .. كما امر الملك بصنع تماثيل جديدة على شكل أسد تحمل اسم الملك الخالد سوسرن رع .. و لقد أمر الملك الرعية بإقتناء تلك التماثيل في بيوتهم .. و سوف تخصص عطايا كبيرة للفنانين النحاتين القبطيين المهرة الذين شاركوا في صنع هذه التماثيل ..أما شعب العبرانيين من العمال و الخدم فقد خصص لكم الملك مكافأة عظيمة حيث أمر بصرف سلال من الغلال و اللحوم لكل أسرة منكم .. حتى تبقى بيوتكم توقد فيها*

النيران الى نهاية الاحتفال .. تقديرا من الملك الأله الطيب على مجهوداتكم في ترميم المدينه و رفع كفائتها و تشييد حصونها .. و أما جنود الملك العظام فقد امر لكم بصرف علاوات كبيرة على اجوركم هذا العام لدوركم العظيم في تأمين عاصمة البلاد.. لذا فانه يتوجب عليكم الآن أن لتتوجهوا الى الأله ست خاشعين سائلين اياه ان يحفظ عليكم ملككم العظيم " .

انتهى كبير الكهنة من خطابه ، و توجه بصحبة الوزراء و كبار المسئولين لإفتتاح المعبد أمام الشعب ، الذين تجمعوا في الساحة الكبيرة أمام القصر الملكي ، ثم دخل الملك الى المعبد ، و قام بتقديم القرابين للأله ست ، و رفعه على العرش ، ليعتلي عرش الملك الألهي ، و يكون "ستخ"(ست) حاميا لدولة هك خاسوت (ملك الرعاة) الجديدة ، المترامية الأطراف ، فيما قام وجهاء القوم بتقديم القرابين للإله ست معبود أورايس الجدي حاملين الأكاليل احتفالا بتلك المناسبة .

انتهى الأحتفال في الساحة الكبيرة بوسط اواريس ، ثم توجه الملك بعد ذلك لمتابعه أعمال البناء في تشييد الحصون الجديدة حول المدينة ، حتى توقف موكب الملك امام سور

الحصن الكبير ، و نزل الملك من عربته الحربية التي يقودها جوادان أبيضان قويان ، و من حوله اصطف كبير الكهنة و رئيس مقاطعة جوش و الوزراء و كبار المسئولين ، و من خلفهم اصطف الجند مؤدين التحية العسكرية الخاصة بالملك ، و سجد جميع العبيد الذين سخرهم الملك في أعمال التشييد و البناء ، و شتى الأعمال الدونية كخدمة وجهاء القوم و كبار المسئولين بالمدينه ، و بينما إلتف جميع العمال في ذلك الحصن حول الملك ، نظر اليهم حابيس في تعجب و دهشة ، ثم مال على أذن زميله الجندي الذي كان يقف ثابتا بجانبه ، و قال له : *" هل لك أن تخبرني من هؤلاء القوم يا زميلي العزيز؟"* ، أجابه الجندي في أمتعاض قائلا: *" انهم عبيد المدينة .. قوم همج من العبرانيين .. كلفهم الملك بأعادة بناء المدينة و تشييد الحصن الكبير .. كما أوعز لعدد من المهندسين الأقباط الأكفاء بالأشراف عليهم .. لأنهم لا يقومون بالواجب المكلفين به على اتم وجه .. لذا يجب على الملك أن يشدد عليهم حتى ينتهوا من بناء هذا الحصن المنيع حول أواريس "* ، ثم عم الصمت في المكان ، و قام الملك بألقاء خطابه على العمال العبرانيين ، حيث وعدهم في أول الأمر

بمنحهم العديد من المكافئات و العطايا في حال انتهائهم من بناء الحصن المنيع في وقت وجيز ، و هددهم بالعقاب الأليم في حال تقاعصهم عن أداء الخدمة الألزامية ، و فرض الضرائب الباهظة عليهم عقوبة لهم على عدم أخلاصهم لملك البلاد ، و عدم أمتثالهم لأوامره ، حتى انتهى الملك من خطابه الذي كان يحمل نبرة ترهيب قوية للعمال ف المشرفين على بناء الحصن ، و بينما كان الملك يلقي خطابه تذكر حابيس أمر تلك الفتاة التى أخبره الجنود انهم وجدوها معه في الصحراء مغشيا عليهما ، و تذكر عندما أخبره أحد الجنود أنهم نقلوها الى قومها ، و اخذ يفكر مليا في احتمالية أن تكون تلك الفتاة موجودة ضمن أولئك العبرانين الذين يعملون على بناء الحصن الجديد ، لذلك ظل حابيس ينظر إليهم بشغف عساه أن يجمعه القدر بها مجددا ، ليعرف منها ما الذي حدث لهما في ذلك اليوم .

3

المشهد الثالث

شعب إسرائيل

في اليوم التالي صباحا ، خرج حابيس صباحا مع عدد من الجنود الي الحد الشرقي من المدينة ، قرب الصحراء الشرقية الشاسعة ، للقيام بالتدريبات العسكرية الصباحية ، و تلقي دروسا في فنون الحرب و القتال ، قبل الذهاب لمتابعة سير العمل في بناء حصن اواريس العظيم ، و هناك أجتمع بهم كبير الجند و قائد جيش مقاطعة أرض جوش الشمالية الشرقية ، و الذي كان بدويا راعيا

من أصل أسيوي ، ينتمي لأحدى قبائل الهكسوس ، و كان شاب صغير ولوع بأن يصبح في أحدى الأيام من جنود العربات ، و هم الذين يقاتلون بالعربات الحربية التي تجرها الأحصنة القوية ، حيث يقف في العربة جنديان أحدهما يقودها و الآخر يحارب ، و قد تلقى ذلك القائد الجديد تدريباته العسكرية على يد احد أمهر القادة العسكريين القبطيين من المحاربين القدامى في الدولة قبل سيطرة حكام البدو (الهكسوس) على مفاصل الدولة ، مستغلين ما تعرضت له البلاد من انقسامات حادة و تصدعات و خلافات خلال حكم الأسرة الرابعة عشر التي كانت تحكم شمال البلاد في ذلك الوقت ، ثم تمت ترقيته الى قائد الجيش الشمال شرقي في عهد الملك الجديد ، و قد استهل كبير الجند خطابه قائلا : *" أيها الجنود .. حماة العاصمة الجديدة .. و حراس الملك الأله الطيب .. إن الجندية و العسكرية حياة صعبة .. لما فيها من التزام بالقوانين و التدريبات العسكرية الشاقة .. و التي لا يقوى عليها أي فرد عادي .. و أني احذركم من الاستهانة بتلك المهنة الهامة .. و لتكونوا على علم مسبق بأنكم معرضين دائما لأشد أنواع العقوبات و أقساها .. في حال ارتكب احدكم أقل*

الأخطاء و أهونها .. فإذا جاء يوم التفتيش و وجد أقل تقصير من احدكم .. او وجدت إحدى المعدات الخاصة بكم بها خلل فإنه سوف يطرح أرضا و يضرب بالعصا ضربا مبرحا حتى الهلاك .. و غن ذلك العقاب لهو اهون بكثير من حالة الجنود الصغار و العبيد الذين يجلدون في ثكناتهم و يصلبون في جزوع النخل لأي هفوة تصدر منهم .. و أنكم أيها الجنود لتتكبدون أشد المتاعب أثناء سيركم للحروب حاملين معداتكم و لوازمكم و آلات قتالكم .. و كثيرا ما تضطرون لشرب المياه القذرة أثناء اجتيازكم الصحراء .. أيها الجند العظيم إن العسكرية شرف كبير ... و إنكم حماة البلاد الين تم أختياركم بعناية للحفاظ على وحدة تلك الدولة الجديدة .. و قد أمر الملك بإنشاء قوات جديدة خاصة بحماية المعبد الجديد .. و سوف يتم اختيار الجنود الأكفاء منكم للعمل في تلك القوات .. و سوف يكون الاختيار بناء على مدى الأخلاص للدولة و الأمتثال للأوامر و طاعة الملك و الأيمان بالإله ست معبود الدولة الجديد .. و عليه فسوف يتم اختيار قائدا محنكا منكم .. يمتلك القوة و الشجاعة ولأدارة الأمور بحنكة و ذكاء .. و سوف يتم اختياره بناء على مدى امتلاكه للشخصية

القيادية القوية و مدى اخلاصه للملك و وفائه للإله ست .. و هو ما يجعل الجميع يقدره و يخشاه في نفس الوقت .. أيها الجند المهيب ليكن ولائكم للدولة و انتمائكم للملك و حبكم للإله ست هو شعاركم في الجيش .. و لتكونوا على قلب رجل واحد تحت قيادتي و زعامتي .. و من يرتد منكم عن تعاليمي فسوف اعاقبه عقابا شديدا " .

ظل حابيس واقفا في ثبات ، مصطفا لجوار المئات من الجنود ، يستمع لخطاب القائد الجديد ، و قد كان حابيس يكتم في داخله عداءا شديدا لذلك القائد المستبد البربري الهمجي ، الذي لا ينتمي الى قومه و بني جلدته ، و قد كان ذلك الضجر مستشريا في نفوس الكثير من الجنود الأقباط الذين تم تسخيرهم للعمل في الجيش ، تحت قيادة زعماء قبائل الهكسوس ، و قد جرت العادة على تمييزهم عن بقية الجنود الأشداء القساه من الرعاة ، فكلما كان الجندي ينتمي لعشيرة الملك او الصفوة من كبار المسئولين بالمدينه كلما ازدادت فرصه للترقية السريعة ، و التي ما كانت تعتمد اطلاقا على الكفاءة ، و انما كانت تقاس بمدى الانتماء لقبائل الهكسوس التي تحكم البلاد ، و مدى

الاخلاص في حب الملك و عبادة الإله ست أو كما كان يطلق عليه القوم الرعاة الإله بعل ، و عندما انتهى كبير الجند من خطابه ، تفرق الجنود كل في فرقته ، بينما ذهبت الفرقة التي ينضهم اليها حابيس لمتابعة سير أعمال البناء في الحصن الجديد ، لكن حابيس ترك الجنود و ذهب منفردا الى البادية على أطراف المدينة ، حيث القرية التي يسكنها العبرانيون ، باحثا عن تلك الفتاة العبرانية التي وجدها الجنود بجانبه في الصحراء الشرقية مغشيا عليهما ، حتى وصل حابيس الى قرية صغيرة في الحد الجنوبي من مدينة تانيس ، على مشارف الصحراء في فضاء واسع من المرعى ، كانت تلك القرية النائية يسكنها العديد من العبرانين ، الذين يعيشون في خيم فقيرة بائسة ، و أغلبهم من الخدم و العبيد و العمال ، و قد سلبت مراعيهم و مواشيهم ، و صاروا يعملون فقط في خدمة سكان المدينة المحتلين الجدد ، و كانوا يلبسون ثيابا بالية من أقمشة رديئة و رثة للغاية ، كانت عبارة عن قطع مستطيلة من القماش الرث ، يلفونه حول خصورهم ، و كانت النساء يرتدون نفس النوع من القماش الرث ، بالأضافة الى قميصا رديئا من القماش البالي له أكمام طويلة ،

يغطي اكتافهم و صدورهم و بطونهم ، كان يغلب على لباسهم اللون الأسود ، في حين أنه كان يختلف كثيرا عن لباس سكان المدينة من الأسيويين الرعاة و الأعراب العمالقة و البدو الكنعانين و الأقباط الأصليين ، حيث كان ردائهم أفضل حالا منهم ، و كان في الغالب مصنوع من الكتان و الصوف و الحرير ، و يحمل تطريزات متنوعة ، مزينين ملابسهم بالخرز الملون ، بينما كانت النساء ترتدي لباسا قصيرا يعلو الركبة بقليل ، و صدارا مزخرفا ، يلبسونه على صدورهم بدون أكمام ، و بطونهم كانت عارية، و هناك رآه أحد الفتيان بزيه العسكري ، فأسرع ذلك الفتي الى قومه محذرا اياهم من قدوم احد الجنود و بطشه بهم ، و قد بدا على ذلك الفتى الرعب الشديد للوهلة الولى التى رأي فيها حابيس بزيه العسكري المعروف .

انطلق الفتى العبراني الصغير مسرعا الى داخل القرية ، و صاح في قومه قائلا بلغة عبرانية سامية لم يكن يفهمها حابيس جيدا ، و كانت تلك اللغة شبيهة الى حد كبير بلغة الأسيويين الساميين الرعاة ، و هي من اللغات السامية الأسيوية ، و تختلف اختلافا كبيرا عن اللغه الهيروغليفية التي كان يتكلم بها حابيس

و أهله من القبط ، لكنه تعود على تلك اللغة و صار يفهم الكثير منها مع الوقت ، بعد أن استوطن الأسيويون بلاد القبط ، و اختلطوا بسكان البلد الأصليين ، كان ذلك الفتى يصرخ قائلا : " *ادخلوا الى خيامكم فورا .. لقد حضر احد الجنود من حرس الملك .. و سوف يبطش بكم .. اهربوا بسرعة حتى لا يمسكم منه عذاب عظيم .. أيها القوم ادخلوا الى مساكنكم بسرعة* " ، و في لحظات قصيرة صارت القرية كمدينة أشباح لا يتواجد احد خارج الخيام ، لكن حابيس أقترب أكثر من إحدى الخيام ، و دخل اليها باحثا عن ذلك الفتى ، أخبره اهل الخيمه مفزوعين أن ذلك الفتى لم يأتي عندهم ، فخرج حابيس من خيمتهم ، و ظل يبحث عن ذلك الفتى ، حتى وجده يفر فزعا الى داخل إحدى الخيام فنادي عليه ، و أسرع خلفه ، بينما كان الفتى قد أختفى عن ناظريه ، فدخل حابيس الى تلك الخيمة التي ولج فيها الفتى ، و عندها رأى أم الفتى ، فأجهشت بالبكاء ، و توسلت لحابيس حتى يتركه و شأنه ، أخبرها حابيس انه لا ينوي أذيته ، و أن سبب وجوده هنا انه يبحث عن فتاه عبرانية وجدها الجنود مغشيا عليها في الصحراء ، و عندما سمعت تلك المراة من حابيس ذلك الكلام ، صرخت

و خرت تحت قدم حابيس ساجدة ، متوسلة إليه بأن لا يصيبها بأذى ، فقال لها حابيس : " *انهضي يا امرأة .. ما جئت الى هنا لأتعرض لأحد من عائلتك بسوء .. فقط اخبريني أين يمكنني أن اجد تلك الفتاه ..* " ، تلعثمت المرأة العبرانية ، و قالت في خوف : " *أنها ابنتي يا سيدي !! .. أتوسل اليك أن تدعنا و شأننا و لا تمسنا بسوء .. و ان كنت ترغب فيها فها انا امامك لتأخذ مني ما تشاء و لتصرف نظرك عن ابنتي* " ، و صارت المراة العبرانية تبكي بحرقة ، و تتوسل الى سيدها ليدع ابنتها ، فأجابها حابيس قائلا : " *ماذا تظنين أني فاعل بها ؟* " ، نهضت المرأة ، و قالت : " *كما يفعل بقية الجنود .. يا سيدي اننا ندفع الضرائب و نطيع الملك و لا نعصي له أمرا .. نحن قوم مسالمون .. و لا نقوى على أذى جنود الملك .. أنهم حينما يأتون الينا يسبون رجالنا و يذبحون أطفالنا و يستحلون بناتنا .. و في ذلك بلاء من الرب عظيم لنا .. لكننا صابرون و محتسبون الأجر من الرب .. هو يرانا من حيث لا نراه .. و هو يسمعنا و يعلم بحالنا .. اننا مستضعفين في الأرض يا سيدي .. لذا أتوسل اليك أن تدع ابنتي ولا تصيبها بسوء* " ، دمعت عيني حابيس لما قالته تلك المرأه العبرانية ، و

سكت لبرهه ، ثم عاد ليقول لها :*" و ماذا تريدنني أن أفعل حتى تصدقين أنني ما جئت الى هنا لشر او أذي ؟ "* ، فأجابته المرأة : " انني أتوسم فيك الصلاح و التقوى يا بني .. فهل انت رجل قبطي ؟ " ، أجابها حابيس في وقار قائلا :*" نعم انني قبطي من أهل شعب كيمت الأصليين .. ألا يبدو علي أنني لست بدويا بربريا؟ .. أننا بناة الاهرمات أصحاب أول حضارة على الأرض .. لا نذبح الأطفال و لا نستحل نساء غيرنا .. و لا نستعبد الرجال .. اننا شعب متحضر أبناء ذلك الوادي الخصيب المبارك "* ، أومأت المراة برأسها ، و قد بدا عليها أنها اقتنعت بكلام حابيس ، فردت عليه قائلة*:" أعلم ذلك يا بني .. لقد عشنا بين أهل القبط سنينا .. و تالله ما وجدنا منكم غير كرم الضيافة و حسن الاستقبال .. هل لي ان أعرف فيما تريد ابنتي ؟ "* ، أجابها حابيس :*" انني أردت فقط أن اطمئن عليها .. لقد علمت أن الجنود قد وجدوها مغشيا عليها الى جانبي في الصحراء .. لكنني لا اتذكر تفاصيل ذلك اليوم .. و لا اعرف ماذا حدث لنا في الصحراء .. و قد علمت انهم قد حملوها و جلبوها الى قومها .. لذا فأنني اطلب منك ان تخبريني بمكانها فورا و دون تردد "* ، فأشارت له المرأة العبرانيه

على مكانها ، فذهب حابيس حيث أشارت له المرأة ، فوجد فتاة حسناء شديدة الجمال ، تجلس القرفصاء ، و قد رفعت يدها الى السماء ، فسمعها تتمتم بكلام بالعبرانية و تقول :

" الهي .. يهوة العظيم الخالق .. ربنا و رب آل اسرائيل .. رب موسى و هارون .. رب الخلاص الأعظم .. خلصنا من العذاب كما وعدتنا .. الهي ياهوه بك احتمي .. يا ملجأي و مناصيي لك ألجا .. خلصني من الظلم و نجني و قومي من العذاب .. اقض لي يا الله و خاصم أمة غير راحمة .. و من الظلم نجني .. كن ضامن عبدك للخير .. لكيلا يظلمني المستكبرون .. انقذني يارب من أهل الشر .. و من رجال الظلم احفظني .. اللهم انتقم من القوم الظالمين .. و انزل عليهم مقتك و غضبك حتى يؤمنوا بدعوه موسى .. اللهم رد علينا موسى سالما غانما .. و أنصره على القوم الكافرين ..اللهم انتقم منهم و انزل عليهم البلاء و الوباء .. اللهم عاقبهم بتحول مياههم الى دماء .. و موت الأسماك في الأنهار .. و عاقبهم يارب بالضفادع و البعوض و الذباب و البرد و الجراد و الظلام .. فهؤلاء جنودك المخفيين .. تسلطهم على من تشاء من عبادك .. اللهم انك تنتقم للأبرار .. ليس من منطلق الثأر الخارج

عن السيطرة .. و لكن من منطلق القصاص العادل من قبل الديان الأبدي الذي أحكامه كلها عدل .. و حتى عندما يتألم الأبرياء و يبدو الأشرار ناجحين .. فإن العقاب من حقك انت وحدك .. اللهم إنك إله غيور و منتقم و ذو سخط .. اللهم إنك منتقم من مبغضيك و حافظ غضبك عن تابعيك و أحبائك .. اللهم إننا شعبك المختار الذي اصطفيتنا بالرسالات و الأنبياء و بدعوة الحق .. اللهم انتقم .. اللهم آمين " .

ظل حابيس واقفا خلف الستار ، يستمع لدعاء تلك الفتاه الخاشعة ، حتى انتهت من حديثها الى ربها ، فألقى عليها السلام ، فزعت الفتاة فزعا شديدا ، و رفعت غطاءا حريريا فوق رأسها ، و التفتت إليه ، و قد خفضت وجهها في الأرض ، و قالت *: " من أنت ؟ .. و لماذا أتيت الى هنا ؟ "* ، أقترب منها حابيس ، و حاول طمأنتها قائلا : *" لا تخافي .. عليك السلام من الإله .. إنني أدعى حابيس .. من جنود حرس الملك .. و قد جئت اليك لأطمئن عليكي .. فلقد علمت أن الجنود قد وجدوكي مغشيا عليكي في الصحراء .. فهل تتذكري ذلك ؟ "* ، ثم توقف حابيس عن الكلام ، و انتظر ردها ، فرفعت الفتاة العبرانية رأسها ، و نظرت الى

حابيس و قالت : *" إنني لا اتذكر شئ .. من فضلك أذهب عني الان !! "* ، كان واضحا على الفتاه الخوف من حابيس ، لذلك حاول حابيس التقليل من رهابها و قلقها ، فقال لها : *" وكأنك لا تريدين التحدث إلي .. و الله ما جئت إلى هنا لأذيتك .. و إنما جئت لأقرأ عليك السلام .. لقد أخبرني الجنود انهم وجدوني مغشيا علي في الصحراء .. و ذكروا لي فتاة كانت بجواري مغشيا عليها أيضا .. "* ، ثم استطرد قائلا : *" و لقد علمت أن تلك الفتاة التي أشير اليها من القوم العبرانيين .. كما أخبرني الجنود أنهم أعادوها الى قومها في ذلك اليوم .. و عندما ذكرت ذلك لأمك .. أخبرتني على مكانك و كأنها تؤكد لي أن تلك الفتاة التي أبحث عنها هي أنتي .. أليس كذلك .. ؟"* ، أدارت الفتاة وجهها ، و أجابت : *" بلى .. إنها أنا .. "* ، ثم أعقبت قائلة : *" و إني لا أعرف المزيد عن ذلك اليوم سوى ان اهلي أخبروني أن الجنود حملوني من الصحراء الى هنا .. حتى أني لم أتذكر إسمي إلا عندما أخبرتني به والدتي .. و كأنني جئت من عالم بعيد أو من زمن آخر .. لا أعرف شيئا غير أن إسمي سارة .. و هذا كل ما أتذكره "* ، انتهت الفتاة من حديثها ، لكن ذلك زاد من حيرة حابيس ، فأعقب على كلامها قائلا : *" سارة! .. يا له من*

اسم جميل !! .. إنني مثلك تماما .. لا أتذكر الكثير عن ذلك اليوم .. و لا أعرف شيئا غير أن إسمي حابي سيس .. لكنك يمكنك أن تناديني بحابيس .. يبدو علينا أننا نتشارك هذا اليوم الغامض .. .. " ، اقترب منها حابيس اكثر و وضع يده على كتفها ، ثم قال : *" إنني أشعر أننا نعرف بعضنا البعض منذ زمن بعيد .. إن وجهك الجميل هذا يبدو مألوفا كثيرا بالنسبة لي .. و يبدو أننا على اتصال روحي عظيم ببعضنا البعض "* ، اضطربت سارة كثيرا ، و قامت بإنزال يد حابيس من علي كتفها ، و قالت له في حدة : *" إنك إذن تحاول بتلك الكلمات الجميلة أن تدغدغ مشاعري .. لكنني لست كذلك .. و لن يمكنك النيل مني مهما فعلت "* ، انفعل حابيس لكلامها ، و قال غاضبا : *" و لكنك تعلمين أنني ما جئت لسوء .. غير أنني رغبت في أن ألقاكي و أتحدث إليكي بشان ذلك اليوم الغامض .."* ، ثم استطرد في قوله قائلا : *" سارة .. أرجوكي بأن تثقي في .. فأنا لست من عينة اولئك الجنود الذين يستحلون نساء العبرانيين .. إنني قبطي من أصل رفيع .. و قد فتحنا لكم بيوتنا و أرضنا و أستقبلناكم في بلادنا .. و كنتم لدينا من الأعزاء .. و رفعنا مكانتكم بين شعبنا .. و حكم*

رجل منكم صالح أمين بلدنا .. فكان أمين خزائن البلاد في فترات القحط و الجفاف في السنوات القليلة الماضية .. " ، فأجابته سارة قائلة : " لكننا صرنا في بلادكم مقهورين مستضعفين ... و صرتم أنتم يا أهل القبط تعاونون الظلمة علينا و لا تناصرون الضعيف" ، غضب حابيس من قولها ، و قال : " خطأ .. ما تقوليه ليس صحيح .. إن هؤلاء الأعراب البدو الكنعانيون الأسيويون من قومكم و شعوبكم .. يتكلمون بلغتكم .. و هم من نفس جنسكم السامي .. و نحن من نسل مصرائيم بن حام .. و هؤلاء القوم جاؤوا الى بلادنا محتلين لها .. و نصبوا أنفسهم ملوكا على شعبنا القبطي .. و فعلوا بنا الأفاعيل .. و رفعوا أبناء قبائلهم الشتى علينا .. فصاروا يتحكمون في ماءنا و أرضنا و زرعنا و سمائنا .. و صرنا نحن عندهم من الخادمين لحكمهم الجائر الظالم " ، فأجابت سارة قائلة : " صدقت انهم من جنس سام و لكنهم حملوا معهم الضغائن و الأحقاد على آل اسرائيل .. و كفروا برسالات أبائنا و أجدادنا ابراهيم و اسحاق و يعقوب .. و اضطهدونا و كانوا هم الغالبون .. و إننا اليوم في أرضكم ننتظر الخلاص من رب العالمين .. " ، رد عليها حابيس قائلا : " لقد

علمت أن رجلا من قومكم قد قتل رجلا من حراس الملك ينتسب الى قبيلة الملك .. و قد أمر الملك بقتله .. فهرب خائفا الى الصحراء و لم يرجع منذ ذلك الوقت " ، أكدت سارة على كلامه قائلة :" *حقا .. إنه الرجل الأمين موسيه .. لقد أكرمه الرب بأن رباه في قصر القصر .. لكن الملك سخط عليه لفعلته ذلك .. رغم أنه ما قصد القتل بل كان يدافع عن أحد رجالنا الذي قهره ذلك الجندي و كاد يقتله .. فوكزه موسى فسقط صريعا "* .

لم يستنكر حابيس كلام الفتاه العبرانية ، و شعر بأنها فتاة صالحة و ذكية ، و أراد أن يعلي من قدرها و شأنها ، فقال له :" *أيتها الفتاة الرقيقة المهذبه .. إنك ابنة رجال صالحين .. عاشوا على أرضنا دهرا .. و أنقذونا من الهلاك أيام القحط الماضية .. و إنني لأرغب في لقاءك مجددا بعيدا عن أعين العوام و جنود الملك .. فهل تعرفين تلك الشجرة العظيمة ذات الثلاث أفرع التي تنمو في الصحراء جنوب المدينة ؟ "* ، أجابته سارة قائلة :" *نعم .. إنها قريبة من هنا .."* ، أسرع حابيس قائلا :" *إذن ليكن غدا موعدنا عند تلك الشجرة وقت القيلولة حيث يكون الجنود*

في غفلة عنا ... و ما الغد ببعيد ! " ، لم تعقب الفتاة العبرانية على كلامه ، و صمتت فيما بدا عليها الموافقة ، فانصرف حابيس عائدا الى الجنود .

4

المشهد الرابع

(

م
ق
ا
ب
ل
ة

جلس حابيس على مائدة الأفطار في الصباح ، و قال : *" سيدة نانيس !! .. صباح الخير"* .

نانيس : *" صباح الخير يا بني .. كيف هو حالك اليوم ؟ "*

حابيس مبتسما : *" انني بأفضل حال ... أود التحدث معك في أمر الإله ست الذي رفضتي التحدث معي عنه في قارعة الطريق"*

نانيس : *" يا بني .. لما تشغل بالك بمثل تلك الأمور الدينية ..*

س

إنني أعلم يقينا درجة ايمانك .. لكنك تعمل في حراسة القصر الملكي .. و مثل تلك الأحاديث قد تسبب لك المتاعب التي انت في غنى عنها .. إن ذلك الملك باطش و لا يعرف الرحمة "

حابيس منفعلا : " و لماذا كلما ذكرت لكي هذا الموضوع يسيطر عليكي ذلك الخوف اللعين اللاإرادي ؟ ... إننا نتحدث فيما بيننا .. و ليس هنالك من أحد سوانا في هذا النقاش .. إنكي أكبر مني سنا و قد عشتي في تلك الأرض من قبلي و من قبل هؤلاء الحكام الظالمين .. و إنكي لأكثر مني دراية بتاريخ تلك البلاد قبل هذه الفترة المشئومة من تاريخ بلادنا " .

السيدة نانيس : " لتعلم يابني أنني قدمت مهاجرة من مدينة منف الرائعة ..و التي كانت عاصمة البلاد الموحدة آنذاك .. و لقد كنت أعمل خادمة في بيت والديك .. و ما وجدت منهما غير حسن المعاملة و الإحسان لي و لزوجي .. و كنت لا أنجب .. و عندما توفي زوجي قطعت عهدا ألا أتزوج برجل آخر من بعده .. رغم أنني كنت لا أزال شابة صغيرة في مقتبل العمر .. لكننا كنا زوجين رائعين .. لقد كان رجل طيب و حنون .. و رغم أنني لم أكن أنجب إلا أنه ما تركني و لم يفكر في الزواج بأمرأة أخرى تهب

له الذرية التي كان يحلم بها .. أه يا بني لقد مضى عمر طويل على تلك الأحداث و قد صرت الآن عجوزا و لم يتبق في العمر الكثير يا بني .. فلا ترهقني بالقلق عليك " .

عقب حابيس و قد كان يستمع للسيدة العجوز بإنصات ، فقال : *" يا لكي من إمرأة عظيمة حقا ! ...لقد أخبرتيني من قبل عندما كنت صغيرا عن أبي و أمي .. و أذكر ذلك الكلام الطيب الذي قلتيه في حقهما .. لكنني لا أعرف لماذا قررا أن يتركونني معي و يتخليا عن تربيتي .. ألم يكونا يحبونني ؟ .. أم أنهما كانا لا يرغبان في تربية الأبناء ؟ "* .

فأجابته السيدة نانيس قائلة : *" لا يا بني .. إن والديك كانا عظيمان .. كان والدك يعمل كاتبا في قصر الملك و قد ورث هذا العمل العظيم عن أجداده و أباءه ... و كان جدك الأكبر سنوحي ذي شأن عظيم في عهد الملك أمنمحات الأول .. و لقد كان جدك سنوهي رجلا من بلاط الملك .. و كان يعمل كاتبا في القصر الملكي .. فكان يصنع القلم من غاب النيل .. و صنع الورق من عيدان البردي الذي ينمو على شاطئ النهر .. و قدم له النيل زهرة النيلة السحرية ليصنع منها صبغة حبر الكتابة الأزرق*

المميز .. كما صنع الفرشاة من ريش الأوز الذي يسبح على النهر .. و صنع الألوان من أكاسيد المعادن .. و بتلك الأدوات التي كان يصنعها جدك بأكملها و توارثها والدك من بعده .. قدم لبلاد القبط أعظم الفنون و العلوم ... و لقد كان جدك الأكبر يحظي بمكانة مرموقة في عهد الملك أمنمحات الأول .. و حدث أن كان سنوهي برفقة الأمير ولي العهد سنوسرت الأول مع عدد آخر من الأمراء من إخوة سنوسرت في حملة عسكرية أرسلها الملك أمنمحات الأول (والد سنوسرت) إلى الصحراء الشمالية الغربية.. للحرب ضد قبائل التحنو (في ليبيا) .. حيث فوجئ الجميع و هم على الحدود الغربية لمصر أثناء عودتهم منتصرين و معهم الغنائم بمجئ رسل من القصر الملكي تخبرهم بموت الملك أمنمحات الأول .. و قد أخفي الأمير سنوسرت عن جيشه نبأ وفاة والده .. و لكن جاء رسول خاص لأحد أبناء الملك الآخرين من الذين كانوا في الحملة العسكرية .. و يبدو أن هذا الأمير كان طامعا في العرش دون أخيه سنوسرت ولي العهد .. و قد سمع جدك الأكبر سنوهي لغطا كثيرا .. و فهم منه أن ذلك الأمير يدبر لقتل أخيه الأكبر سنوسرت ليسيطر على العرش .. فأسرع ليخبر

الأمير سنوسرت بما سمع .. لكن احد أتباع الأمير الصغير قد لاحظه فهرع ورائه ليقتله .. فاضطر جدك سنوهي الأمين للهرب خوفا على حياته .. حتى وصل الى حدود البلاد الشرقية .. و وقع فريسة العطش و جف حلقه و ظن أنه الموت يطل برأسه عليه .. و هنا تدخلت العناية الإلهية لتنقذه من الهلاك .. عنما رأى بعض البدو يأتون نحوه .. و قد عرفه شيخهم الذي زار البلاد من قبل .. فأعطاه ماءا و طعاما .. و ذهب معه الى قبيلته حيث أحسنوا معاملته .. و قد لاقي جدك معاناة كبيرة محفوفة بالمخاطر خلال رحلته تلك .. و كانت البلدان تسلمه لبلدان أخرى .. حتى وصل الى بلدة تدعى جبيل (شمال بيروت) و هناك تعرف على الأمير عامو ننشي أمير رتنو العليا (الشام) .. حيث اتخذه الأمير طبيبا خاصا له .. بعد أن ساهم في علاجه من مرض عضال .. و قد أكرمه الأمير و أنزله منزلا حسنا .. ثم حدثت بعد ذلك اضطرابات في تلك البلاد من بعض قبائل الرعاة الكنعانيين هددت عرش أمير البلاد .. فعينه أمير رتنو العليا قائدا لجنوده .. و قد استطاع سنوهي بما له من خبرات في هذا المجال أن يحقق النصر في كل حملاته التي كان يقودها ضد زعماء القبائل

الكنعانيين الذين كانوا يحدثون تلك الاضطرابات .. و قد كتب جدك الأكبر سنوهي قصة جميلة و مشوقة عن تلك الأحداث .. و تركت قصته التي كتبها بنفسه عن الملاحم الشعبية التى قام بها في تلك البلاد أثرا كبيرا في نفوس العائلة الملكية في بلاد القبط و بين عوام الشعب .. حتى صارت يرددها المنشدون و المداحون في البلاد بعد عودته الى أرض الوطن من جديد ... و إنني لأتذكر تلك القصة العظيمة التي كتبها جدك العظيم سنوحي .. و التي يتذكرها اهل القبط جميعا .. فقد كتبت على جدران المعابد و البرديات و نقشت على قبره .. و كان لها بالغ الأثر في عودته الى أحضان الوطن .. و إني لأتذكر بعضا من تلك القصة الجميلة كما رواها جدك .. و سأذكر لك بعضا من تلك القصة .. تقول القصة التي تحكي عنه : (و كان هناك بطلا منقطع النظير .. خضعت له جميع قبائل أرض كنعان .. و جاءه بطل قوي من كنعان ليبارزه متحديا قوته و ليحطم سطوته .. و تآمر مع رجال قبيلته ليأخذوا ماشية ذلك البطل و أملاكه غنيمة سهلة في أيديهم .. و أدعى البطل الكنعاني أن رجاله فتحوا له الأبواب ليخترقوا السياج و يسرقوا الدواب .. و ذلك حقدا من

أنفسهم عليه لأنه كان يمتلك قطعان مواشي كثيرة .. إن الثور العظيم يحب النزال و لن يعلن تقهقره خوفا من ثور ربما كان أقوى منه أو يضاهيه في القوة .. فإذا كان قلبه مصمما فدعه ينطق بإرادته .. و هل الإله يعلم بما قدر له ؟ .. أو هل يعلم هو كيف يكون المصير ؟ .. و في الليل شد البطل قوسه و حمل سهامه و خنجره .. و عند الفجر كانت كنعان بأكملها قد ثارت قبائلها و جاءت اليه لتقاتله .. فتهيأ للنزال .. و هنا برز لهم كالثور الهائج .. ثم هجم ذلك الرجل عليه قبل إشارة المبارزة فتفادي البطل سلاحه بحركة خاطفة .. فسقط درع الرجل وفأسه .. فتركه البطل و لم يقض عليه بضربة قاضية .. و هو تحت رحمة سلاحه و قبضته الحديدية .. و أعطاه الفرصة ليقترب منه و يهاجمه مرة ثانية .. فدفع بسهمه إليه فلصق بعنقه .. فصاح و هو يخور كالثور القتيل .. و قد انبطح على أنفه فسحب البطل منه سيفه .. و أجهز عليه به .. و صاح صيحة النصر .. و هو يضع قدمه على رقبته فكان قربان لأرض القبط أرض الإله .. إن ما دبره نكاية به جعله يرتد عليه .. و لقد كان الإله رحيما رحيما به بعد أن غضب عليه و جعله يفر الى أرض اخرى و يحرم من وطنه .. فعفا الإله

عنه و اعاد الفرحة الى قلبه و نصره على من عاداه) .. و فرح الناس لأنتصار سنوهي على القبائل الكنعانية .. و اكرمه الملك و قربه اليه و تبدل حاله الى الرخاء و رغد العيش .. و لكن في وسط هذا النعيم فإن سنوهي لم ينس وطنه الحبيب كيميت .. فأخذه الحنين اليه و تمنى ان يعود الى موطنه .. فأرسل خطابا الى الملك سنوسرت و زوجته يقول فيه : (أيها الإله العظيم يا من امرتني بالهروب .. و حميتني بالغربة .. كن رحيما بي و أعدني ثانية الى مقر الملك لأرى المكان الذي يسكن فيه قلبي .. و حتى تدفن جثتي في الأرض التي ولدت فيها و خرجت منها .. و بالقرب من أحببت) .. كما اخبر جدك سنوحي - في ذلك الخطاب - بأنه يحفظ للملك و للعائلة كل ولاء و أنه هرب خوفا على حياته ممن تآمروا على قتله .. و قد تلقى سنوحي مرسوما ملكيا بالعفو عنه و أمره بالعودة الى مصر .. فعاد جدك فورا الى مصر .. و عندما وصل الى حدود مصر صحبه رجال القصر الى العاصمة و جاءوا في الصباح المبكر لدعوته لزيارة الملك و كان أبناء الملك في استقباله عند بوابة القصر .. و كان اللقاء بين جدك و الملك وديا لأبعد وصف .. و لقد وصف جدك ذلك اللقاء بأن قال : (كان

احتفالا لن أنساه و لن تستطيع السنون سرقته من عمري) ... و عينه الملك أمينا على القصر .. و قد أمر الملك سنوسرت بإقامه قبر لجدك من الحجر وسط المقابر الملكية و بجوار قبر الأميرة ... و قد أشرف عليه كبير مهندسي العمارة العمارة بأمر الملك العظيم العادل سنوسرت " .

كان حابيس يستمع لكلام السيدة العظيمة نانيس ، و قد امتلأ فخرا و زهوا بتاريخ آبائه و أجداده ، و كان يشعر بالرغبة و الحماس لمعرفة المزيد عن تاريخ والده ، فراح يسأل السيدة نانيس قائلا : *" و ماذا عن أبي أيتها السيدة العجوز الوقور ؟ ... أرجوكي حدثيني أكثر عنه و عن والدتي ؟ "* .

تنهدت السيدة نانيس تنهيدة عميقة ، و كأنها تستحضر أمامها كل تلك الذكريات ، و قالت : *" لقد كانت والدتك سليلة الملوك و حفيدة الأمراء .. و حظيت بتربية مرموقة في كنف العائلة الملكية وسط النبلاء و عظماء القوم ... و قد أهداها الملك لأبيك لتكون زوجة له بعد وفاة جدك تقديرا لمكانة أجدادك في البلاد آنذاك .. و لقد كان والدك يعمل كاتبا في قصر الملك .. كما أبدع والدك في علوم الطب و الكيمياء و الهندسة .. و ألف كتبا كثيرة*

في هذه المجالات .. أما جدك والد أبيك فقد كلفه الملك سنوسرت الثالث عام 1850 بالإشراف على حفر قناة سيزوستوريس لربط الدلتا ببحر أروتاري (البحر الأحمر)... و كان مهندسا بارعا و ذكيا للغاية .. و قد منحه الملك عطايا و مكافئات عظيمة بعد الأنتهاء من حفر تلك القناة .. و أمر بترقيته ليصبح من كبار المهندسين في البلاد آنذاك ... و بعد وفاة الملك كتب الشعراء قصائد مدح تخليدا لذكرى ذلك الملك العظيم .. و قد قال أحدهم : (و الرعب منه قد ذبح قبائل البدو التسعة .. فهو الذي يفوق سرعة السهم كالإلهة سخمت و ما أ ُظم اغتباط مصر بقوتك فقد حميت النظام القديم) .. و قد حكم من بعده الملك أمنمحات الثالث .. ثم حدث بعد ذلك بزمن طويل صراعات عظيمه .. و أثرت تلك الصراعات على أرض القبط و استقرارها .. و باتت الدولة ضعيفة و منقسمة .. حتى تمكن أحد الملوك الأسيويين البدو الأجانب من اقتطاع جزء من الدلتا و جعلها تحت سيطرته .. ثم صاروا يتمددون و يتوسعون و يسيطرون على أجزاء واسعة من البلاد .. حتى سقطت منف عاصمة البلاد في أيديهم .. و قرر والدك الهروب مع من تبقى من الملوك و

الأمراء الى صعيد البلاد و عاصمتها القديمة طيبة .. و هناك استقر بهم المطاف و عملوا على حماية جنوب البلاد من غزوات الملوك الأجانب الوحشيين .. و لما وجد والدك خطرا على بقائك معه قرر أن يبقيك معي و طلب مني بأن أقول أنك ابني حتى تنجو من بطش الهكسوس .. و لقد تم أسري من منف الى هنا مع الكثير من نساء منف و رجالها للعمل في تشييد أواريس من جديد لجعلها عاصمة جديدة لهم .. و تم تجنيدك في الجيش إلزاميا و معك الكثير من الأطفال و الرجال الأشداء .. و كان والدك يهدف بذلك الأمر أن يبقيك في شمال البلاد حتى تصبح يوما ما قائدا عسكريا عظيما و شوكة في ظهر الأعداء .. و تستعيد البلاد من مغتصبيها .. بعد أن علم ان الهكسوس يذبحون أطفال نبلاء القوم و يأخذون أبناء عامة الشعب أسرى لتجنيدهم في الجيش ... و لقد أوصاني والدك بأن أزرع في قلبك حب الوطن و أن أربيك على الثأر لأهلك حتى تشب و تكون قادرا على تحرير الوطن من أيدي الغزاة الرعاة "

كان وقع ذلك الحديث الطويل كبيرا على فؤاد حابيس ، فلقد تأثر تأثرا بليغا من كلام السيدة نانيس ، و دمعت عيناه حزنا على

ما لحق بأهله و قومه من أذي ، و على ذلك المآل الذي آلوا إليه من تشرد في البلاد ، بعد ان تمزقت أوصال دولتهم العظيمة ، و صارت أرض القبط تقبع تحت حكم ملوك الرعاة الأجانب (الهكسوس) الظالمين المستبدين ، و ما زاده ذلك الكلام إلا إصرارا على الثأر لأبيه ، و النيل من هؤلاء الغزاة المتوحشين ، ثم خرج حابيس من داره ، للذهاب الى عمله ، حيث كان عليه أن يتوجه الى كتيبة الجيش بعد ان تم إختياره للعمل تحت القوات الخاصة المكلفة بتأمين و حراسة المعبد الجديد ، و بعد ان انتهى حابيس من تدريباته ، تذكر الميعاد الذي أخبر به الفتاة العبرانية عند الشجرة في الصحراء من الجهة الشرقية للمدينه ، و كانت فترة الظهيرة حيث وقت القيلولة الذي يذهب فيه الجنود للإستراحه من مشقة اليوم الطويل .

ركب حابيس على ظهر جواده الأسود القوي ، فشد لجام فرسه ، و أسرع به متجها نحو الجهة الشرقية من المدينة ، حتى وصل الى أطراف المدينة ، فوجد هناك نخلة شاهقة في فناء كبير ، تنمو على ضفاف جدول مائي صغير ، يشق الأرض للسقيا ، فنزل حابيس عن جواده ، و ربطه بحبل طويل في النخله ، و استبدل

ملابسه العسكرية بملابس أخرى لعامة الشعب ، ثم قام بردم ملابسه في التراب ، ونظر حوله حتى يتأكد من عدم اكتشاف أحد لأمره ، ثم أسرع متجها نحو الصحراء ، راكضا على قدميه ، و قد كان ينظر خلفه كثيرا في حذر شديد ، للتأكد من عدم اقتفاء أحد لأثره ، حتى وصل الى شجرة الميعاد ، فلم يجد الفتاه هناك ، فطفق ينظر حوله بحثا عنها ، فما وجد غير رمال الصحراء الصفراء ، ثم لمح من بعيد أحد الأشخاص يركض نحوه ، فاكتنفه الخوف من ان يكون ذلك الشخص أحد الجنود الذي تعقب أثره باحثا عنه ، فاختبأ خلف الشجرة ، و جثم بركبتيه على الأرض ، و هو ينظر من خلف الشجرة على ذلك الشخص الذي بدا انه يركض نحو الشجرة ، حتى أقترب ، و اتضح له انها امراة ، فنهض من مكانه خلف الشجره ، و طفق يلوح لها من بعيد ، حتى رأته الفتاة العبرانية ، و ركضت مسرعة نحوه ، حتى وصلت الى الشجرة ، و وقفت أمام حابيس تلهث بشدة ، حتى هدأت أنفاسها من أثر الركض ، فأخذ حابيس بيدها ، و طلب منها أن يجلسا الى جوار الشجرة ، كي لا يلاحظهما احد .

حابيس : " هل رآكي أحد يا فتاة ؟ " .

سارة : " لا أظن ذلك .. لقد كنت حريصة أشد الحرص على ألا يتعقب أثري أحد .. و أما والدتي فقد سألتني الى أين أنا ذاهبة.. فأجبتها بأنني ذاهبة الى أحدى الفتيات للإطمئنان عليها من أُثر حمى شديدة ألمت بها" .

حابيس : " ربما تبدو كذبة بيضاء .. لكن على كل حال فأنتي تعلمين أكثر مني كيف سيكون الأمر اذا علم الملك بأن أحد حراسه يتواعد مع فتاة عبرانية .. ربما يتسبب هذا الأمر لي و لكي بأذى عظيم " .

سارة :" أسأل الرب أن يحفظك من كل سوء .. لكن أخبرني الآن ما هو السبب الحقيقي الذي دعاك لمواعدتي ؟ .

حابيس : " كل ما هنالك أنني شعرت برغبة جارفة دفعتني لمقابلتك بعيدا عن الأنظار .. أما و إن كنتي لا تثقين في فلا بأس يمكننك الرحيل عني الآن و لن أكون متطفلا عليكي مجددا "

سارة :" لا عليك .. يبدو عليك أنك مهذبا كثيرا و هذه من أخلاق فرسان القبط العظماء " .

حابيس :" أشكرك على هذا الثناء الجميل .. إنك فتاة رائعة و

جميلة حقا ... لقد سمعتك ترتلين بعض الصلوات في خلوتك .. و إنني لشغوف لأن أعلم أكثر عن إلاهك الذي تعبدين .. "

سارة : " إنه ياهوه ربنا و رب السماوات و الأراضين .. الرب العظيم الخالق الذي نجى نوح و أهله من القوم الظالمين .. و حمله على سفينة النجاة .. و أخرج من صلبه أمما و شعوبا ليعمروا الأرض بعد الطوفان العظيم الذي أهلك البشر .. "

حابيس : " لقد سمعت عن تلك القصص عن الأولين السابقين .. كما اعلم أن ذلك الرجل الأسطوري كان له ثلاثة من الأبناء .. و هم سام و حام و يافث .. فأما أهل القبط فهم من نسل مصرائيم بن حام .. و أما انتم من شعب سام .. أليس كذلك ؟ "

سارة : " بلى .. يبدو عليك على علم عظيم .. فنحن العبرانيين من نسل إبراهيم بن سام بن نوح .. و لقد رفع الرب قدرنا و كلفنا بحمل الرسالات و الدعوة الى دينه .. و جعل منا الأنبياء و الرسل ... و لقد كنا نعيش في بلاد كنعان .. قبل أن نهاجر الى أرض الأرض في زمن نبي الله يوسف الأمين .. لقد كان سببا في مجيئنا الى تلك الأرض المباركة " .

حابيس : " من تقصدين بذلك النبي ؟ .. هل تقصدين ذلك الوزير

العبراني العظيم الذي نجى البلاد من القحط في الأزمنة البائته ؟"

سارة : *" بلى هو يوسف العظيم .. الذي جاء الى مصر صغيرا .. و عاش فيها في قصر الملك منذ ما يقرب من مائتي عام .. و لقد تعرض لظلم عظيم و قد أودعه الملك السجن .. حتى خرج منه و صار وزيرا على خزائن البلاد .. و حمل برسالة الى أهله يدعوهم فيها لدخول كيميت آمنين .. فجئنا الى تلك البلاد التي باركها الرب .. و صار لنا فيها شأنا عظيم في عهد ذلك النبي .. و أقتطع لنا حينها ملك البلاد أراضي كثيرة لنسكن فيها .. فعشنا على أرض جاسان سنينا طويلا .. و كنا في حمى أهل القبط و ما وجدنا منهم غير الأمان و السلام .. "* .

حابيس : *" لكنكم الآن صرتم عبيدا في أرض الإله .. و دارت عليكم الدوائر و أصبحتم في جور عظيم .. "* .

سارة : *" نعم و حدث ذلك بعد وفاة نبي الله يوسف .. حيث استولى على مصر بعض القبائل الكنعانية السامية التي كانت تحمل لنا نحن العبرانيين بغضا و مقتا كبيرا .. فتسلطوا علينا .. و ما كان ذلك ليحدث إلا لأننا انحرفنا عن عقيدة آبائنا ابراهيم و اسحاق و يعقوب .. فصار بعضنا يجور على بعض .. و إننا لن*

ننجو من هذا البلاء العظيم إلا بالعدول عن الكفر و العودة الى دين أباءنا و أجدادنا .. و التوحد من جديد حتى نكون بحق شعب الله المختار الذي أختاره لحمل الرسالات و النبوءات العظيمه "

حابيس : *" إن ما تتعرضون له من ظلم ليس بواقع عليكم وحدكم .. بل نال شعب القبط من ذلك الجور أيضا .. و صرنا نحن أصحاب الأرض الأصليين في ديارنا غرباء .. و صرنا نعمل لخدمه اولئك الملوك الأجانب .. و صاروا يعاملوننا بوحشية و همجية و بربرية لا مثيل لها بين الأمم .. لكننا يوما ما سنسترد أرضنا .. و ستعود كيميت لأصحابها بناء الأهرامات العظماء .. و ستعود أرض القبط لسالف عهدها التي ورثناها عن أجدادنا ؟؟"*

سارة : *" و إنني لأتمنى ذلك .. و أسال الرب العظيم ان يعيد لكم ملك كيميت .. و عندها فإن أهل أرض القبط سوف يخلصونا من ذلك البلاء العظيم .. لكن رسالتنا توجب علينا نحن العبرانيين أن نتصدى لهذا الظلم الواقع على البلاد .. و نحن ننتظر مخلصنا العظيم الذي سوف يخلص آل إسرائيل من الظلم الواقع عليهم .. و إن ذلك الوقت قد صار أقرب من أي وقت مضى .. و إنا لمنتظرون !! "* .

حابيس : " هل أنتي حقا تؤمنين بذلك اليوم ؟ " .

سارة : " و هل في وعد الرب من شك .. إنه آت بمشيئة الرب .. و إنه لمنجينا نحن و أنتم اجمعين من القوم الظالمين ... و لكن حتى يأتي ذلك اليوم علينا أن نصبر و نحتسب الأجر و الثواب من الرب العظيم .. و لا يجب أبدا أن نرضى عن الظلم .. و لما نحزن و نحن الأعلون بمشيئة الرب .. لكن أخبرني ماذا عنك ؟ .. هل تظن أن أرض القبط سوف تتخلص يوما من هؤلاء الحكام الظالمين ؟ " .

حابيس : " قطعا سيأتي اليوم الذي ننتصر فيه لدولتنا و لأهلنا و شعبنا .. و ربما يكون ذلك اليوم قريبا جدا .. فلقد علمت بأن أهل طيبة يقاومون استبداد الحكام الأجانب .. و قد تمكنوا من السيطرة على أرض كوش (أثيوبيا) و استطاعوا نزع الحكم من ملك تلك البلاد الذي يتبع سياسيا لملك الهكسوس .. كما تمكنوا من توحيد أرض طيبة و يتهيأون لبناء جيش عظيم لتحرير باقي أرض كيميت .. و إنهم لصامدون و مستميتون في الصد عن بلادهم ضد غزوات الهكسوس .. و يكبدون جيش ملك الرعاة الظالم خسائر عظيمة في جنوب البلاد "

سارة : " إنها أنباء سارة للغاية .. و إننا نسأل الله أن يعيد الينا موسى .. ذلك الرجل العظيم الذي كان يواجه ظلم الملك و كان يدفع عنا ظلم الجنود .. لكننا لا نعرف أين هو الآن .. و لا نعرف أمازال حيا أم مات .. لقد هرب من المدينة خوفا من بطش الملك به .. بعد أن قتل أحد جنود الملك الذي كان يعتدي على رجل من أهلنا .. نسأل الرب أن يكون بخير و أن يعود إلينا و يخلصنا من ذلك البلاء الشديد ... " .

حابيس : " إسمعي يا سارة .. لدي نبأ سئ .. لقد سمعت أحد الجنود يقول أنهم يبحثون عن طفل عبراني للفتك به .. و لقد تأكدت من أن ذلك الفتى هو أخ الفتاة العبرانية التي وجدوها في الصحراء .. هذا يعني أن أخيك في خطر عظيم .. لذا عليكي بتخبئته في أي مكان آخر .. لأنهم سوف يهجمون اليوم على قريتك بحثا عن أخيكي .. " .

سارة : " يا إلهي رحمتك !! .. و لماذا يبحثون عنه ؟ .. ماذا جنى أخي حتى يبطشون به هكذا ؟ " .

حابيس : " لقد سمعتهم يقولون أن أخيكي قد سرق سوار زوجة الملك .. و قد أتهمته زوجة الملك لأنه يخدم في قصر الملك .. و

أمرت بالبحث عن ذلك الفتى العبراني و محاكمته أمام الشعب"

سارة : " كاذبة إن أخي لا يمكن له أن يسرق .. إن أخي لا يأتي مثل تلك الأفعال أبدا .. إننا من بيت كريم و لا يمكن لنا أن نسرق احدا حتى و إن كان من يظلمنا .. إننا نحفظ وصايا أبانا يعقوب الذي أوصانا بالصبر و الصلاة و الخلق الكريم .. و عسى الرب أن يبرأه و ينجيه من ذلك الظلم العظيم " .

حابيس : " ليس هناك وقت لهذا الكلام .. يجب أن نتصرف بسرعة .. إن الجند إن جاؤوا على قريتهم فسوف يعتقلون أخيكي و يودعونه السجن ..عليكي الآن ان تعودي الى دارك و تخبأي أخيكي في مكان لا يصل الجنود اليه " .

سارة : " كيف لي أن أفعل ذلك ؟ .. و أين يمكنني أن أخبأه من بطشهم .. إنهم إن نزلوا على قريتنا فسيبطشون بكل القوم و يفتشون ديارهم جميعا و لن يتركوا دارا إلا و دخلوه " .

حابيس :" اسمعي لدي فكرة عظيمة .. لقد جلبت معي ملابس أخرى لطفل من نبلاء القوم .. عليكي الآن بالأسراع للعودة الى دارك .. و تستبدلين ملابسه بتلك الملابس الجديدة .. ثم ستخبريه بأن يذهب مسرعا الى الحديقة الصغيرة المطلة على

ضفة الجدول الصغير الشرقية عند الجهة الأخرى من سفح الجبل .. و هناك سوف أرسل له السيدة نانيس مربيتي العجوز فتحمله الى دارنا لتخبأه حتى يهدأ أمره"

لم تجد سارة بدا من تنفيذ تلك الفكرة التي أخبرها بها حابيس ، فأسرعت عائدة الى الدار لتنفيذ تلك الفكرة .

5

المشهد الخامس

(المحاكمة)

لم تكن أرض القبط في زمن حكاة الرعاة الأجانب تعرف القانون ، و لم تكن القوانين الدارجة و التشريعات المعمول بها في الماضي تجد سبيلا للتطبيق في ذلك العهد البغيض من تاريخ الدولة ، بل حتى إن الإلهه ماعت -إلهه العدالة_ لم يتم تقديسها في ذلك العصر .. و صار التقديس منصب فقط على إله الشر ست ، و لذلك أصرت زوجة الملك على محاكمة الفتى العبراني محاكمة علنية تحت سمع و بصر كل الأشهاد ، دون إجراء

مقاضاة عادلة ، و دون إثبات تهمة السرقة على الفتى ، و على الرغم من أن الكتبة -و هم موظفون أقباط الأصل متعلمون و كانوا يعملون في الهيئات القضائية و الأدارية بمقاطعة جاسان- لم يملكوا أي أدلة تدين الفتى العبراني ، إلا ان قاضي المدينة أمر بمعاقبته معاقبة أليمة ، و كان ذلك بتفويض و امر مباشر من الملك ، الذي أمر القاضي بإنزال أقصى درجات العقاب بالفتى العبراني ، و بذلك صدر مرسوم ملكي بحشد الشعب في يوم مهيب ، ليشهدوا معاقبة الفتى بجريمة سرقة زوجة الملك ، و قد حكم عليه القاضي بالصلب و الجلد حتى الموت ، خلافا لما كان متبعا في مثل تلك الجرائم سابقا ، فقد كان النظام القضائي في كيميت تنص قوانينه على معاقبة السارق بالضرب المبرح دون الأعدام ، و ذلك بعد إقراره بالذنب ، و إعادة المسروقات ، و دفع تعويض يمكن أن يصل الى أربعة أضعاف القيمة الأصلية للمسروقات ، أما إذا كانت البضاعة المسروقة ملكا للدولة ، فتكون العقوبة أقل بكثير ، و أما إذا ما كانت ملكا للملك ، فكان اللص مطالبا بدفع ثمانين الى مائة ضعف المسروقات ، هذا بالإضافة للعقاب الجسدي الذي لم يرق الى حد الإعدام .

لم يتمكن الفتى من الهروب ، و لم يتثنى لحابيس تنفيذ الخطة التي دبرها ، فلقد عادت سارة الى الدار لتجد الجنود قد أمسكوا بأخيها ، و تم ايداعه السجن لحين محاكمته ، و في يوم المحاكمة ، حشد الملك جميع طوائف الشعب من الوزراء و المسئولين و العمال و الجنود و عامة الشعب ، لمشاهدة تلك المحاكمة الجائرة ، و هذا و قد أمر الملك بجمع جميع العبرانيين في ساحة المحاكمة ، ليكون عبرة لهم على خيانة أحد ابناءهم للعهد الملكي ، لقد كان يوما مهيبا بحق ، و كان الملك يترأس الحشود الغفيرة ، التي جاءت الى ساحة المحاكمة من كل حدب و صوب ، و صعد القاضي الى منصة الحكم ، و أعلن معاقبة الفتى بالجلد حتى الموت ، كان الفتى مصلوبا على جزع نخلة كبيرة ، و كان يصرخ فيهم قائلا : " أرجوكم أفرجوا عني .. أقسم لكم أنني ما سرقت و ما خنت زوجة الملك .. أقسم للجميع أنني برئ من التهم الموجهه لي " ، لكن القاضي لم يستمع لكلام الفتى ، و ألقى خطابا قويا في الناس ، فقال لهم :

" أيها الملك العظيم .. إلاهنا الطيب المبجل .. ابن ست العظيم .. أيها الشعب و الجماهير الغفيرة .. إن هذا اليوم لهو أعظم يوم

في تاريخ المدينة .. هو اليوم الذي يعلن فيه الملك أنه سوف يضرب بيد من حديد كل من توسل له نفسه بالإجرام في حق الإله ست .. و لقد أجرم ذلك الفتى العبراني الحقير في حق الإله .. و سولت له نفسه سرقة سوار الملكة زوجة الملك .. و لقد خان العهد و الأمانه التى وكله بها الملك .. حيث أكرمه بالخدمة في القصر الملكي .. و هو شرف لو تعلمون عظيم .. بأن يكون أحدكم عبدا في البلاط الملكي .. لقد رباه الملك بين الأمراء و النبلاء .. فكان من المحظوظين القلائل الذين خدموا الملك و زوجته حفظهما الإله ... و لما تبين للجنة الحكماء أنه قام بتلك الفعلة الشنيعة .. قررت أنا قاضي المدينة بالحكم على الفتى العبراني بالجلد حتى الموت .. ليكون عبرة لمن يعتبر .. أو من تسول له نفسه مخالفة القوانين أو خيانة ولي عهد البلاد ملك أرض جاسان و ملك كيميت .. و عليه فإن الملك قد أمر بجمعكم في ذلك اليوم المحشود لتطبيق القانون و معاقبة الفتى على جريمته " .

أمر القاضي قائد قوات حماية المعبد بإختيار أحد الحراس لتطبيق العقوبة على الفتى ، و لذلك اعتلى القائد المنصة ، و

أشار على حابيس ، و أمره بالصعود الى المنصة لجلد الفتى ، و كانت سارة تقف مع قومها من العبرانيين على مقربة من المنصة ، و قد ارتفع الصراخ و النحيب ، و كانت أم الفتى تصرخ باكية ، و تقول في ألم شديد : *" يا أيها الملك أتوسل اليك تعفو عن ابني .. أتوسل اليك يا جلالة الملك أن ترحمه "* ، لكن صرخاتها و نحيبها لم تكن لتؤثر على مجريات الأمور في ساحة المحاكمة ، و بينما كان حابيس يقف الى جوار الحراس في مقدمة الحشود ، نزل عليه قرار إختياره لجلد الفتى كالصاعقة ، و فوجئ بها الأمر ، و لم يعرف ماذا يفعل و كيف يتصرف ، فصعد حابيس الى منصة المحاكمة ، و سلمه القاضي السوط ، لكن حابيس رفض استلام السوط من القاضي ، و أعلن عن رفضه الامتثال للأوامر ، و ألقى في الحشود كلمة مدوية ، فقال :

" التحية لمن وجبت له التحية .. و السلام على من يعرفون السلام .. لكن العدل الذي تطبقونه ليس عدلا .. إن إنزال عقوبة الإعدام بفتى صغير دون أي أدلة ضده هو عين الظلم و عدم تطبيق القانون .. إن القانون الذي نعرفه في بلادنا قبل أن يسلطكم الإله علينا كان يقضي بضرورة التحري و امتلاك الدلة

الكافية التي تدين المتهم .. و أما و إن الفتى لم يتم ثبوت الجريمة عليه .. فإنني أطالب الملك و هيئة المحاكمة بإثبات صحة إدعاء الملكة بقيام ذلك الفتى بسرقة مصوغاتها و مجوهراتها .. أيها الملك !! .. لقد جئتم الى بلادنا محتلين غزاة .. و قد عينتم انفسكم ولاة أمرنا .. و ما كانت تلك البلاد يوما ملكا لكم .. لقد جئتم من شتى البقاع لتستوطنوا أرضنا .. و قد ملأتم الأرض جورا و ظلما .. فصرتم تذبحون الأطفال و تستحيون النساء و تستعبدوننا في أرضنا .. و لست لأكون ابدا مدافعا عن أي متهم تثبت إدانته .. و لكني مدافعا عن الحق و العدل في تلك المدينة .. فوالله ما رأيت منكم غير الظلم و الفساد .. و قد مضيتم في طريقكم الذي مضيتم فيه تعذبون الناس و تفسدون في الأرض .. و تنصبون أنفسكم حكاما علينا .. و قد كنتم رعاة رعاع .. و ما راعيتم يوما قيمة الشعب القبطي الذي حكمتموه .. و لقد كنتم فرقا شتى و قبائل عدة .. و قد توحدتم فيما بينكم وحدة زائفة .. فصرتم تعينون كل شيخ قبيلة على كل مقاطعة في بلاد النيل .. و ها انتم قد أصبحتم السادة و نحن العبيد .. و لكن الإله قد خلقنا أحرارا و لم تلدنا أمهاتنا عبيدا .. و لن نكون

لكم عبيدا في أرضنا .. و لذلك فإنني أعلن أمام الناس أجمعين .. أنني لم أعد أرضى بهذا الظلم البين .. و أرفض اجراءات تلك المحاكمة الجائرة .. و لن أمتثل للأوامر .. و أعلن رفضي القاطع و التام لجلد ذلك الفتى العبراني البرئ " .

و ما أن انتهى حابيس من كلمته ، حتى سادت الفوضي في ساحة المحاكمة ، و عم الهرج و المرج بشدة ، و صرخ القوم العبرانيين يهتفون بإسم حابيس ، ثم انتقل الهتاف الى صفوف العوام ، فصاروا يهتفون له ، و ينددون بإجراءات الملك الظالم ، فأمر الملك على الفور بإخماد الفتنة في مهدها ، و إلقاء القبض على الجندي المتمرد حابيس ، ثم هجم الجنود فرسان المعبد على العبرانيين ، و نزلوا بسياطهم على اجسادهم ، و نالوا منهم ، و أحاطوا بهم جميعا ، و أخذوا يضربونهم بالسياط ضربا مبرحا ، و أمر القاضي بقطع عنق الفتى أمام الأشهاد ، و كلف قائد قوات حرس المعبد بتنفيذ الأمر ، فصعد القائد الى المنصة ، و أشهر سيفه ، و قطع عنق الفتى ، فصرخت الأم صرخة مدوية شديدة ، و هرعت نحو المنصة ، لتحمل رأس ابنها الشهيد ، و جعلت تصرخ قائلة *: " اللعنة عليكم .. اللعنة عليكم .. إن الرب لمنتقم*

.. إنه لمنتقم " ، و ركضت سارة خلف أمها ، و جلست على الأرض بجوار أمها ، و أخذا يحتضان رأس الفتى ، و هما ينتحبان بشدة ، ثم نهضت سارة ، و ركضت نحو الملك ، فأسرع حراس الملك بالإمساك بها ، و طفقوا يضربونها بالسياط ضربا مبرحا حتى كادت أن تفقد الوعي ، و كان حابيس ينظر اليها في حزن شديد ، و قد أمسك به الجنود ، و قيدوه ، و أمر الملك بالزج به في السجن ، فأخذ حابيس يصيح فيهم قائلا : *" لن تنالوا مني .. و لن تنالوا من شعب كيميت العظيم .. سيأتي اليوم الذي تهربون فيه خوفا من بطشنا .. و سيأتي اليوم الذي نطهر البلاد من دنسكم .. لن تبقوا في أرضنا مهما كان .. سنفتدي بلادنا بدمنا و أرواحنا .. ارحلوا .. ارحلوا .. يسقط حكم الملك الظالم .. يسقط الملك و تحيا كيميت للأبد "* .

امتد الغضب الى عامة الشعب ، و خرجت الأمور عن السيطرة ، و بدا أن هناك انتفاضة قوية عارمة ضد الملك ، و راح الجميع يهتفون بإسم حابيس ، و ينددون بحكم الملك الجائر ، و دبت الفوضى في صفوف الشعب ، فراح المؤيدون للملك و أتباعه من

عشيرته و بني القبائل الأخرى ينهرون المعارضين ، و هاجموهم بعصيهم ، فأخذوا يتعاركون بالعصى ، و نشبت بين الفريقين معركة حامية الوطيس ، و تدخل الجنود على الفور لفض الأشتباك ، فانهال الجنود على المعارضين ضربا بالسياط ، كان المشهد دمويا للغاية ، و سقط خلاله الكثيرون صرعى ، و أصيب المئات ، بينما حاول الأخرون الفرار من بطش الجنود ، فأخذوا يركضون بعيدا عنهم ، لكن الجنود كانوا لهم بالمرصاد ، فقاموا بمطاردتهم بالخيول ، و قطعوا رقاب الكثيرون بالسيوف ، و أما من تمكن من الفرار ، ظل الجنود يطاردونهم حتى امسكوا بهم ، و في تلك الأثناء كان حراس الملك يحاولون حمايته ، فنقلوه الى القصر بأسرع وجه ، فيما أمرهم الملك بإنهاء الفوضي ، و تصفية الخارجين عليه جميعا ، و هو ما فعله الجنود بالفعل ، فغرقت الأرض بالدماء ، و مات المئات ، و اعتقل الكثيرون ، و زج بهم في غياهب السجون ، حتى وأدت الفتنة ، و انتهى التمرد .

6

المشهد السادس

(في السجن)

في غرفة محكمة الغلق ، موصدة الأبواب ، لها باب حديدي يتم فتحه و غلقه عن طريق الجر ، في سرداب ضيق مضاء بعدة مصابيح على جانبيه ، في قبو أسفل المعبد الجديد الذي تم تشييده حديثا للإله ست ، تم إيداع حابيس داخل ذلك السجن

شديد الحراسة ، كانت غرفة السجن كبيرة و واسعة ، لكنها تنقسم في داخلها الى عدة غرف أصغر ، يفصل بينها سياج حديدي ، لا يمكن إختراقه أو تجاوزه ، و لكن يمكن للمساجين بداخل تلك الغرف الصغيرة أن يروا بعض البعض عبر تلك الأسوار الحديدية ، كما يمكنهم التحدث الى بعضهم البعض ، كانت كل غرفة صغيرة تحتوي على محموعة صغيرة من المساجين ، و لقد كانت الغرف جميعا تمتلأ على آخرها بالمسجونين السياسيين و الجنائيين و بعض أسرى المعارك من أعراق و اجناس مختلفة ، كان حابيس يقبع مسلوب الحرية في إحدى تلك الغرف ، و التي لم يكن يصل اليها ضوء الشمس إطلاقا ، لكنها كانت مضاءة بعدة مصابيح ، و دون أي محاكمة كان حابيس ينتظر تنفيذ حكم الإعدام الذي امر به الملك ، و ذلك نظرا لتمرده على الملك ، و رفضه الأمتثال لأوامر القادة ، و لخشية الملك من تمدد ذلك التمرد ، و تغلغله في نفوس عامة الناس ، حتى يتحول الى ثورة عارمة تطيح بحكمه ، فكان لزاما ان يقوم بالتخلص من حابيس ، قبل ان يصبح بطلا شعبيا يقود الناس الى العصيان المدني ، و يحول البلاد الى كرة لهب مشتعلة

تحرق كل من يقترب منها ، و في داخل هذا السجن الموحش ، قضى حابيس أياما طويلة ، كانت تمر عليه الأيام دون ان يعلم ، فما كان هناك من وسيلة لمعرفة الوقت ، و لا أمكن له في داخل السجن ان يدرك النهار من الليل ، كانت جميع الطرقات مضاءة بنور المصابيح اللعينة ، و كانت كل الساعات تمضي و كأنها ساعة واحدة ، كما لو ان الوقت توقف في داخل تلك الغرفة في السجن الملحق بالمعبد الجديد .

و كان معه بالسجن العديد من الرجال الأقباط و العبرانيين ، بالأضافة الى عدة رجال من جنسيات اخرى كالفينيقيين و الكنعانيين و الكوشيين و قليل من الآشوريين أسرى الحروب ، و كان في الغرفة المجاورة لغرفة حابيس يقبع رجل من العبرانين ، محكوم عليه بالسجن مدى الحياة ، لاتهامه بالسحر و الجنون و الهرطقة ، و قد كان ذلك الرجل مريبا و غامضا ، كان يطيل النظر الى حابيس في صمت شديد ، و كأنه يعرفه منذ زمن ، أو كأنما يريد ان يخبره شيئا ما ، لكن حابيس ظل قابعا في فراشه لا يلتفت الى احد و لا يتحدث الى احد ، لم يكن حابيس حزينا على ما وصل به الحال ، و لا كان نادما على ما فعل من تمرد و عصيان

للملك ، إنما كان ينتظر تنفيذ حكم الإعدام عليه بإيمان و صبر قويين ، كان مشغولا بالتفكر في الدار الأخرة ، كان يتمنى أن تشيد له مقبرة عظيمة من الجرانيت كمقابر الملوك و العظماء ، و كان يحلم بأنه سوف تقام له شعائر جنائزية مهيبة ، يحضرها جميع أهل كيميت ، و تكتب ذكراه على جدران المعابد و البرديات ، كانت تراوده أحلام كثيرة ، كانت بعضها تقوي من عزيمته ، و تشحنه بالأمل و الخلاص من السجن ، و كان بعضها يرى فيه أن روحه تصعد الى الملأ الأعلي ، و في إحدى الأيام استيقظ حابيس فزعا من نومه ، و راح يصرخ بشدة ، فاقترب منه المسجونين ، و طفقوا يهدأون من روعه ، و يسألونه عما رأى ، و في ذلك اليوم اقترب ذلك الرجل العبراني من السور الحديدي الفاصل بين غرف السجن ، و أخذ ينادي على حابيس بإسمه الذي لم يكن يعرفه ، فالتفت إليه حابيس ، فسأله الرجل العبراني أن يدنو إليه ليتمكن من التحدث معه ، دنا منه حابيس ، و صار على مقربة منه ، فسأله الرجل العبراني عما رأى ، فأخبره حابيس بما رأى .

قال حابيس : " رأيت انني أسبح في الملكوت ، لكنني كنت ثقيلا للغاية ، و كانت روحي تشتد ثقلا كلما ارتفعت في السماء ، حتى

جاء رجل دميم الوجه شديد سواد البشرة كأنه حبشي ، و كان يمتلك جسد صقر ، و كان له جناحين عظيمين يملآن السماء ، يحجبان الضوء في الأفق السحيق ، و أخذ ذلك الرجل بذراعي ، و كان يشدني بقسوة ، بينما طار بي بعيدا بعيدا في الملكوت ، حتى وصل بي الى أحد الأبواب الضخمة ، كان ذلك الباب العظيم موصد بسلاسل حديدية محكمة ، و لكن ذلك الرجل كان يملك مفتاح الباب ، ففتحه لي ، و أمرني أن ادخل ، فولجت عبر ذلك الباب الكبير ، فوجدت رجلين عظيمين بإنتظاري ، احدهما يحمل وجه تمساح ، و الآخر بوجه طائر ذي منقار طويل ، و كانا يقفان في وجه بعضها البعض ، و بينهما ميزان ضخم ، في إحدي كفتيه ريشة ، و في الكفة الأخرى للميزان وجدت جعران صغير ، ثم جاء كلب ضخم برأس تمساح ، و كان يحاول إيذائي ، لكن إمرأة برأس تمساح وقفت إلى جانبي ، و أبعدته عني ، ثم وقفت في منتصف الميزان ، وكانت كلتا كفتيه تتمايلان بشدة ، و اخذت تنظر لي تلك المرأة ، و تعيد النظر إلى الميزان ، و بينما هي كذلك إذ أمرت الرجلين الذين يقفان على الميزان بالإنصراف ، ثم نادت على الباب لينفتح ، فانفتح الباب ، و دفعتني خارجه ، و أغلقته

ورائي ، لكنني استمريت بالوقوف خارج الباب أنظر يميني و يساري فلم أجد الرجل الأسود بجسد صقر ، ثم رأيت نجما صغيرا يتلألأ في الأفق ، و كان يقترب مني بشدة ، فتحول ذراعي الى جناحين هائلين ، فأخذت أسبح في الأفق مسرعا ، حتى ابتعد عن ذلك النجم المتوهج ، الذي كاد أن يقترب مني و يحرقني ، و فجاة اختفى ذلك النجم و ضاع في الأفق ، فأخذت أسبح في الملكوت من جديد ، حتى رأيت نارا عظيمة في مكان بعيد ، و كانت تلك النيران تبدو و كأنها تخرج من فوهة جبل شاهق الارتفاع كأنه البركان ، و شعرت بأن شيئا ما يدفعني للتوجه نحو فوهه ذلك البركان ، حتى أقتربت منه ، و أصبحت فوق فوهته تماما ، و فجاة شعرت بقوة عظيمة تجذبني الى داخل ذلك البركان ، فاخدت أسقط من أعلى بسرعة كبيرة ، و كدت ان أقع بداخل ذلك البركان ، لولا أنني صرخت بقوة هائلة ، فاستيقظت من نومي فزعا على الفور " .

أخفض الرجل العبراني رأسه ، فور أن انتهى حابيس من سرد رؤيته ، و بدا عليه أنه علم امرا ما يريد اخفاءه ، كان ذلك الرجل في العقد الرابع من عمره ، و قد بدا عليه الوقار و الهيبة ، كانت

لديه لحية طويل ، و قد انتشر الشيب في لحيته ، بينما شعر رأسه الطويل ظل أسودا كالح السواد ، لم يصب الشيب إحدى شعراته ، و لما ظل ذلك الرجل صامتا ، سأله حابيس عن سبب صمته ، فلم يجيبه الرجل العبراني ، و ظل خافضا رأسه ، حتى أن حابيس ظن أنه أخذه النوم ، ثم رفع الرجل العبراني رأسه ، و قال :" اسمع يا بني !! .. إنني أقبع هنا في هذا السجن منذ عشرات السنين ، و لقد وفد الى داخل هذا السجن اكثير من الرجال ، ياه لقد أمضيت دهرا طويلا بين تلك الجدران ، و لكنني في داخلي أشعر بالحرية ، لم تعد تلك الجدران العالية و لا تلك الأبواب الموصودة تشعرني بالخوف ، لقد كثا الشيب لحيتي بداخل هذا السجن ، و صار الرجال يدخلون الى ذلك السجن و يخرجون ، و أبقى انا بداخله ، حتى انني اظن أن حراس السجن نسوني ، و انه لم يعد احدا يراني ، انظر حولك لن تجد احدا ينظر لي ، ليس هنالك سواك الذي ينظر لي و يحدق بي كثيرا ، و هذا يعني بالنسبة لي أمرا عظيما " .

حابيس :*" و ماذا يعني لك ذلك ؟ "* .

الرجل العبراني : *" لا يهم ان تعرف كل شئ في وقت واحد ...*

لكنك حتما ستعرف كل شئ .. و سينكشف لك كل شئ .. و سينجلي الظلام من حولك .. و سيتحرر قلبك المقيد بأصفاد العبودية و أغلال السخرة .. سيعلو قدرك في البلاد .. و سيرتفع شأنك على العباد .. ستكون فوق كل هامة .. و ستقطع عنق كل ظالم و جبار في الأرض .. إنني أرى في عينيك أمرا عجيبا .. لم أره في حياتي من قبل .. لكنني أخشى ان أنباك بهذا الأمر فتركن إليه و لا تسعى لتحقيقه .. " .

حابيس *: " إنني لأرى في كلامك غموضا و ريبة .. و لا أستطيع الصبر على فك شفرة هذا الكلام و حل ألغازه .. أرجوك يا رجل فلتخبرني هل سأموت حقا و تقوم قيامتي ؟ .. أم انني سأنجو؟"*

الرجل العبراني : *" ستعرف مستقبلا كل شئ .. لكن اولا عليك أن تكون صابرا حتى تنول حريتك و تحصل على ما تريد .. إن الصبر هو مفتاح خروجك من هنا .. و كلما رآك الرب صابرا كلما أوشك على فك قيدك و تحرير إرادتك " .*

حابيس : *" و إنني لأراك صابرا .. فأخبرني ماذا منحك الصبر سوى المزيد من الشيب الذي يغزو لحيتك في هذا المكان ؟ " .*

الرجل العبراني : *" و من أخبرك يا بني أنني سألت الرب الخروج*

من هنا .. إنني لا أرغب في الخروج من هنا .." .

فقاطعه حابيس قائلا : *" كم انت غريب أيها الرجل ! .. أترفض ان تنول حريتك و ترغب أن تقبع هنا خلف أسوار السجن ؟ "*

الرجل العبراني : *" و ما أدراك لعل السجن أفضل لي من الزل و الهوان خارجه .. انظر يا فتى .. إنك مازلت يافعا .. و لم تعلمك الحياة الكثير بعد .. هل سمعت في المدينة عن رجل وقف في وجه الظلم و القهر فعاقبه الملك بالصلب حتى تأكل الطير من رأسه ؟ .. ثم رأى الملك في المنام ذلك الرجل ميتا و قد خرجت من فمه طيورا مخيفة .. و ترمي قصر الملك بوابل من الحجارة الصغيرة .. حتى صارت تلك الأحجار تتساقط على نافذه غرفة نومه .. فكسرت النافذه .. و دخلت منها الطير و أخذت تقذفه بالحجارة حتى سالت الدماء من رأسه .. و لما اخبر أحد وزرائه و مستشاريه بتلك الرؤويه شاروا عليه بأن يدخلوا ذلك الرجل الى السجن ... و أخبروه بتأويل تلك الرؤية .. بأن ذلك الرجل إن مات فسيخرج من صلبه أبناء يصارعون الملك فأرداه صريعا .. فأمر على الفور بإنزاله عن المصلب ، و إيداعه السجن ... ؟ "* .

حابيس : *" و هل ذلك الرجل الذي تحكي عنه هو انت ؟ "*

.

الرجل العبراني: *" نعم .. هو كذلك .. !! "* .

حابيس : *" و لكن ماذا كانت تهمتك التي تستحق عليها ذلك العقاب؟"*

الرجل العبراني : *" لم تكن هنالك تهمة سوى أنني كنت ادافع عن رجل عبراني من أهلي و قلت للملك أتريد أن تقتل رجلا لأنه يقول لك ربي الله ؟ .. و رفضت السجود للملك .. و رفعت تقديم القرابين للألهه .. فكان عقابي أن أصلب حتى تاكل الطير من رأسي .. و كان الناس يمرون بي و ينظرون الي ... و أنا مصلوبا لا حول لي و لا قوة .. و استمريت مصلوبا هكذا حتى مرت أيام عديدة .. و الناس يمرون بي و يقذفونني بالحجارة حتى أمر الملك بإدخالي السجن لأنجو من ذلك العذاب الأليم"* .

عقب حابيس قائلا : *" و إنه لشر عذاب .. إنني سمعت أن العبرانيين يؤمنون بإله آباءهم ... و يقولون انه إله واحد خالق عظيم .. و انه رب السماوات و رب الأرض و رب العرش العظيم .. و إنني لما سمعت ذلك الكلام استحسنته .. فإنني لطالما كنت امقت عبادة إله تلك المدينه ست إله الشر .. و إني علمت أن*

آبائي قد مقتوا عبادة ست في أرض كيميت أيضا .. و نادوا بعبادة حورس العظيم إله أرض القبط .. و هو الذي أعلى و هو الذي فوق كل شئ .. و رمزوا له بالصقر القوي .. و إن إلاهنا حورس العظيم لهو الإبن البار لأبيه الإله أويزوريس إله الخير .. و هو الذي انتقم لوالده من ست الملعون الشرير .. بعد ان ساعدته امه إيزيس إلهة الوفاء على هزيمة ست الشرير .. و حور هو إله الرحمة و الحق و العدل و النظام .. و هو رب الإله حابي إله النيل الذي وهب الحياة لشعبنا .. و إنه رب الإله جب إله الأرض الذي يخرج الخير لنا و رب الإلهة نوت إلهة السماء التى تحوطنا في احضانها و تغطينا فوق رؤوسنا .. و هو رب آبائنا و أجدادنا بناة الاهرامات العظماء .. لكنني لا أعلم بذلك الإله الذي تعبدون .. لكن ما أعرفه انه إله رحيم قوي و عزيز لا يحب الظلم و لا يرضى به و هو منتقم جبار و قد انتقم من الظالمين في العصور الماضية و دمر مدنهم و قراهم و أهلكهم اجمعين وإن بطشه بالمفسدين لشديد .. و رحمته بالصالحين تفوق كل شئ " .

الرجل العبراني : " و إني على علم بأنه سينتقم من ذلك الملك الجبار قريبا .. عليك بالصبر يا بني .. عليك بالصبر !! "

قضى حابيس في السجن شهورا عديدة ، و كان طيلة تلك الفترة يتقرب الى كل السجناء و يتودد اليهم ، مصبرا إياهم على الظلم ، مؤكدا لهم على ضرورة التمسك بالأمل في الخلاص ، و قد صار جميع نزلاء السجن يعرفونه ، و يحكون عن بطولته في الوقوف في وجه الحاكم الظالم ، و ذاع صيته في كل أركان السجن ، و أصبح حديث الجميع ، حتى أن العبرانيين و الأقباط على حد سواء صاروا يعظمون قدره و يعتبرونه رجلا قائدا لهم ، و التف حوله الجميع ، فكان يتحدث الى المذنبين و يعرفهم الصواب ، كما كان يتحدث الى المسجونين السياسيين المظلومين ، و كان يقول لهم أن السجن هو قبر الأحياء و بيت الأحزان ، و السجن هو دار الابتلاء و ملازمة الإخوان ، و مكان ندم المذنبين و الأعداء ، و كان حابيس يستمع الى وعظ الرجل العبراني الذي كان يخطب في المسجونين ، و يعرفهم بربهم و خالقهم ، و كان يسمع الرجل العبراني يقول لهم أنهم من الخواص المخلصين ، و أن الرب يبتلي الخاصة أكثر من العوام ، و كان يحدثهم عن إله آبائه و أجداده ، فكان الجميع ينصت اليه في وقار ، و قد أشادوا بحكمته و بلاغته ، و آمن له الكثير ، فكان كلما آمن له رجل ظهرت براءته

، و انفك قيده و خرج من السجن ، حتى صار الجميع يظن ببركته و قدرته على تحريرهم ، و صاروا يؤمنون له حتى يخرجوا من السجن ، لكن حابيس رغم اعتقاده بصدق هذا الرجل ، إلا انه كان لا يؤمن بأنه السبب في نجاتهم من السجن ، حتى كان يوم من الأيام ، نادى عليه ذلك الرجل العبراني ، و اخبره أنه يريد أن يتحدث اليه في أمر عظيم .

الرجل العبراني :*" اسمعني يا بني !! .. إنني رأيت لك رؤيا عظيمة .. و إنك إنشاء الله لمن الناجين .. "* .

حابيس :*" أخبرني اذن بما رأيت ... ! "* .

الرجل العبراني :*" لقد رأيتك محمولا على جناح ملاك عظيم .. و كان يحلق بك فوق بحار عظيمة ، و كنت أقف على قارب في وسط البحر و في يدي شباك قوية .. أنظر اليك في فرح و سعادة .. فرميت بالشباك في البحر .. ثم رفعتها فأخرجت سمكا كثيرا .. فأخذت سمكتين و رفعتهما عاليا في السماء .. فإذا بالملاك العظيم الذي يحملك ينخفض بجناحيه و يطير تجاهي .. حتى صار يحلق فوق مستوى البحر مباشرة .. ثم اقترب مني بشدة .. ثم وجدتك تمد يديك لتلتقط السمكتين من يدي .. فأخذتهما*

.. و صرت تدعو لي و تشكرني .. ثم طار بك الملاك بعيدا .. حتى اختفى أثرك في السماء " .

حابيس :" أخبرني أيها الرجل الحكيم ما هو تفسير تلك الرؤيا ؟"

الرجل العبراني : " إن الرب قد قدر لك النجاة من السجن .. و قد أمرني أن أساعدك على الخروج من هنا .. " .

حابيس : " هل تظن أن الملك سوف يصدر أمرا بالعفو عني ؟"

الرجل العبراني : " لا لن يحدث ذلك أبدا .. فإن الملك لا يمكن له الإفراج عنك لأن ذلك سوف يعظم شأنك بين الناس و سيلتف حولك العوام ليرفعونك على الأعناق و يعتبرونك بطلا لهم .. و ذلك ما يخشاه الملك و لا يريد له أن يحدث .. " .

حابيس :" إذن أخبرني أيها الحكيم كيف سأنجو من هنا ؟ " .

الرجل العبراني : " إن الرب يأمرني أن أساعدك على الهروب .. و إنك سوف تتمكن من الهرب .. لكن عليك ألا تبقى في هذه المدينه .. و يجب أن تفر بعيدا عن المدينة و ترحل إلى الجنوب .. إلى مدينة طيبة .. و هناك سوف يكون لك شأنا عظيما " .

حابيس : " ما تقول أيها الرجل ؟ .. أتريدنني أن أهرب من هذا السجن الموصد المحكم الغلق شديد الحراسة؟ .. كيف يعقل

ذلك؟"

الرجل العبراني : *" يا بني لا تقمط من رحمة الرب .. إنه لا ييأس من رحمة الرب إلا القوم الكافرين .. إنني على يقين يا بني أنك على قدر كبير من الإيمان ... أخبرني أولا هل تثق في قدرة الإله على إخراجك من هنا ؟ "* .

حابيس : " بالطبع .. فالإله قادر على كل شئ .. و لا راد لكلمته و قضائه .. و إنه إن شاء أمرا يقول له كن فيكون " .

الرجل العبراني : *" إذن عليك و قبل كل شئ أن تؤمن بإلهي و إله آبائي ابراهيم و اسحاق و يعقوب إلها واحدا و لا شريك له و لا منازع له على ملكه و لا منافس له على حكمه و بعدها سأخبرك كيف ستتمكن من الهروب ... "* .

حابيس : *" إن كان الأمر كذلك فإني آمنت بإلهك و إله آبائك .."*

الرجل العبراني :*" الآن و قد انفكت أول أصفادك .. فإني سأخبرك كيف لك أن تهرب من هنا .. إسمعني يا بني !! .. إنني سأعطيك خاتمي و قلنصوتي .. فلتاخذ غطاء رأسي الصغير المستدير هذا .. و لتضعه فوق رأسك .. فإنه لا يجوز ذكر إسم الرب على فم من كان رأسه مكشوفا .. ثم تلبس هذا الخاتم في يدك .. و إني*

لمعلمك كلمات مما علمني إياها آبائي و أجدادي .. فإن ذكرتها على هذا الخاتم فسوف تحيطك هالة عظيمة تخفي أثرك عن العيون .. و لن يتمكن أحد من الحراس أن يراك ببركة هذا الدعاء .. و لكن عليك أن تكون واثق تمام الثقة و مؤمن تمام الإيمان في قلبك بأن ذلك الدعاء سوف يحجب أعين الحراس عنك" .

الجزء الثالث

طيبة 1573 قبل الميلاد

1

المشهد الأول

(الهروب الكبير)

جاء أحد الحراس الى باب السجن ، حيث الغرفة التي يقضي فيها حابيس حبسه ، و صاح بصوت مرتفع :*" أيها المساجين !! .. إن رئيس السجن جاء ليطلع على مجريات الأمور داخل السجن .. و لذا فإنني أدعوكم لأتزام الهدوء حتى تنتهي الزيارة "* ، و في تلك الأثناء أومأ الرجل العبراني بطرف عينه الى حابيس ، في إشارة منه على بدء الإستعداد للهروب ، حسب الخطة المتفق عليها فيما

بينهما مسبقا ، ثم نزل رئيس السجن إلى قبو السجن ، و أخذ يتفقد الغرف كل على حده ، و أمر بتفتيش المساجين ، و التأكد من استتباب الأمن و استقرار المور بداخل الغرف ، حتى وصل الى الغرفة التي يقبع بها حابيس ، فأشار رئيس السجن على حابيس ، ففتح الحراس باب المحبس الحديدي ، و دخل رئيس السجن الى الغرفة ، و وقف أمام حابيس ، و أمره بالنهوض ، فنهض حابيس على مهل ، و قال له رئيس السجن : *" لقد وصلتني بعض التقارير التي تشير إلى تزعمك حملة للتمرد داخل السجن .. ما هو ردك على هذه الإدعاءات ؟ "* ، فنظر إليه حابيس في ثقة ، و قال:*" أما و إن كانت قد وصلتك تلك الأخبار فاعلم أنها غير صحيحة .. إنني لا أرغب في إحداث تمرد داخل السجن كما تقول .. و لكنني أقوم بحملة وعي للمسجونين لتعريفهم بحقوقهم كمسجونين التي يجب أن يحصلوا عليها .. و إن هذه الحقوق كما تعلم يا سيدي فإنها حقوق مشروعة تنص عليها القوانين .. و لا خلاف على ذلك .. كل ما هنالك أنني أرغب في تطبيق تلك القوانين على المسجونين .. و العمل على تمكيننا من الحصول على حقوقها في داخل السجن " .*

انفعل رئيس السجن ، و غضب غضبا شديدا ، و صاح في وجه حابيس قائلا : " و ما تلك الحقوق التي تنوي الحصول عليها إذن؟" ، فأجابه حابيس في كبرياء و شموخ : " *إن من حق المسجونين رؤية أهلهم و ذويهم في يوم أو يومين بالشهر على أقل تقدير .. و إن هذا الطلب ليس بمخالف لقوانين إدارة السجن .. و ما كنت لأطالب بأمور مخالفة للقوانين و الأحكام .. إن ما أطالب به هو تحقيق العدل و المساواة على الجميع داخل السجن و خارجه .. و إعطاء كل ذي حق حقه ، و من ضمن تلك الحقوق التي أطالب بها حقوق المساجين و المعتقلين .. و التي تكفلها لهم القوانين و التشريعات .. التي تنص على ان من حق السجين الجنائي أو المعتقل السياسي رؤية أهله من مرة الى مرتين شهريا .. أما فيما يتعلق بالطعام فإن المساجين يشتكون من فساد الأطعمة المقدمة لهم .. و لقد أصيب في وقت سابق أحد المساجين بحمى شديدة و سعال حاد.. و تعنتت إدارة السجن في توفير العلاج المناسب لهذا المريض و عرضه على الطبيب المختص .. حتى تدخلت إدارة السجن أخيرا بعد أن ساءت الأمور لخشيتها من تفشي العدوى بين المساجين .. و*

لقد أنتقلت عدوى المرض الى عدة أشخاص .. بينما توفي أحدهم .. و بعد وفاة ذلك السجين أمرت إدارة السجن بعزل المصابين و توفير العلاج لهم .. و إن كل ما نطلبه هو التحقيق في ذلك التقصير و الإهمال بحق المساجين .. فإن كان ذلك التقصير متعمدا من قبل الحراس من دون أوامر عليا فعليك محاسبتهم .. اما و إن كان الحراس ينفذون أوامر عليا تفرض عليهم تعمد الإهمال فإنني أتهمك أنت شخصيا بمحاولة القيام بالقتل البطئ للمساجين .. و هذا كل ما لدي !! " .

و لما انتهى حابيس من كلامه ، جن جنون رئيس السجن ، و أمر بتوقيع عقوبة الجلد عليه أمام المساجين ، ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه التمرد على سياسات السجن و إدارته ، و أمر بإخراج حابيس خارج المحبس ، فأخرجه الحراس فورا ، و أخلعوه ملابسه ، ثم انهالوا عليه ضربا بالسياط ، لكن حابيس كان صامدا صلبا ، فلم ينطق ببنت شفة ، غير أنه كان يتألم دون أن يصدر صوتا ، طمعا منه في ألا تتحقق لرئيس السجن غايته في بث الرعب و الخوف في صدور المساجين ، ثم انتهى الحراس ، بعد ان جلدوه ثلاثين جلدة ، و أمر رئيس السجن بإعادته مجددا إلى

محبسه ، و انصرف الرئيس ، و بعد لحظات عاد الحارس الذي قام بجلد حابيس ، و قد كان قبطيا و أحد المتعاطفين معه ، و طلب من حابيس أن يسامحه على ما فعله به ، و أقسم له انه ما كان لينفذ أوامر قائده إلا خوفا على حياته من الهلاك ، لكن حابيس أخبره بأنه لا يأبه لتلك الوسائل الخسيسة المتبعة في تعذيبه ، و أنه لن يرضخ أبدا لتلك السياسات القذرة التي تهدف لإرغامه على السكوت عن المطالبه بحقوق المساجين ، ثم طلب حابيس من هذا الحارس أن يفتح له باب السجن ليتمكن من الذهاب الى دورة المياة ، فوافق الحارس ، و فتح له .

خرج حابيس من المحبس ، و ربط الحارس يديه بقيد من الخلف ، و أوصله الحارس الى دورة المياة ، و عند الباب طلب منه حابيس أن يفك قيد يديه ليتمكن من قضاء حاجته ، فامتثل الحارس الطيب لرغبته ، و حل عقدة القيد المربوط في يديه ، فشكره حابيس كثيرا ، و دخل حابيس الى دورة المياة ، فيما انشغل عنه الحارس الذي ظل واقفا خلف الباب ينتظره ، لما سمع أحد الحراس ينادي عليه ، و يأمره بالذهاب في إحدى المأموريات ، فانصرف الحارس من أمام الباب ، بينما كلف أحد

الحراس الآخرين بإنتظار خروج حابيس بدلا عنه ، و على الفور ارتدى حابيس قلنصوة الرجل العبراني ، ثم دفع بالخاتم في إصبعه ، و راح يردد على الخاتم تلك الكلمات و الأدعية التي حفظها من الرجل العبراني ، ثم سأل الإله بأن يحجبه و يخفيه عن نظر الحراس ، و فتح حابيس باب دورة المياة ، و خرج مغلقا الباب من ورائه ، فلم يجد أحدا واقفا بالخارج ، فسار في الممر الضيق داخل سرداب السجن ، و كان كلما مر بإحدى الشعلات المضاءة على جانبي الممر أطفاها ، و ظل يعبر الممر دون أحد يراه أحد ، حتى وصل إلى باب السرداب المؤدي إلى أعلى القبو ، فوجد عليه حارسا مدججا بأسلحته ، لكن الحارس كان يجلس على مقعد صغير ، مطئطئا رأسه كأنه مغشي عليه ، فوقف حابيس إلى جانبه ، و مد يده في جيب الحارس ، و تناول المفتاح ، و دون أي شعور من الحارس بحابيس ، فتح حابيس باب السرداب ، و ركض نحو السلالم العالية المؤدية الى المخرج ، فصعد سلالم القبو ، حتى وصل الى باب الخروج ، فوجده مواربا قليلا ، فدفعه حابيس الى الوراء ، فانفتح له الباب ، ثم ركض حابيس مسرعا خارجا الى بهو المعبد ، حيث وجده ممتلئا

بالعديد من الناس الذين كانوا يؤدون طقوسهم الدينية ، شعر حابيس بالإرتياح لعدم ملاحظة أحد له ، و كان يمضي في طريقه مخترقا حشود المتعبدين في المعبد دون قلق ، حتى انه ظن أن روحه رحلت عن جسده ، و ما ذلك إلا طيفه يسير بين الناس في خفة رائعة ، لم يكن حابيس يلتفت الى احد ، كان قلبه مطمئنا بنصر الإله له ، و عزم على المضي في طريقه دون تردد ، محاولا قمع وساوس الشيطان بداخله الذي كان يحاول تثبيط عزيمته ، و هزيمة قوته الداخليه الروحية التي حصل عليها من ادعية الرجل العبراني الحكيم ، حتى اخترق حابيس باب المعبد ، و استنشق نسائم الحرية التي دبت فيه الروح من جديد ، في تلك اللحظة تقين حابيس من أن خطته قد نجحت بكل براعة ، و ان عليه ان يسرع لتنفيذ باقي الخطة ، قبل ان يكتشف الحراس أمر هروبه ، و يشرعون بالبحث عنه في كل مكان .

أسرع حابيس الى داره ، و أخرج من صندوق ملابسه بعض الثياب الجديده ، و استبدلها بملابس السجن القديمة ، و خرج على الفور من الدار ، و كان قد وجد جواده الأمين في مكانه المعهود ، في الأسطبل خارج الدار ، فقام بفك مربط الفرس ، و

صعد على ظهره ، و انطلق به مسرعا نحو الصحراء ، كانت الخطة تنص على ضرورة شراء حابيس لبعض الثياب الخاصة بكهنة المعبد ، و إخفاء هويته عن طريق تقمص شخصية كاهن معبد ، و تغيير شكله تماما حتى يصبح مشابها لشكل الكهنة ، لذلك فقد قام حابيس بحلاقة لحيته ، التي نمت في فتره مكوثه بالسجن ، و بالفعل فبينما كان حابيس بداخل داره ، قام بقص لحيته و شعر رأسه الطويل بإستخدام المقص الخشبي ، ثم أحضر الموس الحديدي ، و قام بحلاقة ذقنه تماما ، حتى صارت ناعمة كذقون الكهنة ، ثم جاء بالمكحلة ، و طفق يمررها حول عينيه كي يبدو مثل كهنة المعبد المألوفين ، و قد تغير شكل حابيس تماما الآن ، و صار يبدو كأحد رجال الدين ، لكن عليه بإرتداء ملابس الكهنة كي لا يكتشف أحد أمره ، و لم يكن حابيس يملك ملابس كهنة ، و في نفس الوقت لا يمكنه الذهاب الى السوق و الظهور الى العامة ، في الوقت الذي علم حابيس بأن أمر هروبه قد انكشف ، و صار الجنود يبحثون عنه في الشوارع و الأسواق ، لذا قرر الذهاب الى سارة ، تلك الفتاه العبرانية التي دخل حابيس السجن دفاعا عن أخيها ، و بالفعل انطلق حابيس

على ظهر جواده ، مخترقا عباب الصحراء ، متوجها الى الباديه القريبة من أطراف المدينه ، حيث خيام العبرانين هناك .

وصل حابيس إلى دار سارة ، بعد أن ربط حصانه في شجرة بعيدا عن الدار ، و قبل ان يدخل الى الدار ، خلع غطاء رأسه ، و نزع الخاتم من إصبعه ، و ألقى السلام و التحية على أم سارة ، فصرخت المرأة حين رأته ، فاندفع حابيس نحوها ، و أقسم عليها ان تهدأ و تخفض صوتها ، حتى لا يشعر به احد ، فعملت المراة بأمر هروبه ، و ذهبت لتبحث عن سارة ، بينما ظل حابيس منتظرا داخل الدار ، و قد كان خائفا ، يخشى أن يأتي احد و يراه فينكشف أمره ، و ربما يأتي الجنود الى هذه المنطقة بينما يبحثون عنه ، لذلك اضطر حابيس للإختباء خلف إحدى الستائر بالدار ، و بعد مدة قصيرة ، عادت المرأة العجوز و معها سارة ، و حين رأته سارة ، اندفعت نحوه ، و أمسكت بيده ، و قد غمرت السعادة وجهها ، فصار مشرقا نضرا لرؤيته ، ثم أمسك حابيس بيدها ، و شدها الى داخل إحدي الغرف ، و همس في أذنيها قائلا : " *سارة !! .. إن جنود الملك الآن يبحثون عني في كل مكان .. ليس أمامي المزيد من الوقت .. سأطلب منك طلبا هاما .. عليكي بالإسراع*

في تنفيذه .. " ، فأسرعت سارة تسأله عن طلبه ، فأخبرها : *"سوف تذهبين الان و بسرعة الى السوق .. ثم تقومين بشراء ملابس كهنة جديدة و قيمة .. و شعر مستعار .. و تختارين لكي أفضل الثياب و أغلاها كملابس النساء من علية المدينة .. ثم تشترين بعض الطعام ليكون مؤونة و قوتا في السفر .. "* ، تعجبت سارة من حديث حابيس ، و قاطعته في دهشة سائلة :" *حابيس ... أخبرني ماذا تنوي ان تفعل ؟ " ،* فأجابها و هو يضع نقودا معدنية في يدها قائلا *: " سارة أرجوكي ليس هناك وقت .. إن الجنود يقلبون المدينة رأسا على عقب بحثا عني .. سأنتظرك عند النخلة حيث المكان الذي تواعدنا عنده من قبل .. إذهبي الان بسرعة و لاتتاخري "* .

عاد حابيس إلى جواده الرابض عند الشجرة ، و هم بركوبه ، و انطلق متجها نحو نخلة الميعاد ، ثم نزل عن فرسه ، و استراح أسفل النخله ، ثم تناول شرفة ماء من إربة المياه التي يحملها معه ، و ما نسي أن يلبس قلنصوته و خاتمه ، حسبما أوصاه الرجل العبراني ، خشية أن يراه الجنود الباحثون عنه في شتى أركان المدينة و أطرافها ، حتى غلبه النوم في الظل تحت النخلة

، و بعد عدة ساعات استيقظ حابيس فزعا من نومه ، عندما سمع صوت الفتاة العبرانية تنادي عليه عند النخلة ، فما كانت الفتاة العبرانية لتشعر بوجوده و هو يرتدي الخاتم و اللنصوة السحرية ، لذا أسرع حابيس بخلعهما ، بينما كان مستلقيا خلف النخلة ، فنادى عليها ، نظرت سارة خلفها ، فوجدت حابيس مستلقيا لجوار النخلة ، اندهشت أيما اندهاش ، كيف ظهر لها فجأة ، و قد كانت تبحث عنه حول النخلة وقتا طويلا ، لم يفسر حابيس لها الأمر ، و نظر فيما حملته معها ، فوجدها قد اشترت الملابس و الطعام كما أخبرها ، فأمرها بأن تسرع بإرتداء الملابس الجديدة على الفور ، رفضت سارة ذلك رفضا تاما ، و قالت له :"

لماذا تريدنني أن أرتدي تلك الملابس الجديدة ؟ " .

حابيس : *" سارة إنني أرغب بالزواج منك .. فهل توافقين ؟ "*

سارة : *" ماذا تقول ؟ .. هل أصابك الجنون ؟ .. هل انت تعي ما تقوله جيدا ؟ .. حابيس إنني لم أفكر في أمرا كهذا مطلقا .. ليس لأنني لا أرغب بك ... بل لأنني عبرانية على دين آبائي و أجدادي و لا يمكنني الزواج بغير عبراني! أرجوك يا حابيس تفهم ذلك"*

حابيس : *" سارة .. إنك سوف تأتين معي .. دون تردد .. و سوف*

أتزوج بكي .. سنهرب معا الى مدينة منف .. و هناك يمكننا العيش دون خوف او قلق .. سنتنكر في رجل دين و زوجته .. و لن يتمكن احد من كشف أمرنا .. عليكي ألا تفكري كثيرا في الأمر يا عزيزتي .. فإن انفذ نبوءة رجل عبراني كان معي بالسجن .. و قد تحدثت معه عنكي كثيرا .. فتنبأ لي بالزواج منك و نصحني بذلك .. و قال لي ستكون لك زوجة من بني إسرائيل عونا لك في غربتك .. و ستكون لك سندا في رحلتك .. و لقد آمنت له بدين آبائك و أجدادك .. و صار بالإمكان أن أتزوج بكي ... هيا بنا يا حبيبتي .. و إنني لأشهد رب العالمين على أن أحافظ عليكي و أرعاكي ما دمت حيا " .

2

المشهد الثاني

(أون ذات العماد)

في الشهر الثالث من شهور فصل "أخت" فصل الفيضان العظيم ، كان حابيس قد عزم أمره ، و قرر الهروب من مدينة أواريس ، التي أمضي فيها شبابه و صباه ، لقد كانت تلك اللحظة التي يخرج فيها حابيس من مدينته هاربا لحظة شديدة القسوة عليه ، كان يمتلأ حبا لتلك البلدة التي شهدت طفولته ، بينما كانت سارة تشعر بالحزن الشديد لمغادرتها المدينة ، و رحيلها عن أمها

و أهلها و قومها ، الذين عاشت و ترعرت بينهم ، لكنهما الان قد وجدا نفسيهما تحولا إلى هاربين يضلان السبيل ، و لا يعرفان الى أين سينتهي بهما المطاف ، كان حابيس يلتفت خلفه كثيرا ، بينما كانت سارة تركب خلفه على ظهر جواده القوي الرشيق ، و شد حابيس لجام فرسه ، فأخذ يعدو عدوا في الصحراء ، متجها جنوبا ، حيث طرف المدينة الجنوبي ، و كان غرضه من ذلك هو البعد قدر الإمكان عن المدينه ، لأن جنود الملك كانوا في ذلك الوقت يجاهدون في البحث عنه في كل مداخل و مخارج المدينة ، لذا فإن الصحراء جنوب المدينة كانت الطريق الأكثر أمانا ، و الذي سوف يؤدي به الى الفرار من المدينة دون أن يعثر عليه الجنود ، لكن الصحراء برمالها الصفراء وقت الظهيرة ، و أشعة الشمس الحامية ، تركت على حابيس و سارة آثار التعب و لإرهاق ، و بعد ساعة العدو السريع ، رأى حابيس واحة صغيرة في واد عند سفح إحدى الهضاب ، فقررا التوقف عندها ، للراحة و إمداد الجسد بقليل من الطعام و الشراب ، و إطعام الفرس ، كي يتمكنا من استكمال رحلتهما الشاقة ، نزل حابيس و سارة عن الفرس ، بينما ربطه حابيس في جزع النخلة ، و أنزل الأمتعة

التي كانا يحملاها على ظهر الفرس ، و أخرج منها إربة الماء ، فشربا و ارتويا ، و رويا فرسهما المجهد من عناء السفر ، ثم أخذا قسطا من الراحة أسفل النخلة التي أظلت عليهما ، و بينما هما كذلك ، رفعت سارة رأسها الى السماء ، و صاحت في حابيس قائلة : *" حابيس .. أنظر فوقك .. ماذا وجدت ؟ "* ، فنظر حابيس عاليا ، فوجد النخلة الشاهقة التي كانا يستريحان أسفلها ، يتداعى الرطب من سعفها ، فقالت له سارة : *" يا إلهي إنها ناضجة !! .. إنها إشارة من الرب بأنه سوف يبارك رحلتنا .. لقد أخبرني والدي قبل وفاته بأن تلك الرطب تذهب بالظمأ و تروي البدن و تشفي الروح .. هلم بنا نسقط الكثير منها ، ليكون لنا زادا و عونا في سفرنا "* ، فطفق حابيس يهز جزع النخلة بقوة ، فأخذت حبات الرطب الناضجة تتساقط فوق رؤوسهما ، و قد غمرتهما السعادة و الفرحة ، فطفقا يأكلان منها حتى تتملأ بطونهما و تقر أعينهما ، ثم جمعوا منه الكثير ، و حملوه معهم ، و أستكملوا الرحلة .

كان حابيس يحمل معه خريطة لأقليم أرض جاسان ، و بما أنه كان يعمل في الجيش فقد تمكن من الحصول على أدق الخرائط

لجغرافية البلاد ، فأخرج حابيس تلك الخريطة من أمتعته ، و أخذ يملي النظر فيها بإمعان ، ثم قال :" *انظري يا سارة .. إنه يتوجب علينا السير جهة الجنوب غرب .. حتى نصل إلى تلك الجزيرة الواقعة على قناة سيزوستوريس جنوب أرض جاسان .. و من ثم سنتمكن من إيجاد قارب يوصلنا إلى تلك المدينة الكبيرة التي تسمى بوباسطس (الزقازيق) و التي تقع على فرع بوبسطة الشرقي .. هناك سنجد بالطبع الكثير من المراكب الخشبية الضخمة .. و التي يمكننا السفر عبرها الى مدينة أون (هليوبوليس) و من ثم يمكننا عبور الضفة الأخري للنيل حتى نصل الى مدينة منف الرائعة ...* " ، ثم أضاف مشيرا في الخريطة :" *انظري إننا الآن نقع في تلك المنطقة بالتحديد .. و عليه فإننا سوف نتجه غربا في رحلة طويلة حتى مدينة بوباسطة الكبيرة ..* " ، *فأجابته سارة قائلة : " لكن سيكون هناك حتما جنودا و حراسا كثر .. و ربما قد وصل الخبر الى تلك المدينة المحصنة .. و ربما أمر الملك بالبحث عنا في تلك المدينة أيضا* " ، فطمئنها حابيس قائلا : " *نعم و لكن لا تقلقي .. لن يتمكن أحد من اكتشاف امرنا .. لأننا قد تمكرنا في شخصيات أخري .. و سوف*

تساعدنا تلك الملابس التي نرتديها على تقمص شخصية كاهن عظيم و زوجته المرموقة .. و بهذه الطريقة فسوف يسارع الكثيرون بمساعدتنا في إيجاد إحدي الرحلات النهرية الى مدينة أون ذات المسلات العالية .. لكن الآن عليكي ألا تتحدثي مطلقا باللغة العبرانية .. و عليكي أن تخاطبينني بإسمي الجديد .. حتى لا يشك أحد في أمرنا" ، فقاطعته سارة ضاحكة : *" و ما هو ذلك الإسم الجديد يا ترى ؟ "* ، *فاجابها حابيس قائلا : " إنه سوباك خادم الإله رع الأمين و أنتي زوجتي المخلصة تاوسرت "* ، فعقبت سارة على كلامه قائلة : *" يا لها من أسامي رائعة حقا .. الآن لقد صرنا من نبلاء القوم و لن يكشف سرنا أحد "* .

و عندما حل المساء ، كان حابيس و سارة قد وصلا إلى الجزيرة الواقعة جنوبا على قناة سيزوستوريس ، و هناك قابلا رجلا ريفيا فصيحا ، فحياهما تحية عظيمة في إجلال ، و قد بدا عليه أنه خائفا منهما ، على الرغم من أنهما هما الذين كانا خائفين منه ، ثم طلبا منه أن يمكثوا بداره على الأرض المزروعة حتى الصباح ، فما كان على ذلك الفلاح إلا أن وافق في التو و اللحظة ، و قضيا في داره تلك الليلة ، ثم أستأنفا السير عندما أصبح الصباح ، و قد شكرا

ذلك الفلاح على كرمه و حسن ضيافته ، و قررا ترك الفرس له كهدية شكر و امتنان لكرمه ، فحملا امتعتهما على اعناقهما ، و عبرا فرع النيل في قارب لا دفة له ، بفضل الرياح التي كانت تهب من جهة الشرق ، حتى وصلا الى الجهة الأخرى من النهر ، و هناك وجدا قافلة متجهه الى مدينة بوبسطة المحصنة ، و قبل الظهر كانا قد وصلا الى تلك المدينة ، فوجدا جدارا مهيبا شيد لصد البدو و سحق ساكني الرمال ، و لما رأيا حراس الحصن هنالك ، كورا نفسيهما بين الحشائش خوفا من أن يراهما الحارس الذي كانت عليه المراقبة في ذلك اليوم ، و استأنفا السير حتى دخلا الى المدينة ، و هناك ساعدهما أحد التجار في العثور على إحدى القوافل النهرية المتجهة الى مدينة أون ، فاستقلا مركبا خشبية شراعية كبيرة ، كانت تحمل الكثير من العتاد من الأسلحة و الدواب و الغلال ، لنقلها الى مدينة أون ذات المسلات الضخمة ، و كان على متنها الكثير من التجار الذين يعيشون في تلك المدينة ، و قد كان التجار ينظرون اليها في مهابة و تقديس ، و قد تجعوا حول حابيس و سارة لمباركتهم ، فيما كان حابيس يبدو عليه أنه كاهنا ذي هيبة عظيمة ، و قد كان البعض يطلب منه

بعض الاستشارات الدينية ، فكان حابيس يجيب عليهم بما عرف من علوم الدين ، و بما أخبرته السيدة نانيس عن الطقوس الدينية القديمة التي توارثتها من أجدادها ، و قد أطلق عليه التجار إسم الكاهن المبارك ، لما وجدوه منه من توقير و إجلال للإله رع معبود مدينة أون الذي كانوا يعبدونه ، و كانوا يحملون إليه الطعام تعظيما لمكانته ، و تكريما له ، و ترحيبا بوجوده على متن قاربهم ، و عند الفجر كان قد وصل حابيس و سارة الى مدينة أون العظيمة ، و فيها قررا أن يمكثا يومين قبل استكمال مسيرتهما الى مدينة منف الرائعة ، المحطة الثانية في رحلتهما .

كانت مدينة أون مركز عبادة الإله رع ، و كان حابيس يعرف الكثير عن رع معبود مدينة أون ، و كان يقدسه و يجله إجلالا كبيرا ، و كان السكان يسمونها بمدينة الشمس ، و كانت اون تسمى أيضا بذات العمدان ، نظرا لأمتلائها بالمسلات الكبيرة الشاهقة الإرتفاع ، و كانت المدينة العاصمة للإقليم الثالث عشر من أقاليم مصر السفلى ، و كان في المدينة الكثير من المعابد الضخمة المشيدة من الصخور الطبيعية ، و كان الإله رع هو المعبود الرئيس في المدينة ، و هو إله الشمس ، و كان و كان

يرمز له في شكل رجل يعلو رأسه قرص الشمس ، فكانت المدينة مركزا تجاريا و حضاريا و ثقافيا و دينيا عظيما ، و وجد فيها الناس يرددون اسطورة عظيمة ، و تحكي تلك الأسطورة عن الإله رع الذي كان يلقب بأبي اللألهة ، و قد خلق نفسه بنفسه ، و استقر فوق العرش ، و لما وجد نفسه وحيدا في الكون بدأ بخلق زوجين هما الإله شو إله الهواء و الإلهة تفنوت إلهة الرطوبة و الندى ، و قام هذان الزوجان بإنجاب زوجين أخرين هما الإلة جب إله الأرض و الإلهة نوت إلهة السماء ، و الذين كانا ملتصقين ، ففصلهما الإله شو إله الهواء ، و في أثناء التصاقهما أنجبا أربعة ابناء هم الإله أوزير و الإله ست و الإلهة ايزيس و الإلهة نفتيس ، و بذلك اكتمل التاسوع الإلهي لمدينة أون ، و قد خلق الإله أتوم (رع) البشر من دموعه ، و كان الناس يمجدون الإله رع أكثر من غيره من الألهة ، و كانت المدينة مقرا للعلم والحكمة ، حيث كان يوجد بها جامعة عريقة ، جذبت اليها العديد من الدارسين للإلتحاق بها ، و كان يدرس بجامعتها العديد من العلوم منها الحكمة و الفلسفة و الفلك والطب و الرياضيات و الدين و التاريخ ، و كان يطلق على كبير كهنتها إسم كبير العرافين

المستبصرين ، و هو لقب مرتبط بعلم الفلك ، و قد كان في مدخل المدينة مسلة عظيمة بناها الملك سوسرت الأول قبل عدة سنوات ، و قد زار حابيس تلك المدينة العظيمة مرة واحدة من قبل ، و كان يعلم عنها الكثير ، كما كانت سارة تعرف الكثير عن تلك المدينة ، مما حكاه لها أجدادها العبرانين الذين جاؤوا الى أرض القبط منذ زمن ، و قد نزل حابيس و سارة في ضيافة أحد التجار الذين تعرفا عليه أثناء رحلتهما النهرية على متن القارب الشراعي الكبير .

كان الزوجان الجديدان منهكان أشد الانهاك من آثار السفر ، لذا كان عليهما المكوث في مدينة أون يومين ، حتى يتثنى لهما استكمال رحلتهما اليى مدينة منف الرائعة ، و لقد كانت سارة سعيدة في وجودها في تلك المدينة ، أما حابيس فكان يفكر كثيرا في كيفية التحضير للإنتقال الى مدينة منف ، و بينما كانا يتناولان العشاء ، سألته سارة عما يفكر به ، و يجول في ذهنه ، فقال لها : *" لقد كانت رحلة شاقة للغاية .. لكن علينا عدم البقاء في تلك المدينة كثير من الوقت .. إن خبر هروبنا ربما يكون قد وصل الى هنا .. و أخشى أن يكون بقائنا هنا فيه خطر على حياتنا "* ،

فأجابته سارة قائلة : *" لا عليك يا عزيزي .. لا ترهق ذهنك بكثرة التفكير .. إن الرب معنا و إنه راعينا و حامينا في تلك الرحلة الشاقة .. "* ، فعقب حابيس على كلامها قائلا : *" هل تشعرين بالأمان معي ؟ "* ، فأسرعت قائلة : *" هل من شك في ذلك ؟ "* ، اغتبط حابيس كثيرا ، ثم قال لها : " و ما رأيك في هذه المدينة؟" ، فأجابته سارة قائلة : *" إنها مدينة رائعة جدا .. إن لها مكانة كبيرة عندي .. فقد ولدت فيها "إسنات" تلك المرأة التي أعطاها ملك مصر زوجة لنبي الرب يوسف إبنة "فوطي فارع" كاهن أون العظيم .. و أون هي من المدن العظيمة التي شارك العبرانيين في تحصينها مع كثير من المدن الأخرى مثل فيثوم و رعمسيس و تانيس و أواريس الجميلة .. "* ، ثم عقب حابيس على كلامها ، فقال : *" نعم .. و لقد كانت أون ذات شان عظيم في عهد الملك سنوسرت الأول .. و كانت تمثل مركزا لوحدة الإمبراطورية القديمة مترامية الأطراف .. و لقد بنيت اون على حافة الصحراء التي تراجعت حوالي ثلاثة أميال نحو الشرق .. نتيجة لإرتفاع حوض النيل من طمي الفيضانات .. "* .

استطردت سارة قائلة : " و لقد كان كهنة أون يخضعون ليوسف الذي أصبح رئيسا للوزراء بعد وفاة بوتيفار الذي كان عزيز مصر من قبله .. و لقد كان بوتيفار رئيسا للوزراء و قائدا للجيش .. و كان رجلا مخلصا في عمله و كان موضع ثقة للملك في ذلك الوقت .. و لقد اشترى بوتيفار يوسف و أخله الى بلاط الحكم عندما كان صغيرا .. و لم يعامله معاملة العبيد .. بل أوصى زوجته زليخة بالإحسان اليه لما وجد فيه من الفطنة و الذكاء و الرأي الثاقب .. و ترعرع يوسف في بلاط العزيز بوتيفار مدة أحد عشر عاما الى أن اشتد عوده .. و صار شابا حسن الوجه حلو الكلام شجاعا قويا و ذا علم و معرفة .. و كان لا يمضي يوم إلا و يزداد شغف زليخة زوجة بوتيفار الخائنة بيوسف .. الى أن راودته عن نفسه ظنا منها أنه سوف يطيعها في معصية الرب و خيانة العزيز .. إلا أن يوسف كان من المخلصين و أبى أن يرتكب تلك المعصية .. و هرب تجاه الباب ناويا الخروج .. لكنهما وجدا بوتيفار عند الباب .. و عندما رأى بوتيفار العادل أن قميص يوسف تم شده من الخلف أيقن أن زوجته زليخة هي الخائنة .. و هي من راودت يوسف عن نفسه و هي من مكرت به .. ثم

قامت زليخة بعد ذلك بالعمل على سجن يوسف حتى ينصاع لرغبتها و يطيعها .. لكنها فقدت ثقة زوجها بوتيفار بعد أن انفضح أمرها .. و لبث يوسف في السجن عشر سنين .. لكن بوتيفار ندم بعدها على سجن يوسف و حزن من خيانة زوجته له .. و اعتلت صحته .. ثم توفي بعد خروج يوسف من السجن بقليل .. فصار يوسف عزيزا لمصر خلفا لبوتيفار .. و قام يوسف بالعمل على انقاذ أرض القبط من المجاعة و القحط .. كما قام بهداية الناس بعبادة الرب الواحد حتى صار دين أبينا يعقوب هو الدين الرسمي للدولة .. و قد أمر بتحصين مدينة أون.. و عظم مكانتها بين المدن .. فأحبه أهل القبط حبا جما حتى مات .. فتنازع شيوخ القبائل الرعاة الأسيويين على حكم بلاد القبط .. و حاربوا دعوة يوسف في البلاد .. و عاثوا في الأرض فسادا .. فصاروا يذبحون الأطفال من اهل يوسف و يستحيون نساءهم و يستعبدون الناس في الأرض .. و في ذلك غضب عظيم من الرب علينا و بلاء شديد لأرض القبط".

فجأة طرق أحد الباب ، فأسرع حابيس بإرتداء ملابسكه الكهنوتية ، و ذهب لفتح الباب ، فوجد أمامه التاجر القبطي الذي يقضيان

ليلتهما في داره ، تعجب حابيس لأمر ذلك التاجر الذي جاء ليسأل عليهما في تلك الساعة المتأخرة من الليل ، و ظن أن هناك امرا ما يجول في رأسه ، فسأله حابيس عن الأمر الذي دعاه للقدوم إليهما في تلك الساعة المتأخرة ، أجابه التاجر بأن زوجته تعاني من ألما شديدا بالبطن ، و لا تستطيع النوم ، فأوصاه حابيس بغلي أوراق نبات حب العزيز ، ثم تناوله دافئا ، كما أوصاه بزيت الحبة السوداء و مغلي بذور اليانسون ، لكن التاجر أصر على اصطحابه الى زوجته ، لقراءة بعض التعاويذ و الأناشيد الدينية عليها ، حتى تذهب عنها آثار الشر الذي مكر بها كما أعتقد التاجر.

قال التاجر لحابيس : *" يكاد إبراء الجسد من علته يعتمد على مطاردة روح الشر .. و إجبار تلك الروح على ترك الجسد .. بإستخدام عزائم السحر .. أكثر من الإعتماد على علاج الجسد نفسه "* ، و كان ذلك التاجر يؤمن بقدرة السحر العظيمة على الشفاء ، و ان أفضل العلاج انجحه ما يتمثل في رقية تؤتي فعلها فورا ، و أنه لن يقدر على فعل ذلك سوى واحد من العرافين الكهنة المرتلين ، الذين تخصصوا في معرفة كتب السحر القديمة ، و قد ظن التاجر أن حابيس من أولئك الكهنة العرافين ، و الذين

كانوا منتشرين بكثرة في ذلك العهد ، و عملوا على بث أفكارهم و معتقداتهم في نفوس العامة ، في ذلك الوقت ، ليتمكنوا من التسلط عليهم و السيطرة على عقولهم ، و حتى يكون لهم نفوذا كبير حتى على الملوك و الأمراء ، و لقد كان عامة الشعب يعتقد أن الكاهن يبرأ و يشفي بإستخدام السحر ، و أن هناك ارتباط وثيق بين السحر و الطب و العلاج ، لكن حابيس كان يعلم حقيقة الأمر ، و هو ان العلاج و الشفاء كان يأتي من العلوم الطبية ، و ليس من السحر الأسود و الخزعبلات كما كان يعتقد العوام من الناس في ذلك العصر ، الذي انتشر فيه الجهل و الفقر و المرض بين الناس ، و استشرت فيه قوة و نفوذ و سلطة الكهنة و خدام المعابد ، فصار الناس يمتثلون لأوامرهم ، و يتبعون كلامهم ، كقطعان من الغنم ، لذلك أراد حابيس توعية التاجر بأن قال له :

" إنه نوع آخر من السحر لا علاقة له بالشياطين أيها التاجر الطيب .. و لا يتم من خلاله إلحاق الضرر و الأذب بالآخرين .. إنه السحر العلمي .. الذي يسخر فيه الكاهن العالم بربه الطبيعة بوسائل و طرق آلية و ميكانيكية و نظريات فيزيائية و كيميائية لصالح

الإنسان و البشرية .. و قد عرف هذا النوع من الطلاسم و السحر العلمي بإسم السيمياء .. لكن كهنة هذا الزمان يعملون كسحرة و دجالين محاولين إقناع الناس بقدرة سحرهم القوي على الشفاء و العلاج .. و لقد عملوا على إخفاء تلك الأسرار و حجبها عن عامة الناس .. حتى يتثنى لهم السيطرة على عقولهم و أفكارهم .. و حتى يتمكنوا من الوصول الى عقول الملوك و الأمراء فيغدقون عليهم بالهدايا و العطايا الكثيرة .. لأن الثراء و نشر الجهل بين الناس هما أدواتهم القوية للسلطة ... و قد لجأ بعض الكهنة إلى طريقة يحفظون بها علومهم حتى لا تندثر بعد موتهم .. فاخترعوا الرموز و الطلاسم و الشفرات و الأرقام لتسجيل تلك العلوم بعد أن قاموا بتعليمها للكهنة الصغار .. و هذه الطلاسم هي التي يعتقد فيها عامة الناس بأنها من انواع السحر .. و يتعمد بعض الكهنة في تثبيت ذلك المعتقد لديهم .. ليزعموا أنهم يملكون ان يدخلوا الرجل إلى العالم الآخر (الجنة) بسلام عند استقباله بعد موته .. فترعب تلك الأفكار العامة من الناس .. فيأخذون بتقديم العطايا و القرابين لهم .. و لكنهم يختلسون تلك العطايا و القرابين لهم .. و هم بذلك ينصبون

أنفسهم أوصياء على الدين .. و ليبسطوا سلطتهم و يفرضوا هيمنتهم على الدولة .. حتى صاروا دولة داخل الدولة .. إذهب أيها التاجر الطيب المتدين .. و عد إلى زوجتك .. و أعطها مما وصفت لك .. و سوف تكون بخير بإذن الإله في الصباح .. لكن عليك أن تثق في قدرة الإله على الشفاء" .

إنصرف التاجر و قد ارتسم على وجهه علامات الإقتناع ، و قد أشاد بعلم حابيس الفائق ، و أثنى على حكمته البالغة ، أما حابيس و زوجته سارة فطفقا يتعبدان بداخل الدار ، و قررا إعتزال عامة الناس ، و عدم الإختلاط بهم ، حتى يتمكنوا من مغادرة المدينة في صباح اليوم الثالث .

3

المشهد الثالث

(منف الرائعة)

جاء صباح اليوم الثالث ، فاستعد الزوجان للرحيل ، و قد هما بالإسراع للحاق بالقافلة النهرية المتجهة إلى مدينة منف ، خرجا الزوجان على الفور ، و توجها صوب ضفة النهر ، حيث وجدا السفينة الشراعية الكبيرة في انتظارهما ، و ما ان قابلهما الركاب

، حتى صاحوا فيهما منادين عليهما ، و قد رحب بهما الركاب ترحيبا عظيما يليق بمكانتهما بينهم ، و كان الجميع يكن لهما كل توقير و إحترام ، و لقد ذاع صيت سوباك كثيرا ، بعد أن تناقل التاجر أخباره بين أهله و جيرانه ، و قد تحدث لهم كثيرا عن فضله و علمه العظيم ، بعد ان تمكن من علاج زوجته التي كانت تتالم بشدة ، و قد صار جميع الركاب يتحدثون عن سوباك فيما بينهم ، و كان الجميع يتوافد لإلقاء التحية عليه و على زوجته تاوسرت.

تحركت السفينة الشراعية ، و قد توجه سوباك و زوجته تاوسرت بالدعاء الى الرب ، ليبارك لهما في رحلتهما الجديدة إلى مدينة منف ، كانت الرحلة جميلة للغاية ، و كان الفيضان في ذلك العام كبيرا و هائلا ، و كانت مياة الفيضان الخصبة هي تلك القوة التي تمنح الأرض الخصوبة و الحياة ، فكانت السفينة ترتفع بهم كلما تعمقت في وسط النيل ، فأضحت تبدو كهضبة عالية ، و كانت ضفاف النيل تبدو كسهولا و وديانا جميلة ، فكان سوباك يحب كثيرا الوقوف عند طرف السفينة في وقت الظهيرة ، متأملا الشمس العظيمة التي وهبت الحياة و الحضارة لأهله و أجداده ، و كانت تاوسرت تقف إلى جانبه ، فكان كلا منهما يردد بعض

التلاوات المقدسة ، و الصلوات للخالق العظيم المبدع ، كان سوباك يقدس الشمس تقديسا خاصا ، و كان يرى انها الضياء الذي ملأ الكون نورا ، و أشعته بالرسل الذين يحملون العلم للبشر ، و كان الركاب لا يحاولون قطع صلاة سوباك ، بل كانوا كلما وجدوه في حالة تضرع و خشوع انصرفوا عنه وتركوه ، اعتقادا منهم بأن تلك الصلوات ستحمل لهم بركة الألهة و رضائها عليهم ، و قد لقبه الركاب بالكاهن الكبير الذي شاهد الإله رع .

و في عصر اليوم التالي ، كان قد وصل سوباك و تاوسرت إلى مدينة منف الرائعة ،فنزلا عن السفينة ، و راحا يتجولان في أزقة المدينة الجميلة ، تلك المدينة التاريخية العظيمة ، التي بناها الملك نارمر موحد الشمال و الجنوب قبل مئات السنين ن و قد اتخذها عاصمة لمملكة كيميت الموحدة الجديدة ، و أصبحت منف بعد ذلك التاريخ مفتاحا لحركة الحياة في كيميت (الأرض السوداء أو مصر حاليا) ، ففي ظلها ازدهرت الحياة الثقافية و الإقتصادية و الإجتماعية ، و نهضت العمارة و الفنون و الفكر الديني ، و كانت المعبر الرئيسي من شمال البلاد إلى جنوبها و العكس ، و شهدت اول عمارة حجرية ، و أول مقبرة ملكية على

شكل هرمي ، و صارت جباناتها و مقابرها أشهر مقابر كيميت قاطبة ، و كان المعبود بتاح المعبود الرسمي للمدينة ، و سعى معظم الملوك على مر العصور يشيدون الأبنية و القصور و المعابد الضخمة على أرضها ، و إقامة اكبر مخازن للغلال فيها ، و ظلت بمثابة المرآة التي تعكس وجه كيميت الحضاري العريق ، و عندما تعرضت كيميت لرياح عاتية ، متمثلة في كل الذين حاولوا غزوها ، كان لمنف دورها البارز في الصمود و الكفاح ، فكانت بمثابة المفتاح لكل بوابات كيميت ، فما استطاع مستعمر للبلاد أن يصل الى عمق البلاد إلا إذا تمكن من السيطرة على منف ، و أدرك الغزاة و المحتلون قيمة و مكانة منف في عقول و نفوس الكيميتيين ، فصاروا يسعون إليها سلما او حربا ، مدركين ان السيطرة على منف هي السيطرة على كل كيميت ، حتى احتلها ملوك الرعاة الأجانب (الهكسوس) ، و قد توج الملك ساليتس (أول ملوك الهكسوس) بها .

إن عظمة منف و ما بلغته بين مدن كيميت القديمة ، لأمر تشهد عليه الأجيال المتعاقبة ، فقد عاشت على مر العصور في ذاكرة الأمة ، و قد تعلق بها القدماء تعلقا شديدا ، فقرضوا الشعر و

النثر في جمالها و مفاتنها الطبيعية ، و معبدها الكبير الصرح الضخم ، و هرمها المدرج العظيم ، و معبودها الإله بتاح الكريم ، رب كل الصفات الجليلة و الحميدة ، و ما كان يعتري أحيائها المختلفة و سكانها متنوعي الجنسيات من بهجة عارمة إبان الأعياد بشتى انواعها ، و قد كان من شدة حب اهل القبط لها ما جعل الكثيرون يطلق أحد اسمائها الشهيرة على أطفالهم سواء كانوا ذكورا أم إناثا ، و كان من ضمن أسمائها المدينة ذات الجدران البيضاء ، حيث كانت المدينة تتميز بجدرانها البيضاء و اسوارها البيضاء في لوحة فنية رائعة ، أضفت على المدينة طابعا جماليا خاصا بها ، كما سميت بالحصن الأبيض ، و ذلك لأن سور المدينة كان مشيدا من قوالب من الطوب اللبن ، و التي تم كسوها بعد ذلك بالحجر الجيري الأبيض ، و ذلك تمجيدا للون تاج الصعيد الأبيض ، الذي استطاع أصحابه ان يتموا وحدة كيميت ، و كما تعددت أسماء منف او من نفر ، تعددت كذلك معانيها ، فمنها باب الخير أو المكان الجيد أو الموقع الممتاز ، و أيضا تعددت صفاتها مثل ميزان الأرضين ، و ذلك لأنها تقع في نقطة إتصال بين كيميت العليا و السفلى ، كما وصفت بإشراقة

الأرضين ، و مقر روح الإله بتاح ، و كان الإله بتاح هو رب المدينة و معبودها و حاميها ، و في معبده يتم تتويج الملك ، و بإسمه تجري امور الدولة ، و قد شاركه في منطقة إقليم منف المعبود سوكر ، و الذي صور على هيئة شكل أدمي برأس صقر ، و اعتبر إلها حاميا لجبانة سوكر (سقارة) ، و التي تقع على حافة الصحراء غرب المدينة ، فكانت المدينة تعج بالمعابد العتيقة .

تمكن سوباك و تاوسرت من إيجاد مسكن يقيمان فيه طيلة فترة مكوثهما في مدينة منف ، و قد ساعدها بعض التجار في ذلك ، و كان سوباك ينوي الإقامة في منف لبضعة أشهر ، بينما كانت تاوسرت تحبذ فكرة استكمال الرحلة إلى الجنوب بأسرع وقت ممكن ، كانت تاوسرت تخشي من اكتشاف أمرهما في تلك المدينة ، و التي كانت تتبع لحكم ملك أرض جاسان في تلك الفترة ، لكن سوباك كان متاكدا من أن أمرهما لا يمكن له أن ينكشف ، و ذلك لأمرين أولهما أنهما قد أصبحا يعيشان بأسماء أخرى و شخصيات جديدة ، و الثاني لأن الناس صاروا يعظمون أمرهما ، و باتوا مصدقين و مقتنعين بشخصياتهم و صفاتهم الجديدة التي انتحلاها ، و على ذلك كان الرأي الأرجح لسوباك ،

فبقيا في تلك المدينة لعدة أيام ، كان سوباك في خلال تلك المدة يسعى جاهدا في البحث عن مصدر رزق له و لزوجته ، لكن أحد الجيران الجدد أشار عليه بالعمل في معبد المدينة الأكبر ككاهن مختص ، و هي مرتبة وظيفية عليا في العمل الكهنوتي ، حيث سيكون عليه العمل في وظائف محددة ، تخص الخدمة و الطقوس و و أعمال النظافة اليومية ، و إكساء و تزيين التماثيل الإلهية ، و المحافظة على قاعات الطقوس ، و على الموارد المخصصة للإستعمال اليومي كالحلي و الثياب و متطلبات العبادة ، و يشتمل هؤلاء الكهنة المختصون بصورة عامة على عدة وظائف و تخصصات ، منها الكهنة الذين يختصون بأعمال الختان ، و الكهنة المرتلون ، و الكهنة المجنحون ، نسبة الى الريشتين اللتين تزينان غطاء رأسهم ، و هم الكهنة القراء و الكتاب الذين كانوا يمارسون عملهم فيما يسمى بحقول العلم المقدس أو العلم الإلهي ، الذي كان يشمل مختلف الحقول الخاصة بالأدب و الحكمة و الكيمياء و الطب في بيت ملحق بالمعبد يسمى بيت الحياة ، و لم يكن كتبة المعبد هؤلاء من الكهان فقط ، بل كانوا يشكلون الطبقة المثقفة و المتعلمة في

المدينة آنذاك ، و لذلك قرر سوباك بالذهاب الى المعبد ، و العمل في وظيفة الكاهن القارئ .

في اليوم التالي توجه سوباك الى المعبد الكبير بالمدينة ، و قابل كبير الرائيين (كبير الكهنة) ، و في ذلك اليوم كان المجلس الملي الكهنوتي منعقدا ، لترشيح عدد من صغار الكهنة للعمل بالمعبد ، حيث كان هناك وظائف شاغرة يسعى المجلس الكهنوتي لشغلها ، و كان هناك عدد من الكهنة الجدد يرغبون بالإنضمام للخدمة الدينية ، فقد درجت العادة على أن يتم تعيينهم من قبل المجلس الكهنوتي ، كان سوباك مستعدا لإجتياز إختبارات التعيين ، و قد كان من أهم شروط الخدمة الدينية أن يكون الكاهن قد قام بالختان بقصد النظافة ، فقد كان ذلك تقليدا متصلا بالطهارة الجسدية ، إذ كانوا يضعون النظافة و الطهارة فوق كل القيم الجمالية ، و كانت من طرق الطهارة أيضا الإغتسال بالماء البارد مرتين نهارا و مرتين ليلا ، و غالبا ما يكون التطهير في البحيرة المقدسة الملحقة بالمعبد ، فقد كان الكهنة قبل بدء خدمتهم الصباحية ينزلون الى الماء فيريقونه علي أنفسهم في غزارة ، فإذا لم يكن هناك بركة او بحيرة ، يحل محلها

حوض من الحجر ، و كان يجب أيضا أن يغسل الكاهن فمه بقليل من مذاب النطرون قبل أن يطرق المكان المقدس ، و قد كان سوباك على علم كبير بحياة الكهنة الخاصة ، و قد استعد جيدا لهذا اللقاء بأن قام بإزالة الشعر من جسده ، فقد كانت النظافة و الطهارة الجسدية أهم ما يشترط أن يتوفر في الكاهن ، و لقد كانت تلك العملية اضطرارية ، إذ بلغت قيمة الغرامة على كل من يهملها 1000 درهم ، بل إن بعض الكهنة وصل بهم أمر المبالغة في ذلك بالتخلص من شعر رموشهم و حواجبهم ، كما لم يكن يسمح لهم بتذوق الطيبات من طعام الموائد ، فقد كانوا يحرمون على أنفسهم بعض اجزاء الذبيح ، إذ كان عليهم ان يتحاشوا الرأس أحيانا و الأرجل أحيانا اخرى و الأعضاء الأمامية أحيانا ثالثة ، و قد كانت لحوم الماعز و البجع و الحمام و الأسماك البحريه و الخنزير من المحرمات ، و كذلك الفول الذي كان يحرم على الكهنة تناوله ، و كان يقصد بذلك غجتناب الغازات المعوية التي يسببها أكل الفول ، أما النبيذ فقد كانوا يتناولون منه قدرا قليلا ، أو لا ينالون منه شيئا ، كما ان الملح كان من غير المرغوب ان يظهر على موائهم ، و كذلك البصل و الكرات و الثوم و كل

ما يصدر عنه روائح كريهة ، و قد ذهب سوباك إلى المجلس الكهنوتي مرتديا ثوبا من الكتان الأبيض الناصع البياض و حذاءا من البردي ، و قد كان هناك بعض الأقمشة المحرمة على الكهنة مثل الأقمشة الصوفية ، لأنها مستخلصة من مخلوقات حية ، تصيب لابسيها بالقذارة ، و تحط من قدسية المكان الذي يؤدون فيه واجباتهم ، و قد كانت تلك القاعدة قاطعة لا استثناء فيها و لا هوادة ، و لكن على الرغم من كل تلك القواعد المشددة و الصارمة التي كان يجب على جميع الكهنة الإلتزام بها ، إلا إن كبار الكهنة كان من حقهم ان يخالفوا تلك القواعد المنصوص عليها في دستور العمل بالمعبد ، فكبير الكهنة كان يرتدي رداء من جلد الفهد ، و يحمل قلادة ذات شكل خاص ، و كان معظم كبار الكهنة مصابين بالتخمة ، و يعانون من السمنة المفرطة ، و أمراض تصلب الشرايين ، و السبب هو كثرة تناول الأطعمة الدسمة التي كانت تقد كقرابين للألهة ، بالإضافة للثراء الفاحش الذي تمتعوا به .

اجتاز سوباك إختبارات المجلس الكهنوتي ، و قد بدا أن أعضاء المجلس قد أعجبوا بعلمه الكهنوتي الغزير ، و إلتزامه بتقاليد

المعبد المتبعة في ذلك الوقت ، و قد تم تنصيب سوباك كاهنا قارئا في حضور جميع أعضاء المجلس الكهنوتي ، و تسلم مهام عمله الرسمية في اليوم التالي ، و لقد كان السحر و علوم ما وراء الطبيعة (الباراسيكولوجي) من ضمن العلوم الكهنوتية المقدسة التي يجب أن يتعلمها الكاهن عند دخوله إلى السلك الكهنوتي ، و لقد كانوا يستخدمون السحر في الطقوس و في العلاج و غيره من أمور الحياة ، و كان هناك بعض الرموز و الطلاسم على أشكال طيور و حيوانات في اللغة الهيروغليفية تكتب على بعض الجداريات ، لكن تلك الرموز لم يكن يعرف معناها و لا شفرتها سوى القليل من الكهنة ، و كانت تلك الرموز بمثابة طاقة روحانية خفية جدا ، و كانت تسمى الكتابات أو المتون المقدسة باو رع (روح الإله) ، و لقد كانت تلك الطلاسم يعتقد أنها هي التي تنقذ روح المتوفي من العوالم الأخرى ، و هي التي تحمى المتوفي من الأرواح الشريرة في العالم الآخر ، لذلك كان يتوجب على سوباك أن يتعلم تلك الطلاسم لقراءتها على روح الموتى قبل دفنهم ، و لقد كان هناك تقليد خاص متبع يقوم به الساحر أو الكاهن في ذلك الوقت ، فلقد كان يقوم بوضع تلك

الرموز و الطلاسم في الماء بعد كتابتها على ورق البردي ، حتى إذا ما ذابت تماما في الماء ، يقوم الساحر بشرب ماءها ، حتى تنتقل القوى الخفية لتلك الكتابات الي جسده ، و لقد تعلم سوباك كل تلك التقاليد الكهنوتية ، لكن سوباك كان يمتلك بعض الأسرار الخفية الخاصة به ، و التي كان قد تعلمها من قبل من الرجل العبراني في السجن ، و كانت تلك الأسرار و العلوم لا يعرف بها كثير من الكهنة ، مما أثار بعض الضغائن و الأحقاد عليه في نفوس بعض كبار الكهنة بالمعبد .

كان كهنة مدينة منف يتبعون مدرسة بتاح في السحر ، و قد كان أولئك السحرة متخصصين في إخفاء الأشخاص و الأشياء و إعادتها مرة أخرى أمام الناظرين ، و في يوم من الأيام أمر حاكم إقليم منف بجمع سحرة المدينة أمام قصره ، ليقوموا بمبارة عظيمة في السحر أمام حشد كبير من اهل المدينة ، و قال لهم أنه سوف يهب عطايا بلا حدود لمن يتمكن من إعادة الحياة لأحد السجناء بعد فصل جسده عن رقبته ، كان ذلك تحدي كبير لسحرة المدينة ، الذين اشتهروا بقدراتهم الخارقة في أعمال السحر ، و كان كل كاهن ساحر يرغب في المنافسة و إثبات قدراته

في السحر ليحظى بعطايا الحاكم ، و احضر الجنود السجين فوق المنصة ، ثم أمر الحاكم ببدأ المباراة ، و صاح فيهم هل من متنافس ؟ ، فصعد عدد من كبار الكهنة إلى المنصة ، و قاموا بقراءة الطلاسم و التعاويذ المقدسة ، ثم أمسكوا بالسيف ، و فصلوا رأس السجين عن جسده ، و وضعوا الرأس في جهة و الجسد في جهة أخرى ، ثم أمروا الرأس بأن تعود إلى الجسد ، لكن بعد عدة محاولات متفانية لم ينجح معهم الأمر ، فغضب الحاكم غضبا كثيرا ، و أنكر عليهم قدراتهم الخارقة في السحر ، ثم رفع سوباك يده ، و طلب من الحاكم أن يتقدم للمنافسة ، فصعد سوباك إلى المنصة ، و أغمض عينيه ، و أخذ يقرأ على الرأس بعضا من الأدعية التي تعلمها من قبل ، فأخذت الرأس ترتفع في الهواء ، و تدنو ببطء من الجسد ، حتى إلتحمت تماما بالجسد ، ثم نفخ فيه سوباك نفخة قوية ، فانتفض الجسد ، و استعاد السجين حياته من جديد ، وسط ذهول عظيم من الحاضرين جميعا ، انبهر الجميع بما قام به سوباك ، و قاموا بالتصفيق له بشدة ، و كان الحاكم لا يستطيع تصديق ما رأى ، فتقدم نحو سوباك ، و سأله كيف أمكن له أن يعيد الروح بعد أن انفصلت

الرأس عن الجسد ، فقال له سوباك :" *سيدي الملك .. إنه ما كان لي أن أعيد الروح إلى الجسد .. و إن تلك القدرة أختصها الإله لنفسه .. و ما انا إلا عبد ضعيف أعطاني الإله بعضا من علمه و أسراره الإلهية .. سيدي الملك !! .. إنني لم أغير طبيعة الكائن الحي أمامكم .. و لكنني استطعت أن أقنع أعينكم و حواسكم لترى ذلك .. و إن ذلك مما علمني إياه ربي ... و إن ربي لذو علم عظيم .."* ، امتلآ الحاكم إعجابا بسوباك ، و قد غمره شغف كبير لإكتشاف سر قدرة سوباك العظيمة في السحر ، فعاد ليسأله : "*أخبرني أيها الساحر العظيم .. ما إسمك ؟* " ، فأجابه سوباك قائلا : " *إنني العبد الفقير للإله سوباك ..* " ، فقال له الحاكم :" *و أين تلقيت علومك الكهنوتية العظيمة تلك ؟* " ، فشعر سوباك بالارتباك الشديد ، و لم يكن في استطاعته أن يخبر الحاكم بالحقيقة ، فاضطر لأن يكذب عليه ، فقال له :" *لقد تلقيت علوم السحر على إيدي أحد كبار الرائين من كهنة امون في معبد سيوة .. و لقد عرف عن هؤلاء الكهنة العظماء البراعة في الاستشارة .. و لقد ذهب إليهم الكثير من الملوك و الأمراء لاستشارتهم في كثير من الأمور .. و ما أنا إلا كاهن صغير متواضع بالنسبة لهؤلاء*

الكهنة العظماء ... " ، حاذ كلام سوباك على إعجاب و تقدير الحاكم ، و امر الجنود فأغدق عليه بالعطايا و الهدايا الكثيرة ، و أمر بأن يكون سوباك الكاهن الخاص به ، كما أوصى بأن يكون سوباك هو الكاهن الذي يقرأ على روحه التلاوات بعد وفاته ، و أمر له بمسكن عظيم في المدينة ، فذاع صيت سوباك في المدينة ، و أصبح من أشهر الكهنة بالمدينة ، بل ان الناس من العوام صاروا يتوافدون عليه بكثرة ، ليأخذوا رأيه في الكثير من المسائل الدينية ، مما أثار حفيظة كبار الكهنة في المدينة ، الأمر الذي دعاهم للتخلص منه ، نظرا لسلطته المتزايدة في المعبد .

مكث سوباك و زوجته تاوسرت في مدينة منف أشهرا عديدة ، تجاوزت السته أشهر ، و أصبح سوباك يتمتع بالكثير من النفوذ في المعبد و بلاط الحاكم ، و كانت تاوسرت تخشى على زوجها من ذلك النفوذ المتنامي ، و لقد حدثته في ذات يوم قائلة: *"إنني أخشى عليك يا حبيبي من مكر كبار الكهنة بك و حقدهم المتزايد عليك ... لقد سمعت إحدى زوجات كبار الكهنة بالمدينة تتحدث عنك و عن نفوذك العظيم لدى حاكم المدينة .. و ربما ينصبون لك المكائد حقدا من عند أنفسهم .. "* ، فأجابها سوباك

في ثقة قائلا : *" لا تخافي يا عزيزتي !! .. ما هم بقادرين على إلحاق الضرر بي و لا دفعه عني إلا بمشيئة الرب القوي العليم .. إنني لا اخشى منهم و لا من سلطاتهم المتغلغله في البلاد .. ما أخشى عليه هو أن يمكر بنا أحدهم لإخراجنا من المدينة .. "* ، فأعقبت تاوسرت على كلامه قائلة : *" أفهم من كلامك أنك تخطط للرحيل عن المدينة ؟ "* ، فقال لها سوباك : *" إنكي تعلمين أنه لا رغبة لي في السلطة و النفوذ .. و لا في السيطرة و تحقيق المصالح الشخصية .. و أن كل تلك الثروات التي أصبحت امتلكها لا تعنيني في شئ .. و أن تلك الدنيا الزائلة لا تهمني كثيرا .. إنني أخشى عليكي و على ما تحملين في رحمك .. و لقد علمت أن احد الكهنة قد قام بوشاية حاقدة عني لدى الملك .. و إنكي لتعلمين أن جميع الكهنة في موضع شك عند الملك .. لذلك فإن من مهام الوزير الإشراف على المعابد و الكهنة .. للتحكم في نفوذهم القوي داخل البلاد .. و أشعر أن هنالك خطبا ما يحاك ضدي .. و لقد شاهدت رؤية تخبرني بالحذر و الخروج من المدينة .. فماذا أنتي بقائلة في ذلك ؟ "* ، صمتت تاوسرت لبضعة دقائق ، و قد بدا عليها التفكير العميق ، ثم عادت لتقول : *" الأمر لك*

يا عزيزي .. فإن كنت تشعر بأن هنالك مكيدة عظيمة تحاك ضدك في الخفاء .. فعلينا الإسراع بالخروج من المدينة في الصباح" ، لم يعقب سوباك على قولها ، فيما بدا عليهما الإتفاق على مغادرة المدينة في أسرع وقت ممكن .

4

المشهد الرابع

(الطريق إلى أرض الأجداد)

أخذ سوباك و تاوسرت قرارهما على عجل ، و لم يكن هناك المزيد من الوقت للتفكير في ذلك الأمر ، فلقد كان في بقائهما في مدينة منف خطورة عظيمة على حياتهما ، لما وصل إلى مسامع سوباك من معلومات مؤكدة لتدبير احد كبار الكهنة مكيدة عظيمة للإيقاع به ، و على ذلك فكان من الضروري ان يسرعا في مغادرة المدينة في الصباح دون أدنى تردد .

كان سوباك و تاوسرت مستعدين للرحيل قبل بزوغ الصبح ، و شدا الرحال حاملين معهم القليل من الأمتعة و الطعام ، و كان عليهما أن ينزعا عن أنفسهما لباسهما ، و يستبدلاه بلباس آخر لعامة الشعب ، و ذلك لأن الزوجان صارا معروفين و مشهورين في المدينة ، و لذلك قام سوباك بإرتداء شعر مستعار فوق رأسه ، و ارتدى ثيابا كانت تسمى النقبة و هي كساء من الكتان الأبيض الفخم يلتف حول الخصر و يمتد حتى أعلى الركبة بقليل ، ثم ربط حزاما فوق هذا الكساء الفخم ، و زين صدره بطوق من الكتان المطرز عالى الجودة و الفخامة ، و أما تاوسرت فقد ارتدت قميصا مزركشا من الكتان مصبوغا باللون الأزرق النيلي القبطي المميز ، و تزنيت بالعديد من الحلي و المجوهرات ، حتى أصبحا

على اتم الإستعداد للرحيل ، خرج سوباك و تاوسرت فجرا من البيت ، و سارا قليلا حتى وصلا إلى وسط المدينة ، حيث الأسواق و المتاجر و المحال ، و كان الصباح قد أشرق عليهما ، و أقبل التجار على محالهم ليفتحوها ، و بينما كانت تاوسرت تتفقد مدينة منف الرائعة ، و تلقي عليها نظرة الوادع ، نظرت إلى سوباك ، و قالت له : *" كم يحزنني مغادرة تلك المدينة الرائعة !! .. لقد مضينا فيها أياما جميلة هانئة .. فوالله ما وجدنا فيها غير الحب و السعادة ... ماذا بك يا سوباك ؟ .. ألست حزينا لترك تلك المدينة الرائعة ؟ "* ، فأجابها سوباك قائلا : " لو أنكي اطلعتي على فؤادي لوجدتيه يدمى حزنا على فراق منف .. لكنني أحترق شوقا إلى مدينة الأجداد العظماء .. إلى مدينة الأوائل و الفاتحين .. أشتاق إلى طيبة الحنين .. " ، عقبت تاوسرت قائلة : *" إنني سأشتاق كثيرا لمنف ضعف شوقك و حنينك لطيبة .. و لذلك أرغب في زيارة مقبرة سقارة الهرمية قبل مغادرة المدينة .. " ، فأسرع سوباك قائلا : " لا مانع من ذلك .. و بعدها سنرحل مع إحدى القوافل التجارية البرية المتجهة جنوبا .. "* .

توجه سوباك و تاوسرت غربا إلى الصحراء ، حيث مقبرة سوكار الهرمية الكبيرة (هرم سقارة) ، ذلك الهرم المدرج الذي صممه المهندس المعماري القبطي العبقري إيمحوتب ، وكان ذلك في عهد الملك زوسر العظيم قبل ما يشارف على الألف عام ، كان سوباك في حالة فخر و زهو بأجداده القدماء ، عندما وصلا الى الهرم المدرج العظيم ، و كان الهرم عبارة عن ستة مصاطب متراصة بإحكام فوق بعضها البعض ، و كان أسفل ذلك الهرم الكبير نفق طويل ينحدر إلى موقع دفن الملوك و الأمراء ، و بينما كان سوباك ينظر مختالا بحضارة أجداده العظماء ، إذ توقف فجأة أمام الهرم الشامخ و قال : *" يا له من تصميم عبقري و مذهل .. لقد كان إيمحوتب أول مهندس معماري عظيم عرفته البشرية بعد خلق آدم .."* ، فأعقبت تاوسرت على كلامه قائلة :

" نعم .. لقد كان كذلك حقا !! .. و لقد أشاد نبي الرب يوسف بذكائه و عبقريته الفذة التي لم يخلق مثلها في البلاد .. و لقد استغل نبي الرب يوسف هذا البناء الضخم لإنقاذ أرض القبط من الهلاك في زمن الجفاف و القحط .. لقد أمر يوسف بحفر إحدى عشرة حفرة حول ذلك الهرم لتخزين الغلال استعدادا

لموسم للسبع سنوات العجاف .. و لقد كانت تلك الحفر مصممة ببراعة نادرة .. تكشف عن مدى ذكاء و فطنة يوسف .. فلقد صممت تلك الحفر بطريقة تكفل لها أن تكون مرتبطة مع بعضها البعض بأنفاق .. بحيث عندما يتم سحب الحبوب من إحدى الحفر .. يتم تغذيتها مباشرة من إحدى الأنفاق .. و لقد صار الناس في فترة القحط يتوافدون من كل فج عميق .. من جميع البلدان و المدن .. و كانوا يصطفون في صف واحد طويل أمام ذلك الباب رغبة في شراء الحبوب التي تكفل لهم الحياة في تلك الفترة الصعبة .. ثم يمرون في ممر ضيق .. و كانت هناك في تلك الممرات بين الأعمده مساحة تكفي لشخص واحد .. و كان هؤلاء هم المحاسبين الذين عينهم يوسف .. فكانوا يأخذون الدراهم من الناس و يعطونهم أكياس كبيرة .. ثم يمرون في ممر آخر و ينزلون الدرج .. ليجدوا شخصا آخرا يعبئ لهم الكيس .. حتى إذا ما انتهوا يخرجون من الباب الخلفي .. إن ما فعله يوسف من أجل مصر كان السبب الرئيسي الذي جعل شعب القبط يهيمون حبا له ... حتى أنه بعد وفاته اختلف الناس على تحديد مكان دفنه .. و كادت أن تنشب فتنة عظيمة بين أهل

المدينة .. حتى نصحهم أحد الحكماء المحايدين بأن يتم وضع جثمانه في تابوت ثم يقومون بإلقاء ذلك التابوت في قاع النيل .. و بذلك سوف تحل البركة على ماء النيل التي يشرب منها الجميع .. و بتلك الفكرة الرائعة التي اجتمع حولها الجميع تحول يوسف في عقيدة أهل القبط الى بطل شعبي عظيم .. و لا تزال رفاته موجودة في قاه النيل العظيم حتى يومنا هذا .." .

حان الوقت للرحيل ، و قد تظاهر سوباك بأنه طبيبا عالما مرموقا بالمدينة ، و غير إسمه إلى "خيتي" و إسم زوجته إلى "ميريت" ، و توجها سويا إلى حيث القافلة المتجهة جنوبا إلى مدينة أهنيس (مصر الوسطى) ، و التي كانت عاصمة لأرض القبط في عهد الأسرتين التاسعة و العاشرة لمدة قاربت قرنين من الزمان ، إنضم خيتي و ميريت إلى القافلة ، حتى استعدت القافلة للرحيل ، كانا يمتلكهما شعورا عميقا بالخوف ، و ذلك نظرا للمجهول الغامض الذي ينتظرهما ، لكنهما و بفضل قوة إيمانهما تغلبا على ذلك الشعور السئ ، انطلقت القافلة ، و كانت رحلة طويلة جدا عبر الصحراء الغربية ، مرا خلالها على مدينة كبيرة كانت تسمى ب "إثت تاوي" (اللشت حاليا) ، و التي تعني القابضة

على الأرضين ، لقد كانت مدينة كبيرة شهدت على فترة عظيمة من حكم البلاد .

تم تأسيس تلك المدينة على يد مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، و هو ملك ولد من أم نوبية و يدعى أمنمحات الأول ، و الذي كان يشغل منصب وزير آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة ، فقام بإزاحة ذلك الملك و تنصيب نفسه ملكا على البلاد ، و لقد تكبدت هذه الأسرة -الثانية عشرة- مشاق جسيمة ، لفرض سيطرتها و شرعيتها على المواليد للأسرة السابقة لها ، و استطاعت أن تحقق نجاحا على الرغم من بعض الزمات الخطيرة في ذلك الوقت ، مثل تلك التي أسفرت عن اغتيال مؤسسها الملك إمنمحات الأول ، فالبرغم من أنه ولد في مدينة طيبة ، إلا أنه قرر إختيار مدينة جديدة للبلاد ، و أسماها إثت تاوي ، و التي تعني المدينة القابضة على الأرضبن ، بإعتبارها عاصمة إدارية قريبة من مدينة منف ، حيث يمكن الإنتفاع بإشعاع منف الثقافي في الفنون و العلوم الدينية العريقة ، حيث أعتبر موقعها إلى جهة الجنوب من منف موقعا مميزا ، يمثل نقطة للإتصال بين الشمال و الجنوب ، مما سمح بإحتفاظها بذاتيتها ، و بعد

إغتيال الملك غمنمحات الأول ، خلفه إبنه الملك سنوسرت الثاني ، و الذي في عهده حدث تغير كبير في اجهزة الدولة ، حيث تكونت وظائف جديدة ، و طبقة جديدة ، و ألقاب مستحدثة ، و أعيد كذلك تقسيم المهام و المسئوليات الملقاة على عاتق القوى العاملة ، و إدارة الإنتاج ، و تلاشت تقريبا طبقات الحكام على النمط القديم ، و حل محلهم محافظون على مستوي المدن ، و ليس على مستوى الأقاليم ، و ألحق بهم فئة من المراسلين لمساعدتهم و مراقبتهم في نفس الوقت ، و هم يتبعون الوزير مباشرة ن و قسمت البلاد إلى ثلاث مقاطعات يديرها أيضا بعض المراسلين ، و لقد لاقت الأيدي العاملة عناية و اهتماما فائقا ، و خاصة أنها لم تكن وفيرة العدد ، و أنشئ مكتبا لتوزيع القوى البشرية العاملة ، و آخرا للخدمات الخاصة بالسجون ، و كانا يختصان -آنذاك- بإدارة شئون المساجين ، و الخاضعين للقانون العام ، و المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، و العديد من الآسيويين و المهاجرين و أسرى الحروب ، و عمال النحت و البناء الذين كانوا يسارعون دائما بالفرار من المحاجر التي كانوا يجبرون على العمل بها ، و أما النظام الأمني فكان يسود بواسطة

مجموعات الميليشيا المنظمة ، و التي قسمت إلى فرق مختلفة ، تختص بدعم الامن في البلاد ، و قد ساعدت هذه الإصلاحات على ظهور طبقة متوسطة من قيادات أجهزة الدولة ، الذين يتقاضون مرتبات كبيرة تسمح لهم بإمتلاك المنشآت الجنائزية المنقوشة و المزخرفة ، و التي كانت حكرا على الصفوة من سادة القبل قبل ذلك ، و قد ساعدت هذه الأسرة بوجه عام على توسيع رقعة حضارة كيميت ، عن طريق صياغة سياسة خارجية فعالة ، ترتكز على معرفة البلاد المجاورة معرفة جيدة ، و قد توطدت العلاقات التقليدية مع مدينة جبيل ، للدرحة التي ساعدت على تكوين أسر في تلك البلاد يتبعون لملوك القبط إلى أبعد مدى ، و قد تم تعزيز النشاط التجاري مع بلاد الفينيقيين و الكنعانيين ، و من خلالهما مع شعوب بحر إيجة ، و في نفس الوقت هاجر العديد من الآسيويين إلى أرض القبط ، و لقد استمرت تلك الأسرة ممسكة بزمام السلطة أكثر من مائتي عام ، و لم تفقد السيطرة إلا بعد ان آل الحكم إلى إحدى الملكات في ظروف غامضة ، و كانت تدعي نفرو سوبك ، و هي أخت إمنمحات الرابع ، و بنت إمنمحات الثالث ، و كانت الوريثة الوحيدة لحكم البلاد ،

لن الملك إمنمحات الرابع لم ينجب ذكورا ، فولاها مقاليد الإشراف على حكم البلاد ، ثم صارت ملكة متوجة على البلاد ، و قد أصاب البلاد خلال فترة حكمها ضعف شامل و انحلال و تفكك ، و نتيجة لما حل بالبلاد من فساد الإدارة ، و اضطراب الأمن ، و اشتداد بأس أعداء البلاد من الأسيويين الكنعانين الرعاة في الشمال الشرقي ، و الليبيين في الغرب ، و الكوشيين في الجنوب ، انهارت الأسرة الثانية عشرة في العام 1760 قبل الميلاد ، و خرج ملك أرض القبط على يد أسرة جديدة ، هي الأسرة الثالثة عشرة من أبناء طيبة ، و التي شهدت تآكلا لوحدة البلاد ، و تدهورا في الإستقرار السياسي .

إن الأسرة الثانية عشرة كانت من أزهى العصور ، و كانت مدينة إثت تاوي تحوي إحدى أكبر الجبانات في مقابر الدولة الوسطى ، و التي أمر ببنائها الملك إمنمحات الأول ، كما كان بها العديد من الأهرام المتوسطة الإرتفاع و المعابد الضخمة ، هذا بالإضافة إلى عدة تماثيل تخلد ذكرى ملوك الأسرة الثانية عشرة من أبناء الملك إمنمحات الأول ، و منها تمثال عظيم للملك سنوسرت الثالث الذي حفر قناة سيزوستريس ، و هناك أيضا هرما

متوسط الإرتفاع يحمل إسمه ، و لقد كانت الدولة في تلك الحقبة تتمير بالحضارة العظيمة الرائدة و الفن و الثقافة المزدهرة.

توقفت القافلة للإستراحة في تلك المدينة ، و جاء احد العرافين إليهم ، و هو ينادى على أي شخص يريد التنبأ بالمستقبل ، ثم أقبل ذلك العراف نحو خيتي ، و قال له : *" المجد كل المجد للإله الحامي .. يا بني إنني أرى في عينيك نظرة عظيمة .. و أتنبأ لك بأن يكون لك شأنا عظيما في البلاد .. فهل تسمح لي بقراءة كفك ؟ .. "* ، لم يكن خيتي متحمسا لذلك كثيرا ، لكنه و مع ذلك لم ينهر العراف ، و لبى له طلبه ، تناول العراف يد خيتي ، و أخبره بأن أمورا عظيمة تنتظره في رحلته ، و عليه ان يتصف بالحكمة و الصبر ، كما تنبأ له بجمع شمله مع أهله ، ثم أخبره بأمر كبير بث الخوف في قلب جادي ، فقال له *: " أرى يا بني انك تهرب من حاكم ظالم .. ثم سيكتب له الإله نصرا مؤزرا عليه .. فتعود إلى ديارك و قد حققت النصر .. و يصبح لك شأنا عظيما في البلاد .. إنك تملك قلبا مؤمنا صادقا .. و إن تلك المرأة ستهديك إلى سبيل النجاة .. فكن لها عونا كما أنها ستكون عونا لك على مصاعب الحياة .. إمض في طريقك .. ففي نهاية الطريق فرج*

عظيم" ، ثم مضى العراف بعيدا ، دون ان يحصل على أية اموال ، توجس خيتي رعبا من كلام العراف ، و خشي أن يسمع به أحد المسافرين معه بالقافلة ، فينكشف أمره ، ثم نادى قائد القافلة على المسافرين ، فتجمعوا من جديد لإستكمال الرحلة.

وصل خيتي و ميريت إلى مدينة تسمى "أهنيس" بعد يومين من السفر الشاق ، و فيها قررا قضاء ليلتهما قبل استكمال الرحلة إلى الجنوب ، و لقد أتاح الموقع الجغرافي و الإستراتيجي لتلك المدينة أن تلعب دورا مهما في تاريخ أرض القبط ، و أن تصبح عاصمة البلاد خلال الأسرتين التاسعة و العاشرة ، و ان تحتل مركزا مرموقا في الآداب و الديانه و الأساطير المصرية القديمة ، و لقد وجدا فيها الأهالي يتداولون فيما بينهم قصة القروي الفصيح ، و تروي القصة أن قرويا يسمى "خون إنبو" خرج من بلدة تسمى "غيط الملح" (و هي بلدة من نواحي الفيوم) ، و ترك زوجته و أولادها ، و ترك لهم جانبا مما كان يدخره من الغلال ، و حمل حميره ببضاعة متواضعة من نطرون ، و أعشاب و جلود و احجار كريمة ، ابتغاء أن يتجر بها في مدينة أهنيس ، عاصمة الملك في عهده ، و مر في طريقه على قرية

تسمى "برفيفي" ، كان يتولى أمرها موظف فاسد يدعى "تحوتي نخت" أو "نمتي نخت" ، و قد طمع تحوتي نخت في تجارة القروي و حميره ، و أراد أن يكون له نصيب منها ، فأعترضه على طريق زراعي ضيق كان لابد ان يمر عليه ، و اوعز الى خادمه أن يبسط على الطريق قماشا يغطيه بالعرض ، و لما تقدم القروي على الطريق ، نهاه نمتي نخت ان يمر على قماشه المبسوط ، فاعتذر القروي ، و ابتعد عن القماش ، و سار قرب الزراعة ، فنهره مرة اخرى ، و فجأه قضم احد حمير القروي قضمة من سنابل الغلال ، فاعتبرها نمتي نخت فرصته ، و أصر على ان يستولي على الحمار جزاء جرمه ، فاحتج القروي ، و هدد بإبلاغ الأمر إلى صاحب الأرض ، فغضب نمتي نخت غضبا شديدا ، و اخذته العزة بالإثم ، و استولى على بضاعة الرجل و حميره كلها ، فبكى القروي ، و اشتد عويله ، فنهره نمتي نخت في صفاقة غريبة قائلا له : " لا ترفع صتك يا فلاح ! انت قروي من بلد السكون .. " ، و كان رب السكون هذا هو المعبود "أوزير" ، و يبدو أنه كان له ضريح قريب من "برفيفي" يهابه الناس و يحترمونه ، و لكن القروي لم يهتم به ، و قال بلهجته الريفية اللطيفة : " تضربني و تنهب متاعي و

توقف الشكوى على لساني ؟ .. يا رب السكون أعطني اذا حاجتي حتى أبطل الصراخ الذي يغضبك " ، و استمر القروي طيلة عشرة أيام يشكو حينا و يسترحم حينا ، لكن بغير طائل ، فاتخذ سبيله إلى العاصمة أهنيس ليشتكيه الى المسئول الكبير "رنسي" ، فقابل القروي المسئول ، و وجه إليه استعطافا رقيقا لينا ، و حاول أن يستشير في أمره نخبته ، و كان من قول القروي له : " اذا كنت حقا أبا لليتيم .. و زوجا للأرمل .. و أخا للمطلقة .. و رداءا لمن لا ام له .. فها أنا ذا أقول و انت تسمع .. أقم العدل يمدحك المادحون .. و أزل معاناتي فقد ثقلت .. و احمني فقد ضعت " ، ففعل استعطاف القروي و مديحه فعله لدى المسئول ، فاعجب به ، و أسرع الى الملك و هو يقول : " مولاي وجدت واحدا من اولئك القرويين جيد الكلم يتحدث الصواب .. نهبت امتعته و أتاني يتظلم إلى .. " ، و قص القروي على الملك قصته ، و تصور القروي "خون إنبو" أن الحاكم يشبه دفة السفينة التي تحدد مسيرتها ، و يشبه السند الذي يعتمد الناس عليه ، و هو الميزان الذي بأمره يحكم بالعدل في البلاد ، و قال للملك و هو يشكوه الى نفسه : " أيها الدفة لا تنحرف .. و يا أيها

السند لا تميل .. و يا أيها الميزان لا تتذبذب " ، و أطال القروي في شكايته ، و لما فرغ منها ، استدعاه الملك ، فتوقع القروي ان تكون الدعوة لمقتله ، و أخذ يروض نفسه على ملاقاة الموت في شجاعة ، لكن الملك طمانه ، و أراه شكواه منسوخة على برديات جديدة ، و قد تم عرضها على الملك شخصيا ، و أمر الملك بأن يتكفل برزق زوجة القروي و عياله طيلة المدة التي سوف يبقى فيها في أهنيس .

انتقل خيتي و ميريت بعد ذلك إلى مدينة تدعى "قوص" ، و كان فيها معبدا كبيرا ضخما للإله حورس (دير العذراء المحرق حاليا) ، و قد كان هناك دخانا كثيفا ينبعث من ذلك المعبد ، حيث كان الكهنة يقومون بحرق الكثير من الغاب و الحشائش الضارة امام ذلك المعبد ، و الذي كان بمثابة مدرسة لتعليم السحر ، و كان كهنة ذلك المعبد متخصصين في علاج الأمراض بالسحر ، و كان من الأقاويل التي تحكى عن ذلك المعبد و مكانته العظيمة ، أنه كان هناك أميرة فينيقية من مدينة بيتان (سوريا حاليا) تدعى "بنتريش" ، و قد كانت تعاني من مرض البرص ، و حاول معها جميع الأطباء في بلادها آنذاك لكنهم فشلوا جميعا في علاجها ،

فنصحها أحد الحكماء بزيارة ذلك المعبد في أرض القبط ، و لما ذهبت الى هذا المعبد ، تمكن كهنة المعبد من علاجها ، فشفيت شفاءا تاما من ذلك المرض ، بفضل أولئك الكهنة الذين عرفوا بقدرات خارقة في علاج الأمراض .

لم يمكث خيتي و زوجته كثيرا في مدينة قوص ، و ما أن استقر بهما المطاف في تلك المدينة ، حتى استكملا رحلتهما جنوبا ، حتى وصلا إلى مدينة تدعى "أبيدوس" ، واقعة على الضفة الغربية لنهر النيل ، و كانت تلك المدينة هي عاصمة البلاد في عصر ما قبل الأسرات منذ مئات السنين ، و كان تمتلئ بالعديد من معابد الإله أزوريس "إله الخير و النماء و حارس الحياة الآخرة" ، إذ كانت مركزا لعبادة الإله أوزوريس ، و قبلة للحج على مر العصور ، و بذلك و منذ فجر التاريخ اكتسبت تلك المدينة مكانة دينية مقدسة ، و منها خرج أول ظهور لتصميم المقابر ذات المصاطب في عصر الأسرة الأولى ، و فيها أقد جبانة جرى بناؤها في تاريخ كيميت ، كما كانت تعج بالآثار المختلفة التي تمتد من عصور ما قبل التاريخ ، و كان معبد المدينة الكبير يتكون من سبعة مقصورات ، و صالتين للأعمدة تشتمل على

إثنى عشر عمودا من الجرانيت ، بالإضافة الى الصالة المامية التي كانت ذات نقوش ملونة غائرة و بارزة ، و كان المعبد يتميز بدقة التصوير و روعة الإبداع ، كانت مدينة جميلة للغاية ، و قد انبهر خيتي و ميريت بجمالها الذي فاق كل الحدود ، و بتاريخها العظيم الضارب بجذوره في عمق التاريخ ، لكن الوصول إلى تلك المدينة لم يكن يسيرا ، حيث كانت تلك المدينة غير تابعة لحكم الهكسوس ، و قد تمكن ملوك طيبة من طرد الهكسوس ، و إبعادهم خارجها ، لذلك فقد تعرضت قافلتهما لتفتيش دقيق و غير مسبوق ، و أنزل جنود الهكسوس كل أمتعة الركاب ، و قاموا بتفتيشها معنفين الركاب ، و تم استجوابهم عند بوابة المدينة ، حتى تأكدوا من هويتهم جميعا ، ثم سمحوا لهم بإستكمال الرحلة إلى الجنوب .

ثم كانت وجهتهما الأخيرة قبل الوصول إلى مدينة طيبة أرض الأجداد ، حيث وصلا إلى مدينة تسمي "دندرة" ، و التي تبعد ستين كيلومترا شمال مدينة طيبة ، و التي يعود تاريخها إلى عصر ما قبل الأسرات ، و كان معبودها الرئيسي هو الإلهة حتحور ، و بها معبدا كبيرا و ضخما يسمى معبد حتحور ، و كان يوجد

غرب ذلك المعبد بحيرة مقدسة ، ينمو فيها النخيل ، بالإضافة الى العديد من الآبار المحفورة في الأرض ، و من ضمنها مقياس النيل ، كما كان هناك بيتا للولادة يقع الى الشمال من معبد حتحور ، هذا بالإضافة الى العديد من المعابد الصغيره حول ذلك المعبد الكبير ، و قد كانت تغطي الجدران و الأعمدة تماثيل محفورة بالغة الدقة و الجمال ، و التي تعبر عن مجد القدماء.

شارفت الرحلة على الإنتهاء ، حينما اقتربت القافلة التي تحمل خيتي و ميريت من مدينة طيبة الخالدة ، و بذلك يطوي خيتي و زوجته صفحة طويلة من شقاء الترحال ، ليستقرا في أرض السلام و المحبة ، تلك الأرض التي تعيش فيها أسرة خيتي و أقاربه ، و بعد ان وصل خيتي و زوجه إلى مدينة طيبة ، كان عليه أولا ان يسعى جاهدا في البحث عن منزل أسرته ، لكن لم يكن ذلك الأمر باليسير ، فلقد مضى زمنا طويلا منذ أن جاء أهله إلى تلك المدينة ، و حان الآوان ليلتئم شمل الأحبة في دار السلام .

5

المشهد الخامس

(مدينة السلام)

كانت مدينة طيبة تنقسم إلى قسمين رئيسيين ، هما مدينة الأحياء و دار الحياة ، و التي تقع إلى الشرق من نهر النيل ، حيث

تبدأ الحياة بشروق الشمس ، و فيها يسكنون الناس و يعيشون و يذهبون للتعبد في المعابد المجاورة لهم ، القسم الثاني هو دار الممات أو مدينة الأموات ، و التي تقع على الشاطئ الغربي من النيل ، حيث غروب الشمس و رحيلها عن الحياة ، لذلك بنيت فيها المدافن و المقابر و الأضرحة ، إنها طيبة السلام مدينة النور و هي كذلك مدينة المائة باب و مدينة الصولجان ، كانت المدينة تحتوي على الكثير من القصور الفخمة الكبيرة ، و يرجع تأسيسها إلى عهد الأسرة الرابعة في الزمنة البعيدة ، و يرجع الفضل لتلك المدينة في توحيد العبادة على أرض كيميت ، و ذلك بعد دمج عبادة الإله آمون مع عبادة الإله رع ، فأصبح آمون رع هو رب البلاد و حاميها الأوحد .

و بعد سقوط الأسرة الثانية عشرة في العام 1760 قبل الميلاد ، تولت الأسرة الثالثة عشرة مقاليد الحكم ، و خرجت تلك الأسرة من رحم مدينة طيبة العريقة ، لكن البلاد كان أصابها الوهن الشديد و الضعف الشامل ، و تمزقت أوصال البلاد تمزقا عنيفا ، فكانت هناك عدة بيوت قوية تحكم في انحاء البلاد في وقت واحد ، في وسط البلاد و غرب الدلتا و شرقها ، و لكن أهم هذه

البيوت هو البيت المالك للأسرة الثالثة عشرة التي كانت تحكم في طيبة ، و لذلك فقد استغل بعض حكام البراري الاجانب اللآسيويين و زعماء القبائل الكنعانية البدوية تلك الظروف ، و الذين هاجروا من الشرق إلى أرض القبط في مجموعات كبيرة بحثا عن فرص أفضل للعيش ، و تسللوا عبر سيناء ، و استقروا في أرض جاسان فترة من الوقت ، حتى صارت لهم قوة عظيمة ، و قد تمكنوا من تطوير قدراتهم القتالية ، فشكلوا جحافل كبيرة بأسلحة جديدة للحرب ، لم يكن يعرفها أهل النيل في ذلك الوقت ، و كان منها العربات الحربية و الخيول و الدروع و الأقواس الكبيرة ، و لما اشتد بأسهم في البلاد اعلنوا سيطرتهم على الجزء الشمالي الشرقي ، و اما الجزء الغربي من الدلتا فقد سيطرت عليه الأسرة الرابعة عشرة على يد أحد الملوك ، ثم زحف بعد ذلك الملوك الكنعانيون الساميون الرعاة على الدلتا ، و بدأ استيلائهم على الحكم في شمال البلاد تدريجيا و على مراحل ، و استمر الزحف قرابة الخمسين عاما ، حتى انتهى في العام 1675 قبل الميلاد بإسقاط الأسرة الرابعة عشرة في غرب الدلتا ، و الإستيلاء على مدينة منف في العام 1660 قبل الميلاد ، حتى وصلوا إلى

مشارف إقليم طيبة ، و الذي كان لا يزال متماسكا ، و كان يحكمه في ذلك الوقت الملك توتي ميوس ، لكن سلطة خلفائه من بعده انحصرت في شكل محلي على مدينة طيبة ، و قد شكل الملوك الساميون الأسرة الخامسة عشرة و على رأسها الملك ساليتس ، و أخذ هؤلاء الملوك يتشبهون بملك كيميت في ألقابهم و ملابسهم و هيئات تماثيلهم ، و شيدوا عاصمتهم الجديدة أواريس على الفرع التانيسي للنيل ، على أطلال المدينة القديمة التي بنيت في عهد الدولة الوسطى ، لكنهم أعادوا إليها الحياة ، لتصبح الميناء النهري المؤدي إلى كنعان و الجبيل ، و حصنوها تحصينا قويا لتكون عاصمة لإمبراطوريتهم الناشئة .

في عام 1990 قبل الميلاد حكم طيبة أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة ، و هو الملك سقنن رع الثاني ، و كانت طيبة محاصرة من الهكسوس شمالا و من ملوك النوبة الكوشيين جنوبا ، لكن طيبة في عهد سقنن رع الثاني بلغت من القوة و المكانة السياسية شأنا عظيما ، جعل الصدام مع الملوك الساميين أمرا لا مفر منه ، و كان ملك الهكسوس أبو فيس قد اجتمع مع قواده و مستشاريه ، و ناقش معهم كيفية إيجاد طريقة للتصعيد مع

سقنن رع ، و جره إلى حرب مبكرة ، فأخبره أحد المستشارين بوجود بحيرة جاموس نهري في الجنوب ، تحدث أصواتا مزعجة أثناء الليل ، تصل إلى آذان سكان الشمال فتؤرقهم ، و تمنع عنهم النوم ، فأشار على الملك بأن يرسل رسولا إلى سقنن رع ينقل له شكوى أهل الشمال ، و طلب الملك بأن يقتل أفراس النهر ، فاستحسن أبو فيس الإقتراح ، و أرسل رسوله إلى طيبة ، و وصل رسول ملك الهكسوس إلى طيبة ، و التقاه سقنن رع ، و عرف من فحوى الرسالة أن أبو فيس يضعه في اختبار صعب ، فإما أن يستجيب لطلبه بقتل أفراس النهر ، و في ذلك شبه إذعان و خضوع و استسلام للملك المحتل ، و إما أن يرفض فتشتعل الحرب ، صمت سقنن رع طويلا أمام الرسول ، و لم يعطه اجابة واضحة ، و أمر بأن يقدم له الطعام و جميع سبل الراحة ، ثم طلب منه العودة الى سيده ، و بعد رحيل رسول أبو فيس ، اجتمع سقنن رع بقواد جيشه ، و عرض عليهم الأمر ، فأصابهم الوجوم ، و صمتوا لمدة طويلة ، حتى قرروا أن يعلنوا الثورة و الحرب على ملك الهكسوس ، فبدأت حرب استنزاف بين أهل طيبة و الهكسوس ، و أعلن سقنن رع بداية ثورة التحرير ، و لقد

كان سقنن رع رجلا شجاعا رفض الخضوع لبجاحة أبو فيس ، و بدأ في الإعداد لحرب الإستنزاف ، و قد حقق سقنن رع في هذا الصراع بعض النجاح ، إلا انه سقط صريعا عام 1575 قبل الميلاد ، في معركة خاضها ضد الهكسوس ، و التي أصيب خلالها بجروح و إصابات قاتلة في جمجمته ، ثم خلفه في عرش طيبة إبنه الأكبر كاموس ، و هو آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة ، و امتد حكمه عشر سنوات فقط ، تابع فيها الحرب التي شرعها أبوه ، فشن هجوما مفاجئا بقوات من الجيش و أسطول نيلي كبير على معاقل الهكسوس المتاخمة لحدود طيبة ، و بسط نفوذه على إقليم أبيدوس الذي تمكن من السيطرة عليه لاحقا ، و تمكن من إزاحة الهكسوس حتى مدينة قوص ، و لقد تمكن ذلك الملك عظيم من الإستيلاء على ثلاثمائة مركب مصنوعة من خشب الأرز مشحونة بالأسلحة و الذهب و الفضة و المؤن ، و قبض رجاله في تلك الأثناء على رسول بعث به ملك الهكسوس إلى امير النوبة في كوش (السودان) ، يحثه فيها على مهاجمة أراضي طيبة من الجنوب ، فلم يتردد كاموس في إرسال قوة إلى أرض كوش محبطا خطط أعدائه ، ثم ارتد عائدا إلى طيبة بإنتهاء موسم

الحملات ، بعد ان قضى على تمرد قام به أحد أتباعه ، و بعد مقتل الملك كاموس في ظروف غامضة ، انتقل الحكم إلى أحمس الأول في مطلع العام 1575 قبل الميلاد ، الذي لم يكن يبلغ من العمر سوى عشرة أعوام ، لكن والدته العظيمة الملكة "تيتي شيري" قامت بحثه على التدرب على القتال مع المحاربين القدامى ، كانت إمرأة عظيمة حقا ، و هي أرملة شهيد و أم شهيد ، لكنها لم تيأس أبدا في مواصلة الكفاح الذي بدأه زوجها البطل ، فعملت على زرع روح الفداء و المقاومة في في قلب إبنها الملك الصغير أحمس ، حتى نضج أحمس عند عمر العشرين ، و إشتد عوده ، و حان وقت الحصاد و الثأر لدماء الشهداء ، و صار قادرا على مجابهة الهكسوس ، و تحرير الوطن ، بعد أقل من عشر سنوات ، و أقسم على الثأر لأبيه و أخيه ، و مواصلة حروب الاستقلال ، حتى يطرد الهكسوس تماما خارج أرض القبط .

في عام 1573 قبل الميلاد كانت مدينة طيبة تحت حكم الملك أحمس ، عندما وصل إليها خيتي و ميريت ، و سعى خيتي جاهدا في البحث عن دار أهله بالمدينة ، فأخذ يجوب شوارع المدينة و

أزقتها و ضواحيها ، أملا في الوصول إلى دار أهله ، حتى كان في يوم من الأيام أن طرق احد الأشخاص باب الدار الذي نزل فيه خيتي و زوجته ، و أخبره ذلك الرجل بأن الملك أحمس وافق على مقابلته في القصر الملكي ، و في الصباح ذهب خيتي و ميريت إلى القصر الملكي ، و أدخلهما الحراس إلى غرفة الملك ، فأنحنيا أمام أحمس ، و ألقيا عليه التحية ، قربهما أحمس منه ، و سألهما ما خطبهما ، فقص عليه خيتي حكاية خروجه و زوجته العبرانية من أرض جاسان ، و المصير الذي واجههما تحت حكم الطاغية ملك الهكسوس ، كما روى له كل تفاصيل الرحلة من أرض جاسان حتى وصوله إلى مدينة طيبة ، و كان الملك أحمس العظيم يستمع إليه بحكمة و إنصات ، و لما إنتهى خيتي من روايته ، أثنى أحمس على بطولة و شجاعة خيتي العظيمة التي لا مثيل لها ، و رفعه مكانا عليا ، حيث أمر بتعيينه قائدا لفرقة العجلات الحربية ، و طلب منه المساعده في تحرير البلاد من الهكسوس ، كما أمر الملك بالبحث عن أسرة خيتي في المدينة ، و وعده بتوفير مسكن ملائم له و لزوجته في المدينة ، كما وعده بالعثور على أهله في أقرب وقت .

كان خيتي لا يستطيع تصديق عينيه ، عندما رأى والديه أمام لأول مرة منذ سنين طويلة ، لكن على الرغم من ذلك فإن امه العجوز قد تمكنت من التعرف عليه ، كان لقاءا حميميا للغاية ، احتضنت فيه الأم ولدها ، و الدموع تنهمر كالمطر من أعينها ، و خرت ساجده للإله الذي جمعها بولدها ، أما والد خيتي فكان لا يستطيع التحكم في عواطفه التي فاضت عندما ضمته أمه إلى صدرها ، فراح يبكي بشدة ، بينما أخذ خيتي بإحتضانه في موقف مؤثر ملأته مشاعر الحنين و الشوق ، إلتئم شمل الأسرة مجددا ، بعد أن اضطر أهل خيتي لتركه مع المربية الأمينة نانيس ، خوفا عليه من بطش الهكسوس بعد سقوط منف ، و هربوا مع بعض الأمراء و النبلاء في المدينة آنذاك إلى مدينة طيبة ، خشية تعرضهم للقتل على يد الهكسوس ، لكن إرادة الإله كانت أقوى من إرادة المحتل الغاصب ، و ها هو ذا خيتي يلتقي بأمه و أبيه من جديد ، و يعيش بين احبائه و أقربائه ، و هو ما كان يحلم به خيتي منذ زمن بعيد .

و في يوم من الإيام ، قام بعض من رجال أحمس بإلتقاط رسالة مبعوثة من ملك الهكسوس إلى ملوك النوبة الكوشيين

يحثونهم بالزحف على طيبة ، مما أدى إلى قيام أحمس بالهجوم على الهكسوس و هزمهم في عدة معارك ، و قام بشن عدة هجمات خارجية عليهم في أراضيهم الأصلية ، و لم تقتصر جهود أحمس الحربية على مقاتلة الهكسوس ، فقد تحول بعدها إلى جنوب مصر فقاد حملات كبيرة متوالية ، استهدف فيها بلاد النوبة لتأديب ملك الكوشيين ، الذي تآمر مع الهكسوس عليه لإسقاط طيبة ، حتى صارت طيبة في عهد أحمس ثكنة عسكرية كبيرة ، تؤرق مضاجع الهكسوس ، و شوكة مؤلمة تقف في حلقهم ، و في لقد شارك خيتي في غحدى المعارك مع الكوشيين ، بعد أن عينه احمس قائدا لقوات سلاح العربات الحربية ، و تعرض خيتي لإصابة بالغة في الصدر ، و تم نقله على الفور إلى طيبة ، و أجرى الأطباء المهرة له جراحه عاجلة لإنقاذ حياته ، لكن الإله كتب له عمرا جديدا ، بأن أنقذه من الموت المحتم نتيجة تلك الإصابة الغائرة ، و كتبت له النجاة .

لم تدم فرحة خيتي بعودته إلى حضن امه كثيرا ، فما أن إلتقى بها حتى وافتها المنية ، و أمر الملك أحمس بدفنها في البر الغربي من مدينة طيبة ، في مقابر الملوك و الأمراء العظام ، و قد كان

يوما مشهودا ، حيث قام بتشييع جثمانها المئات من أهل طيبة حتى مثواها الأخير ، و بعدها تفرغ خيتي للخدمة في الجيش ، و كانت ميريت تساعد أهل بيته ، فقامت على رعاية أبيه العجوز الذي صار طاعنا في السن ، و كان والد خيتي قد فقد ساقه في إحدى المعارك التي شارك فيها مع الجيش ضد الكوشيين ، و قد تم تعويضه بطرف صناعي ، لكنه كان لا يقدر على الحركة ، و لزم فراشه مدة طويلة ، و كانت ميريت تعمل على خدمته و رعايته في الأوقات التي يتغيب فيها خيتي عن البيت ، فقد كان خيتي يقضي معظم وقته على جبهات الحرب ، لمراقبة الحدود و صد هجمات الهكسوس المتتالية على طيبة ، و عندما كان خيتي يعود من جبهات القتال ، كان يحرص على الذهاب إلى المعبد الكبير في البر الشرقي لطيبة (معبد الكرنك) للصلاة فيه ، و طلب المغفرة و العفو لروح أمه ، و كان يحب أن ينزل إلى مغطس المعبد المقدس ، حيث كان يظن أن تلك البحيرة الإصطناعية مقدسة و مباركة ، تمنح البركة لكل جسد ينزل بها ، و تغسل الذنوب و المعاصي ، كما تغسل الهموم ، و تذهب الغم و الحزن عن الروح ، ثم يمضي أياما قليلة مع زوجته و

والده ، و بعدها يعود إلى جبهة القتال لمتابعة العمل ، و لقد صار الجيش الذي طره احمس قويا و مهيبا ، و حان الوقت لتحرير الوطن من قبضة الهكسوس .

أتخذ أحمس قراره السياسي بالإغارة على جيوش المحتلين ، عندما جاءه رسول متعاون من الشمال يخبره بأن فرعون أواريس يواجه تمردا عنيفا من قبل العبرانين -آل إسرائيل- ، و لقد تزعم ذلك التمرد رجل يقال له موسيه ، و دعا زعيم العبرانين فرعون إلى عبادة إلهه و إله آباءه العبرانين ، و هدده بعقاب شديد من الرب إن لم يتوقف عن ظلمه و طغيانه في البلاد ، و لقد أمر فرعون أواريس فجمع جنوده و كهنة المعابد و سحرة المدينة ، لمواجهة موسيه و أخ له يدعى هارون ، ثم كانت المفاجأة بأن آمن السحرة لموسيه ، و كفروا بإله أبو فيس ، كما آمنت زوجة الملك برب موسى و هارون ، و لذلك امر الملك بصلبها و تعذيبها عذابا أليما ، و طلب موسى من الملك الإذن بإطلاق قومه من أرض جاسان ، ليعبدوا ربهم في البرية ،، لكن الملك رفض الإذعان لطلبه ، و اشتد قلب الملك ، و أمر بالتنكيل بشعب إسرائيل ، كما أخبر الرسول بأن أرض جاسان قد ضربها

إله موسى عدة ضربات متتالية موجعة ، و لقد بدا إله المدينة ست عاجزا أمام إله موسى و هارون ، و لم يكن بمقدور الملك التصدي لإله موسى ، فخرج موسى للقاء الملك في الصباح ، و قال له إن الرب إله العبرانيين أرسله إليه مجددا ليطلب منه إخراج شعبه من المدينة ، فرفض فرعون مجددا ، فتتابعت الضربات الموجعة ، و ضرب موسى الماء بعصاه ، فتحول النهر دما ، و مات السمك الذي في النهر ، و نتن النهر و صار عفنا ، و لم يقدر احد أن يشرب منه ، و كان الدم في كل مكان من أرض جاسان ، و اشتد الظمأ بالناس ، لكن الملك أبى ان يسمع له مجددا ، فأصاب القحط المدينة ، و نقصت الثمار ، و مرضت الدواب ، و لقد هاجم الجراد المدينة ، و الذي نزع الفرحة قبل الحصاد بإتلافه الزرع من بين أيديهم ، و ذهب بأحلامهم بجني الخير الوفير منه ، كما أصاب القراد أراضيهم و زروعهم ، ففسدت المحاصيل ، و قل الإنتاج ، و نزل عليهم السيل المنهمر ، و امتلأت مياة الأنهار بالضفادع بعد إنحسار مياة السيول ، فتكاثرت و تضاعفت ، فصارت وبالا عليهم ، تزاحمهم في مياة شربهم ، و في اماكن عيشهم ، و عكرت بنقيقها صفو لياليهم ،

ثم تعكرت مياة النهار ، و اصطبغت بلون الدم الأحمر ، فهرول أبو فيس إلى موسيه ، و طلب منه أن يسأل ربه فيرفع عنهم البلاء الذي حاق بهم ، فقال له موسيه أنه لن يرفع عنه البلاء حتى يأزن لشعب إسرائيل بالخروج من أرض جوش ، و ختم الرسول كلامه بأن الملك يشاور صفوته و مختصيه في هذا الشان ، و ربما تشهد الأيام المقبلة تحولا كبيرا.

انتشر خبر رسول أرض جوش في مدينة طيبة انتشارا كبيرا ، و لما علمت سارة بهذا الخبر ، أسرعت إلى حابيس لتطلب منه العودة سريعا إلى أرض جوش ، بعد عودة موسى إلى أواريس ، و أخبرته بأن ذلك الأمر يعني أن الرب قد أمر قوم إسرائيل بالخروج العظيم ، و يجب عليها اللحاق بأهلها و الخروج معهم ، لكن حابيس رفض طلبها رفضا تاما قاطعا ، و أصر على البقاء في المدينة حتى إستكمال حرب التحرير ، و أخبرها بأن النصر على الهكسوس سيكفل لهم العودة إلى أرض جوش منتصرين مرفوعي الرؤوس ، و حينها سيتخلص آل إسرائيل من ظلم ذلك الملك المغتصب ، و سيرفع عنهم البلاء العظيم ، و لا حاجة لهم للخروج من أرض جوش ، لكن سارة أكدت له أن قرار الخروج

ليس بيد أحد ، و إنما هو قرار الرب لهم بأن يرحلوا عن أرض جوش ، و يعودوا إلى الأرض المقدسة في كنعان ، لم يلق خطاب سارة استحسان حابيس ، و عاندها كثيرا ن و أصر على موقفه برفض العودة إلى أرض جوش قبل هزيمة الهكسوس ، و وعدها بأن ذلك الأمر بات قريبا جدا ، و أنه سوف يعيدها إلى أهلها ، و سيقضى بقية عمره على أرض جوش ، و مع ذلك فإن سارة باتت أكثر عزما و اصرارا على العودة إلى أرض جوش ، و توسلت إليه لتخرج معه في معركته القادمة ضد الهكسوس في مدينة أبيدوس ، مؤكدة له على أن ذلك استجابة لأمر الرب لها بالعودة ، و ما ذلك إلا تفسير الرؤيا التي رأتها في منامها ، حيث رأت أبيها يمد إليها يده من مكان بعيد ، مناديا عليها بأن تأتي معه .

6

المشهد السادس و الأخير

(العبور)

خرج حابيس في جيش كبير إلى مدينة أبيدوس ، لملاقاة الأعداء ، و إزاحتهم بعيدا عن حدودهم الشمالية ، و لقد خرجت معه سارة لتقاتل جنبا إلى جنب مع زوجها ، فكانت تساعد المصابين بالتمريض و ضمادة جراحهم ، و هب أهل طيبة الشجعان بقيادة

ملكهم أحمس العظيم البار بأمه ، لطرد الهكسوس عن أوطانهم ، و كان حابيس و سارة من أبطال تلك المعركة المحتدمة ، التي ثارت على الظلم و الطغيان ، و لقد فاض النيل و ارتفع ثأرا للشهداء ، و صارت صيحات الجنود المدوية في أركان المعركة تقذف الرعب في قلوب الأعداء ، فتقدم جيش أحمس القوي كأنه جذوة من نار ، و كانت طلائع الجيش في مقدمة الصفوف ، للكشف عن الآسيويين الساميين الرعاة ، و تدمير مواقعهم ، ثم قضي الجيش الليل على السفينه ، حتى تنفس الصبح ، فأنقضوا على الأعداء كالصقر فدحرهم ، و دمر أسوارهم ، و قتل قومهم و جنودهم ، و أسر منهم الكثير ، و كان نصرا مؤزرا .

و بعد انتهاء المعركة ، أخذ حابيس يبحث بين الجنود عن سارة ، فلم يجدها ، حتى أخبره احد الجنود ، أن بعض الجنود الفارين من المعركة قام بأسر عدد من قواتهم ، و من ضمنهم سارة ، فأسرع حابيس بقوة و معه عدد من الجنود خلف جنود الهكسوس المهزومين الهاربين ، و صاح حابيس في جنده صيحة قوية ، و أمرهم باللحاق بهم ، و إستعادة الأسرى ، و ظل حابيس يطاردهم بجنوده حتى وصل إلى مشارف أبيدوس ، و عندها لم

يكن بمقدوره إستكمال المطاردة بعدد قليل من الجنود ، حيث جيوش الهكسوس ستكون بإنتظاره و ستفتك بهم ، و لقد علم حابيس أن أسرى الهكسوس من الجنوبيين ، يتم شحنهم مباشرة إلى أواريس عاصمة الهكسوس ، فقرر حابيس التخفي ، و العودة إلى أواريس في سفينة نهرية كبيرة من بلدة تقع خلف أبيدوس ، و تتبع لسيادة الهكسوس ، و ركب حابيس في السفينة ، بعد ان تنكر في رداء رجل من عامة الناس ، و مضى أياما عديدة على متن السفينة ، قبل ان يتمكن من الوصول إلى أرض جوش.

وصل حابيس أخيرا إلى أرض جوش ، و هناك وجد أن المدينة قد تغيرت تغيرا جذريا ، و طرأ عليها عدة أمور أبدلت وجهها الجميل بآخر قبيح ، كانت المدينة في حالة فوضى عارمة ، و كانت شوارعها مليئة بالبرك الصغيرة و القازورات ، و أما السكان فكانوا على درجه كبيرة من الوهن و المرض ، انتشرت الأمراض في المدينة ، نتيجة لإنتشار البعوض بسبب البرك و المستنقعات ، و كان السكان يئنون في كل مكان من فتك الذباب و البعوض و القراد و القمل و الجراد بهم ، كانت المدينة في حالة يرثى لها ، و كان يجب على حابيس أن يحاول إنقاذ زوجته من الأسر ، و من

المؤكد أنها سيتم احتجازها في سجن المدينة الكبير أسفل المعبد ، و في تلك الأثناء سمع حابيس صراخا مدويا في كل أرجاء المدينة ، و خرج الناس إلى الشوارع يصرخون و ينتحبون ، فمنهم من كان يصرخ لموت بكر أبنائه ، و منهم من كان يصرخ لموت بكر ماشيته ، و كان صراخا عظيما ، لأنه لم يكن هناك بيت ليس فيه ميت ، فأسرع حابيس نحو مساكن العبرانيين شرق المدينة ، حيث بيت زوجته سارة ، و لما وصل إلى هناك وجد بعضا من العبرانيين مجتمعين فيما بينهم في دار أم سارة ، فاقترب منهم و ألقى عليهم التحية ، و عرفهم بنفسه ، فتذكروه جميعا ، و هموا بمصافحته مصافحة حارة ، و لما سألهم على سارة ، أخبره أحد العبرانيين بأنها قد رحلت عن المدينة منذ زمن ، فهمس حابيس في أذن أم سارة ، و طلب منها أن يتحدث اليها بعيد عن رجال قومها ، و لما انفردا ببعضهما البعض ، أخبرها حابيس بحقيقة الأمر ، فلما علمت أم سارة بأن ابنتها قد تم أسرها و ايداعها المعتقل ، أسرعت الى قومها ، لتعلن لهم الأمر ، فانتفض الرجال العبرانيون ، و أسرعوا بالذهاب إلى دار زعيمهم العبراني موسيه

، و طلبوا منه التوسط لدى الملك لإخراج المعتقلين العبرانيين من السجن .

خطب النبي موسى في قومه ، و قال لهم : *" إن الرب يقول إني قد رأيت مذلة شعبي في أرض جاسان .. و سمعت صراخهم من أجل مسخريهم .. فالآن هلم لإرسلك إلى فرعون .. ليخرج شعبي بني إسرائيل من أرض جاسان "* ، فلم ينتظر موسى حتى الصباح ، و ذهب مسرعا إلى قصر الملك ، و سأله الإفراج عن قومه الموجودين في المعتقل ، و السماح لشعب إسرائيل بالخروج إلى البرية ، حتى يرفع الرب البلاء عن المدينة ، و سرعان ما استجاب الملك له ، فخرج جميع المعتقلين العبرانيين من السجن ، و عادت سارة إلى دارها ، فوجدت حابيس في انتظارها ، فإرتمت بين أحضانه ، و اخذت تبكي بكاءا شديدا ، ثم أسرعوا جميعا للخروج من المدينة قبل طلوع الشمس ، فجمعوا أواني كثيرة من ذهب و فضة ، و حملوا مواشيهم و امتعتهم معهم ، و هموا بالإستعداد للخروج العظيم.

كان عدد الناس الذين خرجوا من المدينة نحو نص مليون شخص من الرجال و النساء و الأطفال ، هذا بالإضافة إلى الدواب

و الماشية الكثيرة ، فخرجوا جميعا و على رأسهم موسى و هارون زعماء العبرانيين ، و أما حابيس و سارة فكانا يسيران إلى جنب بعضهما البعض ، و قد حمل حابيس الكثير من الامتعة فوق عنقه ، بينما كانت سارة تقود قطيعا من الغنم ، و توجهوا جميعا إلى الجنوب نحو بادية الصحراء على أطراف المدينة ، حيث قبضة الملك في الجنوب أقل من الشمال ، و كان لا يسمح لأحد بالسفر إلى شمالا أو شرقا إلا إذا أعلن عن إسمه و مهنته و سبب سفره ، و لذلك لم يسمح لهم الرب بالعبور من جهة الشرق ، رغم أنه كان الطريق الأيسر و الأقرب إلى أرض كنعان ، حتى وصلوا إلى منطقة أطلقوا عليها إسم سوخييت بمعنى الخيام أو المظلات ، و لقد كان مكانا معدا للإستراحة على طريق المسافرين ، و تقع جنوب شرق جاسان ، و لما فرغوا من استراحتهم ، توجهوا صوب منطقة تدعى إيتام ، على الجهة الغربية من بحيرة تسمى "بحيرة التماسيح" فعسكروا فيها لبعض الوقت ، و من ثم استكملوا السير حتى وصلوا إلى برزخا بين قناة سيزوستوريس و البحر المر جنوب جاسان ، فاتخذوا منها مكانا للبقاء إلى حين ، و كان الرب يسير أمامهم نهارا في

عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، و ليلا في عمود نار ليضئ لهم ، فكانوا يسيرون ليلا و نهارا في معية الرب .

و في تلك الأثناء هرع الجنود الى الملك ، و أخبروه بأن نحو نص مليون شخص في المدينة قد رحلوا عنها ، و صارت المدينة بها فراغ سكاني هائل ، فلما علم الملك بأن شعب إسرائيل قد هربوا ، تغير قلب الملك ، و صاح من أمرهم بالخروج عن خدمتنا ، و أخذ ست مائة عربة حربية و جنودا و عتادا هائلة ، و هرول خلف شعب إسرائيل لإعادتهم إلى أرض جاسان ، كان الشعب الهارب في تلك الأثناء قد وصل برزخ بين قناة سيزوستوريس و البحر المر ، فضربوا بأوتادهم في الأرض ، و رفعوا خياما ليمكثوا فيها بعض الوقت ، ثم علموا بتعقب الملك و جيشه لآثارهم ، فهموا بالإسراع للهروب ، لكنهم وجدوا أنفسهم محاطين بالمياة و الجبال من كل جانب ، و لم يكن هناك مفرا عدا الطريق الذي جاؤوا منه ، فإذا سلكوا ذلك الطريق فسيلاقون الملك و جيشه أمام وجوههم ، فعم الهرج في صفوف الشعب الهارب ، و أخذت النساء و الأطفال يصرخون بشدة ، و صاح البعض من القوم في وجه موسى قائلين : *" هل لأنه ليس هناك قبورا لنا في جاسان*

أخذتنا لنموت في البرية .. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من جاسان .. أليس هذا و الكلام الذي كلمناك به في جاسان .. ألم نقل لك كف عنا فنخدم الملك و قومه .. لأنه خير لنا أن نخدمه من أن نموت في البرية ؟ " ، فصاح موسى في قومه قائلا : *" لا تخافوا .. قفوا و انظروا لخلاص الرب الذي سوف يصنعه لكم .. فإن الرب لمنجينا اجمعين "* ، و مد موسى يده على البحر ، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة ، فجعل البحر يابسة ، و انشق الماء ، فدخل الشعب الهارب في وسط البحر على اليابسة ، و كان الماء سورا لهم عن يمينهم و عن يسارهم ، و عبروا جميعا البحر ، حتى وصلوا جميعا إلى الضفة الأخرى ، بينما كان جيش الملك يعبر قاع اليحر من خلفهم ، فضرب موسى البحر مجددا بيده ، فالتحمت فرقتي الماء من جديد ، و رد الرب عليهم البحر ، فغرق الملك و جيشه و خيله في الماء أمام اعينهم ، و أخذوا ينظرون للمعجزة التي فعلها الرب لهم ، فلم يقدروا على تصديق أعينهم من هول المعجزة .

استمر الشعب في السير قدما باحثين عن مصادر الماء ، فاستبد بهم العطش بعد قطع مسافة كبيرة من مكان انشقاق اليم ،

فأمر الرب موسى أن يضرب بعصاه الحجر ، فانفجر منه اثنتا عشرة عينا ، و علم كل فريق مكان مشربهم ، و كانت المياة متفرقة حتى لا يتكالبوا جميعا عليها دفعة واحدة ، ثم اتخذوا سبيلا بين ساحل خليج السويس و صحراء سيدة الفيروز (سيناء) ، حتى وصلوا إلى منقطة بها جبل صغير مستطيل الشكل مسطح الرأس تسمى سربوت (قرب ميناء ابو زليمة حاليا) ، و هناك وجدوا معبدا كبيرا على قمة الجبل ، و كان القوم في تلك المنطقة يعبدون الإله حتحور و لكنهم لم يعترضوا لهم بأي أذى ، فاستراحوا في تلك المنطقة الى حين ، ثم استكملوا السير بمحازاة الساحل ، حتى وصلوا إلى جبل موسى بعد أربعة و أربعين يوما من الحل و الترحال و المشقة و العناء .

ترك النبي موسى قومه ، بعد أن عين أخيه هارون وزيرا عليهم ، و ذهب لتلقي ألواح الشريعة من فوق جبل موسى ، لكنه غاب أربعين ليلة ، فاستطول الشعب الهارب غيبته ، و لم يصبروا على غيابه ، و فقدوا المل في عودته ، و انتهز الفرصة رجلا عبرانيا من قوم موسى يدعى السامري ، و كان صانعا ماهرا ، فأمر القوم أن يعطوه الحلي و المجوهرات التي استعروها من نساء المدينة

، فاستجابوا له ، فجمعها جمعا ، ثم قام بصهرها تماما ، و صنع لهم عجلا له خوار ، و أقنعهم ان النبي موسى لن يرجع إليهم ، و كان البعض منهم قد طلب سابقا من موسى أن يصنع لهم إلها ، و رفض رفضا تاما ، و وصفهم بالجهل و الجحود ، و لقد استجاب له فئة من الناس ، و صاروا على عجل السامرين يعكفون ، و قد نهاهم هارون عن ذلك ، لكنهم لم يستجيبوا له ، و خشى هارون ان تحدث فتنة بين القوم إذا أمر فريقا منهم بنهر الفريق الآخر الذي سجد للعجل ، و خشي أن يتسبب ذلك في حدوث شرخ عظيم و انشقاق بينهم ، لكن سارة لم تتحمل ما صنع السامري ، الذي أراد أن يشعل نار الفتنة بين القوم ، فخرجت على قومها ، و خطبت فيهم قائلة :

" أيها القوم !! .. لقد نجاكم الرب من الإستعداد في أرض جوش .. و كنتم على ذلك من الشاهدين .. ثم أغرق الملك و جنده امام اعينكم .. و امر البحر فانشق لكم .. و كان كل فرق كالطود العظيم .. و هداكم سبيل الرشد و الصلاح .. و أنزل عليكم المن و السلوى .. و غشيتكم السحائب و الغمام .. فكانت رحمة من الرب لكم .. لتقيكم الحر و حرقة الشمس فوقكم .. و في ليلكم

أرسل إليكم الرب عمودا من نار ليرشدكم في الظلام .. و لقد دخلتم إلى مصر و كنتم لا تتعدون الخمسة و السبعين فردا .. ثم بارك الرب فيكم فصرتم امة على أرض جاسان .. و كان فضل ربي عليكم عظيما .. ثم ها انتم بعد ذلك .. تصنعون بإيديكم عجلا صنما لا يسمع و لا يرى و لا ينفع و لا يضر .. و تخروا له سجدا .. و تقدمون له القرابين كما كان يفعل القوم في أرض جوش لإلاههم ست .. و تطوفون حوله و له ترقصون و تغنون و تعزفون الألحان ... و الله ربي و رب موسى و رب هارون أولى بالشكر و المديح من ذلك التمثال .. يا قوم إنكم والله لجاهلون .. و إنكم لأنفسكم تظلمون .. و إن لم تنتهوا ليصبنكم عذابا من الرب عظيم .. و إنني و زوجي لكم و لما تعبدون من دون الله لمعتزلون .. حتى يعود موسى إليكم .. و يحكم بينكم فيما فيه تختصمون"

قررت سارة إعتزال قومها ، و أخبرت حابيس انها ذاهبة خلف الجبل لإعتزال القوم ، فلم يشأ حابيس أن يدعها وحدها في تلك البرية ، فذهب معها ، ليتفرغوا لعبادة الرب ، و رحلوا بعيدا عن القوم ، و استقروا خلف الجبل ، حيث وجدوا عند سفح الجبل

مغارة صغيرة ، فدخلوا إليها ، و كانت تلك المغارة تقود إلى ممر ضيق طويل ، فدخل حابيس و سارة إلى هذا الممر ، و طفقوا يسيرون بداخله حتى انتهي بهم الممر بباب كبير ، تعجبت سارة كثيرا ، عندما وجدت ذلك الباب مفتوحا جزئيا ، كان بابا كبيرا من حجر الكوارتزيت الطبيعي ، و كان ثقيلا للغاية للدرجة التي لا يمكن لأحد أن يدفعه ، لكن حابيس أصر على اختراق ذلك الباب ، فحاولا أن ينسابا من خلاله بخفة ، حتى عبرا الباب ، و عند إذ أصابهما الوجوم ، عندما اكتشفا حجرة ممتلئة بالجماجم و الهياكل العظمية ، كادت سارة ان تتقيأ ، لكن حابيس أسندها إليه ، و وجدا بابا آخرا خشبيا داخل الغرفة ، لكن ذلك الباب كان مغلقا بإحكام ، فحاول حابيس دفعه إلى الوراء ، فاندفع بقوة كبيرة ، و دخلا اليه ، كان ذلك الباب ينفتح على سرداب صغير ضيق ، فدخل حابيس إلى ذلك السرداب ، و من ورائه سارة ، و كانا خائفين كثيرا ، لكن شعورهما بالفضول كان اعظم ، فأزال شعور الخوف و الرهبة لديهم ، و تابعا السير في الممر الضيق ، الذي كان بداخله الكثير من العظام المبعثرة المندثرة في التراب تحت قدميهما ، و عظام اخرى طافية فوق التراب ، فكانا يحاولان

تفادي تلك العظام ، لكن حابيس تعثر في احدى تلك العظام ، و سقط على وجهه ، كان المكان حالك الظلمة ، فتبدل الفضول بالرعب ، و قررا العودة من حيث جاءا ، فاستدارا الى الوراء ، و طفقا يتحسسان الجدران ، محاولين عبور الظلام ، و العودة مجددا ، لكنهما و في هذا الظلام الشديد بدلا من ان يعودا عبر الممر الذي دخلا منه ، عبروا ممرا آخرا متفرعا منه ، ظانين انه الممر الذي دخلا منه ، و فجأة تعثرت قدم سارة هذه المرة في احدى الاحجار الكبيرة ، و قد كانت تقود حابيس في العودة ، فسطقت في الظلام ، و حاول حابيس مساعدتها على النهوض ، و بينما يحيي يمسك بيدها ، اذ تحركت الارض من تحتهما ، و انهارت فجأة ، فسقطا في جرف كبير .

حاولت ليليان أن تساعد يحيي و راشيل على استرداد الوعي ، و كان معها رجلان من أبناء الدير ، فحمل أحدهما يحيي ، بينما حمل الآخر راشيل ، و أخرجاهما من تلك الحفرة الكبيرة ، و بعد فترة من الزمن ، استعادت راشيل وعيها ، بينما دخل يحيي في سعال متواصل لا ينقطع ، و فتحا عينيهما ، ليجدا أنفسهما مستلقيان على أريكة ممدة في حجرة رئيس الدير الأنبا

إستيفانيوس ، فأخذا ينظران إلى بعضهما البعض ، و كأنهما يريدان ان يسألا بعضهما البعض : " هل رأيت ما رأيت ؟ " ، لكن يحيي تفهم من عين راشيل أنها تشاركه نفس الشعور ، و صمتا تماما ، و لم يحدثا أحدا بما جرى لهما في الأزمنة السحيقة ، حاولت ليليان إقناعهما بالبقاء حتى تتحسن حالتيهما ، لكنهما طفقا يضحكان و يقولان لها : *" و هل نبدو في حالة سيئة ؟ .. إننا بخير على كل حال .. إننا نظن أننا أفضل بكثير من السابق .. و نحمد الله على انه هدانا إلى السبيل الصواب و إلى الصراط المستقيم .. "* ، و أصرا على السفر إلى مدينة شرم الشيخ ، ليلحقا بالطائرة التي كانت بإنتظارهما في مطار شرم الشيخ الدولي ، و عاد يحيي و راشيل إلى القاهرة ، و بعدها قررا الزواج سرا دون إخبار أحد ، كما قررا السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعيش فيها ، ليبدءا سويا حياة جديدة في ظل عبادة دينا جديدا واحدا ، يعم من خلاله السلام على كل البشرية .

تمت